



مَدْرَسَةُ الْحَدِيثِ فِي الْغَيْدَاةِ
لِلْحَقْلِ وَالشَّرْعِيَّةِ
The School of Hadith in Ghaydah for Legislative

مُؤَلَّفَاتٌ وَمَبَاحِثٌ عِلْمُ التَّوْحِيدِ وَالْعَقِيدَةِ لِفَضِيلَةَ الشَّيْخِ

متن تعليمي

بَيِّنَاتُ التَّوْحِيدِ

وَدَحْضُ الشَّرْكِ وَالتَّنْذِيرُ



لِفَضِيلَةَ الشَّيْخِ

أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ زَيْدِ الزُّعْمَرِيِّ

حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى







بيان التوحيد

وَدَحْضُ الشِّرْكِ وَالتَّنْذِيرِ


روابط قنوات فضيلة الشيخ على منصات التواصل

الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ حفظه الله تعالى

 <https://alzokory.com>.

 https://t.me/A_lzokory

 A_Alzokorys

 <https://www.youtube.com/channel>

 <https://www.facebook.com/649918028352367>

 <https://chat.whatsapp.com/FglUKZ0nwrR5EYaguQttSz>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



دار الحديث بالغيضة

لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ

The School of Hadith in Ghaydah for Legislative knowledge

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

الطبعة الرابعة

مزيدهً ومنقحهً ومصححهً

نرحب بالاقتراحات ولاستدراكات اللغوية على الأرقام التالية:

٧٧٦٣٨٢٨٢٨ ①

٧٧١١٨٠٤٩٢ ②



الموقع الرسمي



فيسبوك



تلجرام



يوتيوب



منصة X



واتساب

مُؤَلَّفَاتُ وَمَبَاحِثُ عِلْمِ التَّوْحِيدِ وَالْعَقِيدَةِ لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ

بَيَانُ التَّوْحِيدِ

وَدَحْضُ الشَّرْكِ وَالتَّنْذِيرُ



لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ
أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ زَيْدِ الْحُجُورِيِّ الرَّعْكَرِيِّ
حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

By his Eminence Sheikh Abi Muhammad Abdul Hameed bin Yahya Al-Zoukory.



دَارُ الْحَدِيثِ فِي الْغَايْطِ
لِلْعِلْمِ وَالنَّزْعَةِ

The School of Hadith in Ghaydah for Legislative knowledge





معاني الرموز المستعملة في الكتاب:

■ : مسائل / أحكام.

● : تفسير / شرح / تعليل.

○ : تعريف.

❖ : تنبيهات.

📖 : مسائل خلافية / رد.

□ : قواعد .

📚 : أركان / شروط.

📄 : تقسيم / أنواع.

الْمُقَدِّمَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣﴾﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَبِنْدَاءِ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ بِهِ، وَهُوَ: (بَيَانُ التَّوْحِيدِ، حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعَبِيدِ).



التَّوْحِيدُ حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعَبِيدِ

وَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ، وَالْوَاجِبُ الْمُفَحِّمُ، فَمِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِهِ خَلَقَ اللَّهُ الثَّقَلَيْنِ.

[١] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

• أَي: لِيُوحِدُوهُ، كَمَا قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ.

□ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "كُلُّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْعِبَادَةِ فَمَعْنَاهَا

التَّوْحِيدُ". تفسير البغوي (١ / ٧١).

○ فَ(الْعِبَادَةُ) هِيَ: الْعَايَةُ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ لَهَا الْخَلْقَ مِنْ جِهَةِ أَمْرِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ.

■ وَهُوَ: أَمْرُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، فَأَوَّلُ أَمْرٍ، وَأَوَّلُ نِدَاءٍ فِي الْقُرْآنِ كَانَ لِذَلِكَ.

[٢] قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

• أَي: وَحَدُوا رَبَّكُمْ، خَالِقَكُمْ، وَرَازِقَكُمْ، وَمُدَبِّرَ شَأْنِكُمْ.

■ وَأَعْظَمُ وَأَوْجَبُ مَا يُتَّقَى اللَّهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ.

[٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

[٤] / [١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

• أَي: حَكَمَ وَأَمَرَ بِالتَّوْحِيدِ.

[٥] / [١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ

أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

• أَيُّ: إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَوَحَّدُوهُ، وَأَفْرِدُوهُ بِمَا يَجِبُ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ،
وَأَلُوْهِيَّتِهِ، وَأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ.

□ وَ إِنَّمَا كَانَ أَصْلُ النَّزَاعِ بَيْنَ الرُّسُلِ وَأَقْوَامِهِمْ فِي إِفْرَادِ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، وَتَرْكِ
عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ.

[٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ

فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ [الأنبياء: ٩٢].

[٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾

[العنكبوت: ٥٦].

■ وَهُوَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعَبِيدِ.

(١) وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ
عَلَى عِبَادِهِ»، ثُمَّ فَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»
أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، مسلم (٣٠).

□ فَأَصْلُ الْإِيمَانِ وَقَاعِدَتُهُ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، هُوَ: تَحْقِيقُ مَعْنَى
الشَّهَادَتَيْنِ قَوْلًا، وَعَمَلًا، وَعَقِيدَةً.

■ وَهُوَ: الرُّكْنُ الْأَوَّلُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.

(٢) فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى
خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»، وَذَكَرَ بَقِيَّتَهَا، وَفِي
رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «عَلَى أَنْ يُوحَّدَ اللَّهُ» أخرجه البخاري (٨)، مسلم (١٦).

(٣) وَحِينَ بَعَثَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «فَلْيَكُنْ

أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيَّ أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى» أخرجه البخاري (٧٣٧٢)، مسلم (١٩)، وهذا لفظ البخاري.

(٤) وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَلَفْظُهُمَا: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ

اللَّهِ» أخرجه البخاري (١٤٥٨)، مسلم (١٩).

(٥) وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْظَمِ مَوْقِفٍ يَخْطُبُ النَّاسَ فِي حَجَّةِ

الْوَدَاعِ يَقُولُ: «اعْبُدُوا رَبَّكُمْ» وَفِي رِوَايَةٍ: «اتَّقُوا رَبَّكُمْ» أخرجه أحمد (٢٢١٦١) عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

■ وَالتَّقْوَى وَالْعِبَادَةُ قَدْ يُطْلَقُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ.

[٨] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُواهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿١٤﴾

[الزخرف: ٦٤].

■ وَهُوَ: أَوَّلُ دَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٦) حَيْثُ كَانَ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ وَيَقُولُ: «قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»

أخرجه الدارقطني (٢٩٧٦) عن طارق بن عبد الله المحاربي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

■ وَأَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ لِتَحْقِيقِهِ.

[٩] / [١] قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا

لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿٢﴾ [الزمر: ٢].

- وَأَمَرَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ أَمْرٍ لِأُمَّتِهِ فَكُنَّا دَاخِلُونَ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

■ وَأُرْسِلَتِ الرُّسُلُ لِلدَّعْوَةِ إِلَيْهِ.

[١٠] / [١] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا

اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

○ وَالطَّاغُوتُ: اسْمٌ لِلشَّيْطَانِ وَالسَّاحِرِ، وَكُلُّ مَا عَبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

□ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ دِينَ الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ وَالْإِسْلَامُ.

(٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوْلَى

النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ

شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ» أخرجه البخاري (٣٤٤٣).

■ **وَشَرَعَ الْجِهَادُ لِتَحْقِيقِهِ.**

[١١] فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩].

(٨) وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ

النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ،

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ

الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» أخرجه البخاري (٢٥)، مسلم (٢٠) عن عمر وغيره.

■ **وَأَمَرَ اللَّهُ بِالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ.**

[١٢] فَقَالَ جَلَّ فِي عِلَاهُ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ

أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

■ **وَبِهِ انْقَسَمَ النَّاسُ إِلَى: مُؤْمِنِينَ أَبْرَارٍ، وَإِلَى مُعْرِضِينَ كَفَّارٍ، وَإِلَى أَهْلِ**

الْجَنَّةِ، وَأَهْلِ النَّارِ.

[١٣] فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ

حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَأَرْيَبَ فِيهِ فِرْقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفِرْقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ [الشورى: ٧].

■ **وَبِهِ انْشِرَاحُ الصَّدْرِ، وَطُمَأِينَةُ الْقَلْبِ.**

[١٤] قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾

[الزمر: ٢٢].

[١٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ

الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].

■ **وَكُلُّ: وَحْيِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ دَعْوَةٌ إِلَى التَّوْحِيدِ وَوَأَجِبَاتِهِ وَمُسْتَحَبَاتِهِ وَمُكَمَّلَاتِهِ: وَإِخْبَارٌ بِحَالِ الْمُؤَحِّدِينَ، وَمَنْ خَالَفَهُمْ مِنَ الْمُتَمَرِّدِينَ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ، وَهَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ، وَعَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ.**

﴿وَاعْلَمْ أَنَّ التَّوْحِيدَ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ لَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ بِهِ إِلَّا بِتَحْقِيقِهَا:

- **الأوَّلُ: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِأَفْعَالِهِ: الْخَلْقِ، وَالْمُلْكِ،**

وَالتَّدْبِيرِ.

- **الثَّانِي: تَوْحِيدُ الْأَلُوْهِيَّةِ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، وَعَنْهُ نَتَكَلَّمُ فِي هَذَا**

الْكِتَابِ.

- **الثَّالِثُ: تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.**

وَيَأْتِي بَيَانٌ لَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.



فَضْلُ التَّوْحِيدِ

ذَكَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَذَكَرَ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَضَائِلِ التَّوْحِيدِ مَا يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ فَضْلِهِ.

[١٦] ■ مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأَنْعَام: ٨٢].

• الْمُرَادُ: بِالْإِيمَانِ إِذَا أُطْلِقَ التَّوْحِيدُ؛ إِذْ لَا يَكُونُ إِيمَانٌ إِلَّا بِأَصْلِهِ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ.

(٩) وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأَنْعَام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢)، مُسْلِمٌ (١٢٤).

• مَعْنَاهُ: أَنَّ مَنْ وَحَدَ اللهُ، وَأَفْرَدَهُ بِمَا يَجِبُ لَهُ، وَلَزِمَ هَذَا السَّبِيلَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُمْ: الْأَمْنُ الْأَخْرَوِيُّ؛ كَمَا أَنَّ لَهُمُ الْأَمْنُ الدُّنْيَوِيُّ مِمَّا يُبِيحُ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَعْرَاضَهُمْ.

وَالْحِصَّةُ بِالْحِصَّةِ: مَنْ كَانَ قَوِيَّ الْإِيمَانِ كَانَ رَفْعُهُ إِلَى الْجِنَانِ رَبَّمَا أَسْرَعَ مِنَ الْبَرْقِ، وَأَسْرَعَ مِنَ الْخَيْلِ، وَأَسْرَعَ مِنَ الرِّكَابِ.

وَمَنْ كَانَ ضَعِيفَ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ لِحِقَّةِ بِقَدْرِ ضَعْفِ ذَلِكَ.

[١٧] ■ وَقَالَ تَعَالَى فِي بَيَانِ فَضْلِهِ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

[النحل: ٩٧].

■ وَكُلُّ: آيَةٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَكُلُّ: حَدِيثٌ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا مَدْحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُتَّقِينَ، فَهِيَ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ؛ فَلَا إِيْمَانٍ إِلَّا بِهِ.

[١٨] ■ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ

الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧].

[١٩] ■ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأتوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

[٢٠] ■ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٢١﴾ وَفَوْكَةٍ مِّمَّا يَشْتَهِونَ ﴿٢٠﴾﴾

[المرسلات: ٤١-٤٢].

[٢١] ■ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ

مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

(١٠) ■ وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» أخرجه مسلم (٢٦).

(١١) ■ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«أَمْرُكَ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، فَصَمْتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

أخرجه أحمد (٦٥٨٣).

وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هِيَ: التَّوْحِيدُ، كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ بَيَانُ ذَلِكَ.

(١٢) ■ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ

النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ». أخرجه البخاري (٩٩).

(١٣) ■ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنَكِّرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَمْ تُعْذِرْ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِلِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَرَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِلِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالبِلِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقَلَتِ الْبِلِطَاقَةُ، فَلَا يُثْقَلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ». أخرجه

الترمذي (٢٦٣٩).

■ وَهَذَا مِنْ أَصْرَحِ الْأَدِلَّةِ عَلَى فَضْلِ التَّوْحِيدِ.

فَهِيَ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ مَنْ قَالَهَا مُعْتَقِدًا لَهَا قَالَهَا مُعْظَمًا لِشَأْنِهَا قَالَهَا بَرِيءٌ مِمَّا يُضَادُّهَا طَاشَتْ بِتِلْكَ السَّجَلَاتِ الْكَثِيرَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي.

(١٤) ■ وَعَنْ طَارِقِ بْنِ أَشْيَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالَهُ، وَدَمَهُ، وَحِسَابَهُ عَلَى اللَّهِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ وَحَدَّ اللَّهُ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٣).

(١٥) ■ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ حِينَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثْرَةَ

مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ، وَذَكَرَ أَنَّ فِيهِمْ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتُونُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٧٠٥) وَمُسْلِمٌ (٢١٨).

وَهَذَا مِنْ تَعْظِيمِهِمْ لِلتَّوْحِيدِ، وَهَذَا بَابٌ يَطُولُ الْكَلَامُ فِيهِ.

■ وَمُلَخَّصُهُ: أَنَّ قَبُولَ الْعَمَلِ يَعُودُ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالثَّوَابِ عَلَى الْعَمَلِ يَعُودُ

إِلَى التَّوْحِيدِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَلَا تُقْبَلُ شَفَاعَةٌ، وَلَا يَرْضَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا عَنْ مُوَحِّدٍ.

[٢٢] ■ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ

الْكَفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

(١٦) ■ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ».

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٠٦٢)، وَمُسْلِمٌ (١١١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ اخْتِصَارٌ لِبَيَانِ فَضِيلَةِ هَذَا الْبَابِ.

■ وَإِلَّا فَكَمْ هِيَ وَعُودُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لِلْمُوحِّدِينَ فِي:

- جَنَّةِ النَّعِيمِ.

- وَبِرِّضَا رَبِّ الْعَالَمِينَ.
- وَبِالْكَرَامَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
- وَبِالنَّصْرِ وَالْعِزِّ وَالتَّمَكِينِ.
- وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيَّ مَنْ:
- أَخْلَصَ لِلَّهِ الْعَمَلَ.
- وَاجْتَنَبَ الشُّرْكَ.
- وَمَا يَجُرُّ إِلَيْهِ مِنَ الزَّلَلِ.



تفسير التوحيد ومعنى لا إله إلا الله

○ (التوحيد) هو: هو إفراد الله بما يجب له في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، والكلام هنا عن توحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة، أو شئت أن تقول: إفراد الله بأفعال المكلفين.

[٢٣] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ

دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ [الحج: ٦٢].

[٢٤] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ

إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴿٢٥﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣]

[٢٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٥﴾

[البقرة: ١٦٣].

[٢٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٦﴾

[يس: ٢٢].

[٢٧] / [١] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا

تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٨﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

[٢٨] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٨﴾

[النحل: ١٢٠].

□ فَالْحَنِيفِيَّةُ مِنْ مُوجِبَاتِ الْفِطْرَةِ الصَّحِيحَةِ وَمُقْتَضِيَاتِهَا.

○ وَ(الْحَنِيفُ) هُوَ: الْمَائِلُ عَنِ الشَّرِكِ إِلَى التَّوْحِيدِ.

[٢٩] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ

أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ [الزمر: ١١-١٤].

[٣٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ

أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

[٣١] / [١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ

يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦].

○ فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذَا: أَنَّ (تَفْسِيرَ التَّوْحِيدِ)، وَمَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) هُوَ: عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَالْبِرَاءُ مِمَّا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، فَلَا يُشْرِكُ مَعَهُ غَيْرَهُ لَا مَلِكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا.

❖ وَلَا يَكْفِي الْإِقْرَارُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ: الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمَالِكُ الْمُدَبِّرُ، فَإِنَّ هَذَا

كَانَ يُقَرَّبُ بِهِ كُفَارٌ قُرَيْشِيٌّ؛ وَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهِ.

[٣٢] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ

اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨].

[٣٣] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ

الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِينُهُ مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ
وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

[المؤمنون: ٨٤-٨٩].

□ فتوحيد الربوبية دليل على توحيد الإلهية بل دليله الأكبر؛ لأن الله ألزمهم
إثبات الألوهية بإقرارهم بالربوبية.

(١٧) وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ طَارِقِ بْنِ أَشِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالَهُ، وَدَمَهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ». أخرجه مسلم
(٢٣).

• فَقَدْ تَضَمَّنَ الْحَدِيثُ: وَجُوبَ إِفْرَادِ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ مَعَ الْبِرَاءِ مِمَّا يُخَالِفُ هَذَا
التَّوْحِيدِ.

فَمَنْ أَقْرَبَ بِالتَّوْحِيدِ وَ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) تَعَيَّنَ عَلَيْهِ الْكُفْرُ بِمَا سِوَى ذَلِكَ.

﴿وَبَيَانُ ذَلِكَ فِي نَفْسِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، فَإِنَّهَا: تَتَكَوَّنُ مِنْ رُكْنَيْنِ:

- (النَّفْيِ) فِي قَوْلِهِ: (لَا إِلَهَ).

- وَ(الْإِثْبَاتِ) فِي قَوْلِهِ: (إِلَّا اللَّهُ).

فَ(النَّفْيِ) أَنْ تَكُونَ الْأُلُوهِيَّةُ لِعَيْرِ اللَّهِ، ثُمَّ اثْبَتَهَا لِلَّهِ عَزَّجَلَّ لَا يُشْرِكُهُ غَيْرُهُ لَا

مَلِكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا.

فَهَذَا هُوَ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ): التَّوْحِيدُ، فَفِيهَا:

- التَّوْحِيدُ (لَا إِلَهَ) نَفْيُ الْأُلُوهِيَّةِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ مِنْ قَبْرِ أَوْ صَنْمٍ أَوْ وَثْنٍ أَوْ

جِنِّيٍّ أَوْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

- (إِلَّا اللَّهُ) الْإِلَهُ الْحَقُّ.

• أَي: الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ.

فَإِنَّ (الْإِلَهَ) هُوَ: الْمَعْبُودُ، فَمَنْ صَرَفَ الْعِبَادَةَ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَقَدْ اتَّخَذَهُ إِلَهًا؛ وَإِنْ لَمْ يُسَمِّهِ إِلَهًا.

❑ وَالْعَجَبُ مَعَ وُضُوحِ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ فَسَّرُوهَا بِبَاطِلٍ مِنَ الْقَوْلِ:

- **أُولَاهَا**: قَالُوا: مَعْنَاهَا: (لَا مَوْجُودَ إِلَّا اللَّهُ).

وَهَذَا قَوْلٌ: أَصْحَابِ الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ.

فَكُلُّ: مَوْجُودٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ عِنْدَهُمْ هُوَ اللَّهُ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، مَعَ أَنَّهُ مَعْلُومٌ شَرْعًا وَعَقْلًا وَفِطْرَةً وَحِسًّا تَمَازُؤُ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِينَ، فَاللَّهُ تَعَالَى بِذَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، كَمَا تَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ النُّصُوصُ.

- **ثَانِيهَا**: قَالُوا: مَعْنَاهَا: (لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ).

وَهَذَا: تَفْسِيرٌ بَاطِلٌ، فَقَدْ عُبِدَ غَيْرُ اللَّهِ - عَزَّجَلَّ - مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمَرْبُوبَاتِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ، مِثْلُ: عَيْسَى وَالْكَوَاكِبِ.

- **ثَالِثُهَا**: قَالُوا: (لَا خَالِقَ وَلَا رَازِقَ إِلَّا اللَّهُ).

وَهَذَا يُثْبِتُهُ: كُفَّارُ قُرَيْشٍ وَغَيْرُهُمْ.

وَلَمْ يَدْخُلُوا بِهِ فِي الْإِسْلَامِ؛ إِذِ إِنَّهُمْ بِهِذَا أَفْرَدُوا اللَّهَ بِأَفْعَالِهِ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ: الرَّبُّوبِيَّةُ، فَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْعَبْدُ حَتَّى يُضَافَ إِلَيْهِ إِفْرَادُ اللَّهِ بِأَفْعَالِ الْمُكَلَّفِينَ.

❑ فَتَوْحِيدُ الرَّبُّوبِيَّةِ لَا يَصِيرُ الْإِنْسَانُ بِهِ مُسْلِمًا حَتَّى يَأْتِيَ بِأَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ الْأُخْرَى.

- رَابِعُهَا: قَوْلُهُمْ: (لَا حَاكِمِيَّةَ إِلَّا لِلَّهِ).

كَمَا فَسَّرَهَا بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ، مِمَّنْ لَا عِنَايَةَ لَهُمْ بِالْعِلْمِ إِلَّا الْخُرُوجَ عَلَى الْحُكَّامِ، مَعَ أَنَّ تَحْكِيمَ شَرْعِ اللَّهِ دَاخِلٌ فِي تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ.

- خَامِسُهَا: وَهُوَ: الْقَوْلُ الصَّحِيحُ الَّذِي لَا غَيْرُهُ: (لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ). وَمَا عُبِدَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ فَبَاطِلٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ هَذَا لِذِلَالَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْعَقْلِ، وَالْفِطْرَةِ عَلَيْهِ.

[٣٤] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ

وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠].

[٣٥] / [٢] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي

إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

[٣٦] / [٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا

اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

[٣٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنْتِ إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ

جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

■ فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ:

- أَنْ يَعْتَقِدَ التَّوْحِيدَ، وَيَعْمَلَ بِهِ.

- وَيَتَبَرَّأَ مِنَ الشُّرْكِ وَالتَّنْذِيدِ فِي قَلْبِهِ، وَلِسَانِهِ، وَجَوَارِحِهِ.

[٣٨] / [٢] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ

اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦].

[٣٩] وَقَالَ اللَّهُ فِي بَيَانِ ذَلِكَ: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا

تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا

أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾﴾ [الكافرون: ١-٥].

[٤٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ

﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

فَكَمَا أَنَّهُ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ، فَهُوَ وَاحِدٌ فِي عِبَادَتِهِ.

■ وَبِسَبَبِ عَدَمِ فَهْمِ هَذَا الْبَابِ وَتَحْقِيقِهِ، تَجَدُّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَقُولُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ) بِلِسَانِهِ، يُخَالِفُهَا بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، وَرُبَّمَا اعْتَقَادِهِ.

■ وَذَلِكَ أَعْظَمُ مَا أَوْصَلَ عُبَادَ الْقُبُورِ إِلَى عِبَادَتِهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، ظَنُّوا أَنَّ

التَّوْحِيدَ هُوَ الْقَوْلُ الْمُجَرَّدُ، وَكَيْسَ كَذَلِكَ؛ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ نَطْقِ اللِّسَانِ، وَاعْتِقَادِ
الْقَلْبِ فِيمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، وَعَمَلِ الْجَوَارِحِ عَلَى مُقْتَضَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ.

■ وَسَبَبَ ضَلَالِ الْأَمَمِ هُوَ: الْغَلَطُ فِي مُسَمِّي التَّوْحِيدِ.

■ فَهِيَ أَعْظَمُ كَلِمَةٍ، مَعَ اخْتِصَارِهَا، إِلَّا أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّوْحِيدِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ

الشَّرِكِ وَالتَّنِيدِ.

■ فَهَيِّنًا لِمَنْ حَقَّقَهَا، وَحَقَّقَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ جَهَلَهَا، وَجَهَلَ مَا

دَلَّتْ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

■ فَلَا بُدَّ مِنْ فَهْمٍ مَعْنَى كَلِمَةِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَسَيَأْتِي أَنَّ مِنْ شُرُوطِهَا: (الْعِلْمُ)؛ بِحَيْثُ لَا يَبْقَى الْإِنْسَانُ يَقُولُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَيَقُولُ فِي دُعَائِهِ: (يَا هُوَذَا!)، وَ(يَا هَادِي!)، وَ(يَا حُسَيْن!)، وَ(يَا عَلِي!)، فَهَؤُلَاءِ مَا عَرَفُوا (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فِي سَرْدٍ وَلَا وَرْدٍ.

▣ فَإِذَا رَأَيْتَ أَحَدَهُمْ يَقُولُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَيَحُجُّ، وَيَعْتَمِرُ، وَيُصَلِّي، وَيَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَتَسْمَعُ مِنْهُ: (يَا حُسَيْن!)، أَوْ (يَا عَلِيَّاه!)، (يَا فَاطِمَةُ!)، (يَا زَهْرَاء!)، أَوْ (يَا عِيدْرُوس!)، وَ(يَا دَسُوقِي!)، وَ(يَا بَدَوِي!)، وَ(يَا جِيلَانِي!)، وَ(يَا ابْنَ عَلْوَانَ!)، وَغَيْرِهِمْ.

فَمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ، فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؛ حَتَّى يُقَرَّ، وَيَعْمَلَ بِهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا؛ فَالْكُفَّارُ عَلِمُوا مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَأَبَوْا أَنْ يَقُولُوهَا، وَعُبَادُ الْقُبُورِ قَالُوا (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَنَاقَضُوهَا، وَهَذَا مِنَ الْعَجَائِبِ!!
إِذْ تَلَفَّظُوا بِ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَنَاقَضُوهَا بِأَفْعَالِهِمْ، وَأَقْوَالِهِمْ؛ لِجَهْلِهِمْ بِمَعْنَاهَا، وَتَرْكِ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا، بَيْنَمَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ أَبَوْا أَنْ يَقُولُوهَا مَعَ مَعْرِفَتِهِمْ بِمَعْنَاهَا.

[٤١] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾

[ص:٥].



كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

■ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، هِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ.

(١٨) كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». أَخْرَجَهُ

الترمذي (٣٣٨٣) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

📌 وَقَدْ تَنَوَّعَتْ أَسْمَاؤُهَا:

- فَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى.
- وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى.
- وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ.
- وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى.
- وَالْكَلِمَةُ الَّتِي جَعَلَهَا إِبْرَاهِيمُ فِي عَقِبِهِ.
- وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ.
- وَالْكَلِمَةُ الْعُلْيَا.
- وَدَعْوَةُ الْحَقِّ.
- وَالْكَلِمُ الطَّيِّبُ.
- وَالْقَوْلُ الثَّابِتُ.
- وَالطَّيِّبُ مِنَ الْقَوْلِ.
- وَالْكَلِمَةُ السَّوَاءُ.
- وَهِيَ كَلِمَةٌ: قَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ.
- وَخُلِقَتْ: لِأَجْلِهَا جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ.



- وَبِهَا أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ، وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ.
- وَلَا جُلُهَا نُصِبَتِ الْمَوَازِينُ، وَوُضِعَتِ الدَّوَابِينُ.
- وَقَامَتِ سُوقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ بِهَا.
- وَانْقَسَمَتِ: الْخَلِيقَةُ إِلَى مُؤْمِنِينَ وَكُفَّارٍ، وَأَبْرَارٍ وَفُجَّارٍ.
- فَهِيَ: مَنْشَأُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.
- وَهِيَ: الْحَقُّ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ.
- وَعَنْهَا وَعَنْ حُقُوقِهَا السُّؤَالُ وَالْحِسَابُ.
- وَعَلَيْهَا يَقَعُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ.
- وَعَلَيْهَا نُصِبَتِ الْقِبْلَةُ، وَعَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْمِلَّةُ.
- وَلَا جُلُهَا جُرِّدَتْ سِيُوفُ الْجِهَادِ.
- وَهِيَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ.
- فَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي لَا يَدْخُلُ الْإِسْلَامُ إِلَّا بِهَا.
- وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ.
- وَعَنْهَا يُسْأَلُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ.
- فَلَا تَزُولُ قَدَمُ الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ:
- مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ وَمَاذَا أَحْبَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟
- **فَجَوَابُ الْأُولَى:** بِتَحْقِيقِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَعَمَلًا.
- **وَجَوَابُ الثَّانِيَةِ:** بِتَحْقِيقِ (أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَانْقِيَادًا

وَطَاعَةً. أفاده ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَقْدَمَةِ زَادِ الْمَعَادِ.

وَلِهَذَا جَاءَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ عَلَى حَالَيْنِ:

- **الأوّل:** قَوْلُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) تَصْرِيحًا.

- **الثّاني:** فِيمَا فِيهِ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرٌ طَيِّبٌ.

- **فَمِنَ الأوّل:**

[٤٢] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

[٤٣] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾

[الصافات: ٣٥]

- **الثّاني:** وَجَاءَتْ بِمَعْنَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ:

- فَجَاءَتْ بِلَفْظِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) فِي تِسْعَةِ وَعَشْرِينَ مَوْطِنًا.

- وَبِلَفْظِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ.

- وَجَاءَتْ بِلَفْظِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ.

[٤٤] وَقَالَهَا فِرْعَوْنُ بِمَعْنَاهَا: ﴿قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُو لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ

بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

وَأَمَّا مَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَاهَا: فَهُوَ كَثِيرٌ طَيِّبٌ.

□ فَكُلُّ: دَلِيلٍ تَضَمَّنَ النَّفْيَ وَالْإِثْبَاتَ، فَبِهِ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

[٤٥] / [٣] وَمِنْهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾

[٤٦] / [٣] وَقَوْلُهُ: ﴿أَبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

[٤٧] / [٢] وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا

تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

[٤٨] / [٢] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

[٤٩] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]

فِي آيَاتٍ كَثِيرَاتٍ، وَأَحَادِيثَ مُبَارَكَاتٍ.

□ إِذْ: أَنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَةَ دَعْوَةٌ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الشِّرْكِ وَالتَّنْبِيهِ،

عَلَى مَا تَقَدَّمَ.

■ وَمِنْ أَشْهَرِهَا: الْكَلِمَةُ السَّوَاءُ.

[٥٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا

وَبَيْنَكُمْ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا

مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

• يَعْنِي: حَيْثُ جَمَعَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ، وَأَمَرَ بِاجْتِمَاعِ النَّاسِ عَلَى الْكَلِمَةِ السَّوَاءِ،

فَإِن أَقْرَبُوا بِأَنَّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بَعْدَ ذَلِكَ يَقَعُ الْإِنْقِيَادُ لِمَا

سِوَاهَا، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَقَعِ الْإِقْرَارُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَنْ يَقَعِ الْإِنْقِيَادُ لِمَا سِوَاهَا.

□ وَمِنَ الطَّرِيقِ الَّتِي تَقَعُ فِيهَا يُسْمَوْنَ بِـ(حِوَارِ الْأَدْيَانِ)، وَ(تَقَارِبِ

الْأَدْيَانِ) وَنَحْوِ ذَلِكَ: أَنَّهُمْ يَتَحَاوَرُونَ عَلَى غَيْرِ الْكَلِمَةِ السَّوَاءِ.

■ فَلِذَلِكَ لَيْسَ فِيهَا نَجَاحٌ وَلَا خَيْرٌ، فَتَارَةً يَتَحَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِ كُرَّةِ الْقَدَمِ،

وَتَارَةً يَتَحَاوَرُونَ إِلَى أَشْيَاءٍ مُّخَالِفَةٍ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَنِ.

■ وَتَجَّ مَا يُسَمَّى بِـ(الْبَيْتِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ)، أَوْ (الْمِيمَاتُ الثَّلَاثُ) نِسْبَةً إِلَى مُحَمَّدٍ وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، وَالْوَاقِعُ أَنَّهُمْ فِي بُعْدٍ عَنِ طَرِيقِهِمْ وَهَدْيِهِمْ؛ بَلْ وَهُوَ بَيْتُ زُورٍ، فَبَيْتُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

■ وَالْبَيْتُ الْإِبْرَاهِيمِيُّ عِنْدَهُمْ يَتَكَوَّنُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَبْنِيَةٍ أَوْ أَقْسَامٍ:

- الْأَوَّلُ: كَنِيسَةٌ يُعْبَدُ فِيهَا عَيْسَى.
- ثَانِيًا: بَيْعَةٌ يَفْعَلُ فِيهَا الْيَهُودُ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ.
- ثَالِثًا: مَسْجِدٌ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ.
- وَلَا يَسْتَقِيمُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُصَلِّيَ مَعَ هَؤُلَاءِ، وَأَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ: أَنْ يَعْتَقِدَ تَضْوِيبَ هَذَا الْفِعْلِ.

❖ وَلَا بُدَّ فِي تَحْقِيقِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مِنْ تَحْقِيقِ ثَمَانِيَةِ شُرُوطٍ:

- أَوَّلُهَا: (الْعِلْمُ الْمُنَافِي لِلْجَهْلِ).
- [٥١] قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].
- ثَانِيهَا: (الْإِخْلَاصُ الْمُنَافِي لِلرِّيَاءِ).
- [٥٢] قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١].
- ثَالِثُهَا: (الْيَقِينُ الْمُنَافِي لِلشَّكِّ).
- [٥٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ

يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥].

- رَابِعُهَا: (الصِّدْقُ الْمُنَافِي لِلْكَذِبِ).

(١٩) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ

مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ». أخرجه البخاري (١٢٨)،

ومسلم (٣٢) عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- **خَامِسُهَا: (الْمَحَبَّةُ الْمُنَافِيَةُ لِلْبُغْضِ).**

[٥٤] قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة: ٥٤].

[٥٥] ﴿ وَمَنْ أَلْنَسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

□ فَمَحَبَّةُ اللَّهِ هِيَ أَصْلُ الدِّينِ، وَالْمَحَبَّةُ فِيهِ أَوْ لَهُ لِمَحَبَّتِهِ، وَالْمَحَبَّةُ مَعَهُ تُضَادُّهُ وَتُنَاقِضُهُ.

- **سَادِسُهَا: (الْإِنْقِيَادُ الْمُنَافِي لِلتَّوَكُّلِ).**

[٥٦] قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ

بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [النور: ٥١].

- **سَابِعُهَا: (الْقَبُولُ الْمُنَافِي لِلرَّدِّ).**

[٥٧] قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ

بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

[النساء: ٦٥].

- **ثَامِنُهَا: (الْكُفْرُ بِالطَّاعُوتِ).**

[٥٨] / [٤] قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ

يَكْفُرْ بِالطَّاعُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفصامَ لَهَا

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وَقَدْ قُلْتُ فِي الْمَنْظُومَةِ الزَّعَكْرِيَّةِ فِي مُهِمَّاتِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ:

شُرُوطُهَا سَبْعٌ وَزِدْهَا وَاحِدًا فَحَقِّقْنَ وَلَا تَكُنَّ مُعَانِدًا
 عِلْمٌ مَحَبَّةٌ يَقِينٌ وَالْقَبُولُ صِدْقٌ وَإِحْلَاصٌ فَحَقِّقْ مَا أَقُولُ
 وَالْكَفْرُ بِالطَّاغُوتِ يَا سَعِيدُ وَالْإِنْقِيَادُ شَرْطُهَا الْأَكِيدُ
 □ فَالْكَفْرُ بِالطَّاغُوتِ أَصْلٌ فِي صِحَّةِ التَّوْحِيدِ.

فَمَنْ حَقَّقَ هَذِهِ الشُّرُوطَ، وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا كَانَ هُوَ الْمُوَحِّدَ ظَاهِرًا بَاطِنًا
 حَقًّا وَصِدْقًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

❖ **تَنْبِيه:** لَيْسَ بِالشَّرْطِ: أَنْ يَحْفَظَ الْعَامِّيُّ مِثْلَ هَذِهِ الشُّرُوطِ، إِنَّمَا الْوَاجِبُ
 أَنْ يَعْمَلَ بِمُقْتَضَاهَا.

لَأَنَّ كَثِيرًا مِنْ عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ إِذَا قُلْتُ لَهُ: مَا هِيَ شُرُوطُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟
 لَا يَدْرِي؛ لَكِنْ فِي الْوَاقِعِ هُوَ مُطَبَّقٌ لَهَا، فَيَكُونُ عَالِمًا بِمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
 وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى صَنْمٍ، وَلَا وَثْنٍ، وَمُحِبًّا لَهَا، وَمُصَدِّقًا بِهَا،
 وَمُخْلِصًا فِيهَا، وَمُنْقَادًا، وَقَابِلًا لَهَا، وَمُسْتَيْقِنًا بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، وَكَانَ كَافِرًا بِمَا
 سِوَاهَا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.



تَفْصِيلُ أَبْوَابِ التَّوْحِيدِ

وَنَفْصِيلُ الْقَوْلِ فِي أَبْوَابِ التَّوْحِيدِ مِنَ الْمُتَعَيِّنَاتِ:

■ وَذَلِكَ؛ لِكثْرَةِ الْعِبَادَاتِ وَالْمُخَالَفَاتِ فِي هَذَا الْبَابِ؛ وَلِتَحْرِيفِ كَثِيرٍ مِنَ

النَّاسِ لِمَعْنَى التَّوْحِيدِ.

فَبَعْدَ أَنْ تَكَلَّمْنَا عَنْ مَعْنَى التَّوْحِيدِ، وَفَضْلِهِ وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ، نَأْسَبُ الْكَلَامَ عَنْ: أَعْمَالِ التَّوْحِيدِ، كُلِّ وَاحِدٍ عَلَى حَدِيثِهِ؛ لِيَعْلَمَ الْمُسْلِمُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَمُعْتَقَدَاتِهِ.

■ وَذَلِكَ أَنَّ التَّوْحِيدَ: قَوْلٌ، وَفِعْلٌ، وَاعْتِقَادٌ.

■ وَأَفْعَالُ الْمُكَلِّفِينَ لَا تَخْرُجُ عَنْ هَذَا الْبَابِ، فَمَنْ وَحَّدَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ فِي أَعْمَالِهِ

وَأَقْوَالِهِ وَمُعْتَقَدَاتِهِ، فَهُوَ الْمُسْلِمُ، وَمَنْ لَا؛ فَلَا.

﴿ وَإِنَّا لَنَرَى وَنَلْمَسُ وَنُشَاهِدُ وَنَعْلَمُ: أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَعْمَالِ التَّوْحِيدِ الَّتِي

يَجِبُ أَنْ تُصْرَفَ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ قَدْ صُرِفَتْ لِغَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ الْمَرْبُوبِينَ، فَتَجِدُ أَنَّ (النَّصَارَى) يُصْرَفُونَهَا لِعِيسَى وَأُمَّه.

وَ(الْيَهُودَ) لَهُمْ حِطٌّ كَبِيرٌ مِنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ، سِوَاءَ فِي عِبَادَةِ عَزَّجَلَّ أَوْ غَيْرِهِ.

وَتَجِدُ أَنَّ (عِبَادَ الْقُبُورِ) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُصْرَفُونَ الْعِبَادَاتِ أَوْ بَعْضَهَا لِغَيْرِ

اللَّهِ عَزَّجَلَّ.

- فَيُشْرِكُونَ فِي الْأَقْوَالِ: كَدُعَاءِ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ.
- وَيُشْرِكُونَ بِالْأَفْعَالِ: كَالذَّبْحِ، وَالنَّذْرِ لِعَيْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.
- وَيُشْرِكُونَ فِي عَقَائِدِهِمْ: كَتَوَكُّلِهِمْ وَعَعْتِمَادِهِمْ عَلَى الْمُقْبُورِينَ الْمَرْبُوبِينَ.

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي رُبَّمَا فَاقُوا فِيهَا أَفْعَالَ مُشْرِكِي الْعَرَبِ الْأَوَائِلِ.

- وَ(التَّوْحِيدُ) هُوَ: عِبَادَةُ اللَّهِ بِالْإِخْلَاصِ.
- تَقَدَّمَ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِمَا يَحِبُّ لَهُ، وَهُوَ هُنَا إِفْرَادُ اللَّهِ بِأَفْعَالِ الْمُكَلَّفِينَ.

📖 وَيُسَمَّى هَذَا النَّوعُ:

- بِ(تَوْحِيدِ الْأُلُوْهِيَّةِ).
- وَرُبَّمَا سُمِّيَ بِ(تَوْحِيدِ الْقَصْدِ)؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ يَقْصِدُ بِعِبَادَتِهِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.
- وَبِ(تَوْحِيدِ النِّيَّةِ)؛ لِأَنَّهُ لَا قَبُولَ لِعَمَلِ الْعَبْدِ إِلَّا بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.
- وَ(تَوْحِيدِ الطَّلَبِ)؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ طَلَبَ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ مِنَ الْمُكَلَّفِ.
- وَأَسَّ وَأَسَّاسُ هَذِهِ الْعِبَادَةِ: الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي كُلِّ عِبَادَةٍ.

[٥٩] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ

وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥٥﴾ [البينة: ٥].

[٦٠] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

[٦١] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ

لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ
أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾﴾ [الزمر: ١١-١٤].

[٦٢] وَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

[الزمر: ٦٦].

﴿وَقَالَ الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

"إِذَا أَمَرَ اللَّهُ الْعَبْدَ بِأَمْرٍ، وَجَبَ عَلَيْهِ فِيهِ سَبْعُ مَرَاتِبَ:

- الْعِلْمُ بِهِ.

- مَحَبَّتُهُ.

- الْعَزْمُ عَلَى الْفِعْلِ.

- الْعَمَلُ.

- كَوْنُهُ يَقَعُ عَلَى الْمَشْرُوعِ خَالِصًا صَوَابًا.

- التَّحْذِيرُ مِنْ فِعْلِ مَا يُحْبِطُهُ.

- الثَّبَاتُ عَلَيْهِ". اهـ الدرر السنية (ج ٢ / ٧٤ ص).

■ فَيَتَعَيَّنُ عَلَى الْعَبْدِ إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ تَعَالَى لَا يُشْرِكُ مَعَهُ غَيْرَهُ، لَا مَلَكًا

مُقَرَّبًا، وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا.

﴿ فَلَآ يَقْبَلُ اللّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ عَامِلٍ عَمَلًا كَيْفَ كَانَ إِلَّا بِأَمْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ ﴾

جَلِيلَيْنِ:

- **الأوّل:** تَوْحِيدُ الْمُرْسَلِ.

○ وَهُوَ: اللّهُ عَزَّوَجَلَّ.

- **الثّاني:** تَوْحِيدُ الْمُرْسَلِ.

○ وَهُوَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿ وَيُعْبَرُ عَنْهُمَا:

- بِالْإِخْلَاصِ.

- وَالْمُتَابَعَةَ.

■ فَهُمَا: شَرْطَا قُبُولِ الْعَمَلِ لِمَنْ عُمِلَتْ وَكَيْفَ عُمِلَتْ.

فَإِنْ عُمِلَتْ لِلّهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَى طَرِيقِ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُبِلَ عَمَلُكَ.

وَإِنْ عُمِلَتْ لِلّهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَى غَيْرِ طَرِيقِ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَوْ عُمِلَتْ لِغَيْرِ اللّهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَى طَرِيقِ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَبِطَ عَمَلُكَ.

□ وَاعْتِبَارُ مَا صَدَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِبَادَةً؛ مَوْقُوفٌ عَلَى قُضْدِهِ التَّعَبُّدِ.

﴿ وَاعْلَمْ - وَفَقَّكَ اللّهُ لِسُنَّتِهِ - أَنَّ الْمُتَابَعَةَ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْعَمَلُ قَدْ

وَافَقَ الشَّرِيعَةَ فِي سِتَّةِ أُمُورٍ؛ وَإِلَّا فَالْعَمَلُ بَاطِلٌ مَرْدُودٌ:

- **(السَّبَبُ):** أَنْ يَكُونَ الْبَاعِثُ عَلَى الْعِبَادَةِ سَبَبًا شَرْعِيًّا.

- **(الْجِنْسُ):** أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ مِنْ جِنْسِ مَا شَرَعَهُ اللّهُ.

- **(الْقَدْرُ):** أَنْ يَكُونَ بِالْقَدْرِ الْمَشْرُوعِ لَا أَكْثَرَ وَلَا أَقَلَّ.

- **(الْكَفِيَّةُ):** أَنْ يَقَعَ الْعَمَلُ عَلَى الْكَفِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ.

- (الزَّمَانُ): أَنْ يَكُونَ فِي الزَّمَنِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ.
- (المَكَانُ): أَنْ يَكُونَ فِي المَكَانِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ.

[٦٣] وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ ﴿٢﴾ [المك: ٢].

■ وَأَحْسَنُهُ: أَخْلَصُهُ، وَأَصُوبُهُ.

- فَالإِخْلَاصُ: لِلَّهِ عَزَّجَلَّ.

- وَالصَّوَابُ: مَا كَانَ عَلَى طَرِيقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢٠) وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ». أَخْرَجَهُ البخاري (٦٩٥٣)، ومسلم (١٩٠٧).

• أَيُّ: قَبُولًا وَرَدًّا.

■ فَمَنْ صَلَحَتْ نِيَّتُهُ قَبْلَ عَمَلِهِ، وَمَنْ فَسَدَتْ نِيَّتُهُ رَدَّ عَمَلَهُ.

○ وَ(المُخْلِصُ): فِي عِبَادَتِهِ هُوَ: السَّالِمُ مِنْ تَرْبُصٍ وَمَكْرِ الشَّيْطَانِ، حَيْثُ

أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَنْهُ.

[٦٤] بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ فِيعَزَّتِكَ لِأَعْوِيَتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ

المُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

[٦٥] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ

الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَعْوَيْتَنِي لِأَزِينَنَّ لَهُمْ فِي

الأَرْضِ وَلاَعْوِيَتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ المُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ [الحجر: ٣٧-

وَقَدْ أَحْسَنَ السَّعْدِيُّ رَحْمَةَ اللَّهِ إِذْ يَقُولُ:

النِّيَّةُ شَرْطٌ لِصَالِحِ الْعَمَلِ بِهَا الصَّلَاحُ وَالْفَسَادُ لِلْعَمَلِ
□ وَيَتَعَيَّنُ الْإِخْلَاصُ فِي كُلِّ عِبَادَةٍ.

○ إِذْ أَنَّ (الْعِبَادَةَ) هِيَ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ
وَالْأَفْعَالِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ.

- فَعَلَى هَذَا فَصَرَفُ الْعِبَادَاتِ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ: تَوْحِيدٌ.

- وَصَرَفُهَا لِغَيْرِهِ: شِرْكٌ وَتَنْدِيدٌ.

○ وَ(التَّوْحِيدُ): هُوَ: الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ.

○ وَقَدْ عَرَّفَ الْعُلَمَاءُ (الْإِخْلَاصَ) بِأَنَّهُ: تَرْكُ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، وَهُوَ إِسْلَامُ

الْوَجْهِ لِلَّهِ بِإِخْلَاصِ الْقَصْدِ وَالْعَمَلِ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَمَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَدِلَّةِ يَأْمُرُ اللَّهُ بِعِبَادَتِهِ نَفْسِهِ بِالْإِخْلَاصِ.

[٦٦] قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

● ﴿فَادْعُوهُ﴾ أَي: اعْبُدُوهُ.

[٦٧] / [٢] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ

مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ [الزمر: ٢].

● قَالَ الْمَنَاوِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ: (الْإِخْلَاصُ) تَخْلِيصُ الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ يُكَدِّرُ

صَفَاءَهُ، فَكُلُّ مَا يُنْصَوَّرُ أَنْ يَشُوبَ غَيْرَهُ، فَإِذَا صَفَا عَنْ شَوْبِهِ وَخَلَصَ مِنْهُ

يُسَمَّى خَالِصًا. اهـ. التوقيف على مهمات التعاريف (٤٢).

■ فَتَعَيَّنَ أَنَّ شَرْطَ الْعَمَلِ: الْإِخْلَاصُ فِي كُلِّ طَاعَةٍ، فَمَنْ جَعَلَ هَذِهِ الطَّاعَةَ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَقَدْ أَشْرَكَ وَنَدَّدَ.

قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ (١٥٧/١): قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

"تَرَكَ الْعَمَلَ لِأَجْلِ النَّاسِ: رِيَاءٌ.

وَالْعَمَلُ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ: شِرْكٌ.

وَالْإِخْلَاصُ: أَنْ يُعَافِيكَ اللَّهُ مِنْهُمَا". اهـ.

وَلَا أَشَدَّ عَلَى النَّفْسِ مِنَ الْإِخْلَاصِ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: "عَالَجْتُ نَفْسِي فِي الْإِخْلَاصِ خَمْسِينَ سَنَةً".

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.



الصَّلَاةُ وَالذَّبْحُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ

■ وَمِنْ أَشْهَرِ وَأَكْثَرِ عِبَادَاتِ الْمُؤَحِّدِينَ: (الصَّلَاةُ، وَالذَّبْحُ).

[٦٨] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

[٦٩] / [١] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر: ٢].

[٧٠] وَقَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى

مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَاتِهِ الْأَنْعَامِ فَالْهَيْكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَلهُ أَسْمَاءُ وَبَشِيرِ الْمُحْيِينَ﴾

[الحج: ٣٤].

■ فَهَذِهِ عِبَادَاتٌ جَلِيلَاتٌ عَلَيْنَا فَعَلَّهَا لِلَّهِ عَزَّجَلَّ تَوْحِيدًا.

(٢١) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ

الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ». أخرجه مسلم (٨٢).

(٢٢) وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ

لِغَيْرِ اللَّهِ». أخرجه مسلم (١٩٧٨).

■ وَالصَّلَوَاتُ مِنْهَا الْفَرَائِضُ وَمِنْهَا الْمُسْتَحَبُّ.

■ وَهَكَذَا الشُّكُّ مِنْهُ الْفَرَضُ: كَدَمِ التَّمَتُّعِ وَالْقِرَانِ، وَمِنْهُ الْمُسْتَحَبُّ:

كَالْعَقِيقَةِ وَالْأَضْحِيَّةِ، وَالْهَدْيِ الْمُتَطَوِّعِ بِهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ النَّدْوَرِ الَّتِي يَلْتَزِمُهَا

العَبْدُ.

فَيَتَعَيَّنُ عَلَى الْعِبَادِ إِخْلَاصُ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَقْبَلُ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا صَوَابًا، فَمَنْ أَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ غَيْرَهُ فِي عِبَادَتِهِ سَوَاءً كَانَ بِالرِّيَاءِ وَنَحْوِهِ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْهُ طَاعَتَهُ.

□ لِأَنَّ الطَّاعَةَ لَا تَكُونُ طَاعَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، أَمَا إِنْ تَجَرَّدَتْ عَنْهُ فَلَيْسَتْ بِطَاعَةٍ وَلَا قُرْبَةٍ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

• قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "يَأْمُرُهُ تَعَالَى أَنْ يُخْبِرَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ، وَيَذْبَحُونَ لِغَيْرِ اسْمِهِ أَنَّهُ: مُخَالِفٌ لَهُمْ فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّ صَلَاتَهُ لِلَّهِ وَنُسُكَهُ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ" اهـ التفسير (٣/٣٤٣).

[٧٨] / [٢] وَهَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر: ٢].

• أَي: "اخْلِصْ لَهُ صَلَاتَكَ وَذَبِيحَتَكَ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيَذْبَحُونَ لَهَا؛ فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمُخَالَفَتِهِمْ وَالْإِنْحِرَافِ عَمَّا هُمْ فِيهِ، وَالْإِقْبَالِ بِالْقَصْدِ وَالنِّيَّةِ وَالْعَزْمِ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى". اهـ
فَظَهَرَ بِمَجْمُوعِ الْأَدِلَّةِ:

■ أَنَّ عَلَى الْمُكَلَّفِ أَنْ يُخْلِصَ دِينَهُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي حَالِ عِبَادَتِهِ وَصَلَاتِهِ وَتَقَرُّبِهِ بِالذَّبْحِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ بَابٌ دَقِيقٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ.
فَعَلَى الْمُسْلِمِ: أَنْ يَتَنَبَّهُ مِنْ شُبُهَةِ الْمُشْرِكِينَ، أَوْ الْمُخَالِفِينَ فِي التَّوْحِيدِ وَغَيْرِهِ.

■ وَهَكَذَا مَا كَانَ مِنَ الذَّبْحِ لِلضَّيْفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الذَّبَائِحِ، فَهَذِهِ مَا ذُوقُوا

فِيهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

ثُمَّ إِنَّهُ عِنْدَ ذَبْحِهَا يُسَمِّي اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهَا.

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

■ فَالصَّلَاةُ تَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِأَفْعَالٍ وَأَقْوَالٍ شَرَعَهَا، بَيْنَهَا رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

■ وَالذَّبْحُ تَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِدَمٍ يُذْبَحُ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ مِنَ التَّسْمِيَةِ

وَمَوَاضِعِ الذَّبْحِ.

■ وَفِي الْأُضْحَى مِنْ أَشْهُرِ الْعِبَادَاتِ حَتَّى قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]. صَلَاةُ الْعِيدِ، وَالنَّحْرُ ذَبْحُ الْأُضْحِيَّةِ،

وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



التَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

■ وَمِنْ أَشْهَرِهِ، وَأَذْكَرِهِ، وَأَوْجِبِ عِبَادَاتِ الْمُؤَحِّدِينَ لَهُوَ: (التَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ).
○ وَذَلِكَ: بِصِدْقِ الْإِعْتِمَادِ عَلَيْهِ فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ.

[٧٢] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فُتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾

[المائدة: ٢٣].

■ وَالتَّوَكَّلُ: وَاجِبٌ وَفَرَضٌ وَحَتْمٌ.

[٧٣] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ أَمْرٌ لَنَا: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى

الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾﴾

[الفرقان: ٥٨].

[٧٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢٧﴾ الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢٨﴾

وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجِدِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠].

[٧٥] وَقَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣].

[٧٦] / [١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ

كُلُّهُ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

فَانظُرْ إِلَى كَثْرَةِ الْأَمْرِ الْإِلَهِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي وُجُوبِ وَتَعْيِينِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَالْإِعْتِمَادِ عَلَيْهِ فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَحْتَاجُ إِلَى هَذَا الْبَابِ إِلَّا إِذَا كَانَ قَدْ فَسَدَ قَلْبُهُ.

■ فَأَلْمُرْ إِلَى اللَّهِ فِي الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَالْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ فِي الْقَبُولِ وَالرَّدِّ، وَلِذَلِكَ يَتَعَيَّنُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ فَيَعْتَمِدَ عَلَيْهِ وَيَصْدُقَ فِي الْإِعْتِمَادِ عَلَيْهِ.

﴿وَأَلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [٧٧] / [٢] قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ:

[هود: ١٢٣].

• أَمْرُ الطَّاعَةِ، وَأَمْرُ الْعِبَادَةِ، وَأَمْرُ الرِّزْقِ، وَأَمْرُ الْعَافِيَةِ، وَأَمْرُ السَّلَامَةِ كُلُّهُ يَعُودُ إِلَى اللَّهِ، فَوَحْدَهُ وَاعْتَمِدْ عَلَيْهِ، وَأَمِّلْ مِنْهُ الْخَيْرَ الْعَظِيمَ.

(٢٣) وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا». أخرجه أحمد (٢٠٥).

• الطَّيْرُ لَا تَدَّخِرُ، وَإِنَّمَا رِزْقُهَا فِي يَوْمِهَا؛ لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ تَفْعَلُ السَّبَبَ، تَخْرُجُ لِلْبَحْثِ عَنِ الرِّزْقِ، وَتَعُودُ وَقَدْ شَبِعَتْ، مِنَ الَّذِي أَعْطَاهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

■ فَلَوْ أَنَّ النَّاسَ يَصْدُقُونَ فِي التَّوَكُّلِ مَعَ اللَّهِ مَعَ فِعْلِ الْأَسْبَابِ، لَجَاءَهُمُ الْخَيْرُ الْعَظِيمُ مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.

(٢٤) وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ: مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْفُونَ وَلَا يَكْتُونُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢١٨).

■ وَعَلَى الْمُؤْمِنِ الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ (التَّوَكُّلُ)، وَلَيْسَ (التَّوَاكُلُ).

(٢٥) فَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ قَدْ ظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ.
وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللَّهِ، وَمَعَ ذَلِكَ أَخَذَ السَّبَبَ لِاتِّقَاءِ ضَرْبَاتِ
السُّيُوفِ.

[٧٨] وَكَانَ يَتَّخِذُ حِرَاسَةً حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

[المائدة: ٦٧].

(٢٦) وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ، - وَيُحَسِّنُهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ - عَنْ
أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلْهَا وَاتَّوَكَّلْ، أَوْ أُطْلِقْهَا
وَآتَوَكَّلْ؟ قَالَ: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ». أخرجه الترمذي (٢٥١٧).

• وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ الْإِعْتِمَادَ عَلَى اللَّهِ فِي حِفْظِهَا، وَعَقْلِهَا لَا يُنَافِي الْأَخْذَ
بِالْأَسْبَابِ، وَلَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ.

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ (ص: ٤٠٩):
○ "حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ: صِدْقُ الْإِعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ
الْمَضَارِّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَكِلَاهُمَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَمَعَ
ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِالسَّعْيِ فِي الْأَسْبَابِ، فَالْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ طَاعَةٌ لَهُ.

○ وَ(التَّوَكُّلُ) عَلَيْهِ إِيمَانٌ بِهِ هُوَ: صِدْقُ إِعْتِمَادِ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ فِي
اسْتِجْلَابِ الْمَصَالِحِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ".

• وَقَالَ ابْنُ قَدَّامَةَ فِي مُخْتَصَرِ مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ (٣٣٢): " (التَّوَكُّلُ) عِبَارَةٌ
عَنْ إِعْتِمَادِ الْقَلْبِ عَلَى الْمُوَكَّلِ، وَلَا يَتَوَكَّلُ الْإِنْسَانُ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا إِذَا اعْتَقَدَهُ.
اعْتَقَدَ فِيهِ أَشْيَاءَ: الشَّفَقَةَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْهِدَايَةَ، فَإِذَا عَرَفَتْ هَذَا فِقَسَ عَلَيْهِ
التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَإِذَا ثَبَتَ فِي نَفْسِكَ أَنَّهُ لَا فَاعِلَ سِوَاهُ، وَاعْتَقَدْتَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ تَامَ الْعِلْمُ
وَالْقُدْرَةُ وَالرَّحْمَةُ، وَأَنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ قُدْرَتِهِ قُدْرَةٌ، وَلَا وَرَاءَ عِلْمِهِ عِلْمٌ، وَلَا وَرَاءَ
رَحْمَتِهِ رَحْمَةٌ اتَّكَلَّ قَلْبُكَ عَلَيْهِ وَحْدَهُ لَا مَحَالَةَ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى غَيْرِهِ
بِوَجْهِ "اهـ.

■ إِذَا مَا سَبَبُ عَدَمِ الْاعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ؟

[٧٩] ضَعْفُ الْعِلْمِ فِيمَا لِلَّهِ عَزَّجَلَّ مِنْ عَظِيمِ الصِّفَاتِ، وَإِلَّا فَهُوَ تَامٌ الْقُدْرَةَ
لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ، تَامٌ الْعِلْمِ لَا يُخْفِي عَلَيْهِ شَيْءٌ، تَامٌ الرَّحْمَةَ، كَامِلُ الرَّحْمَةَ:
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].
إِذَا الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ أَنْ يُبَادِرَ إِلَى اللَّهِ، وَيَرْجُو مِنْهُ الْخَيْرَ الْعَظِيمَ وَيُؤْمَلُ.

■ قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَدَارِجِ السَّالِكِينَ (١١٣/٢):

- التَّوَكُّلُ نِصْفُ الدِّينِ.

- وَالنِّصْفُ الثَّانِي الْإِنَابَةُ.

□ فَإِنَّ الدِّينَ اسْتِعَانَةٌ، وَعِبَادَةٌ.

○ فَ(التَّوَكُّلُ) هُوَ: الْإِسْتِعَانَةُ، وَالْإِنَابَةُ هِيَ الْعِبَادَةُ.

وَقَدْ قِيلَ: الْاعْتِمَادُ عَلَى السَّبَبِ شِرْكٌ وَتَرْكُ السَّبَبِ قَدْحٌ فِي الشَّرِيعَةِ "اهـ.

• يَعْنِي: كَوْنُكَ تَفْعَلُ السَّبَبَ فِي جَلْبِ الرِّزْقِ وَدَفْعِ الضَّرِّ؛ لَكِنْ تَعْتَقِدُ أَنَّ
هَذَا هُوَ السَّبَبُ، وَهَذَا هُوَ الدَّافِعُ، وَهَذَا هُوَ الرَّافِعُ، هَذَا شِرْكٌ، بَلِ الدَّافِعُ
وَالرَّافِعُ هُوَ اللَّهُ.

■ وَتَرَكَ الْعَمَلَ بِالسَّبَبِ قَدْحٌ فِي الشَّرِيعَةِ، تَقُولُ أَنَا، مَا سَأَعْمَلُ، وَإِذَا كَانَ لِي رِزْقٌ سَيَأْتِي، فَلَا يَأْتِي الرِّزْقُ إِلَّا بِالْعَمَلِ.

[٨٠] قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [١٥] ﴿[الملك: ١٥].

■ وَهَكَذَا: لَا تُنَالِ الْجَنَّةَ إِلَّا بِالْعَمَلِ.

[٨١] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٧٢]

[الزخرف: ٧٢].

■ وَأَمَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِمَّنْ لَا حَظَّ لَهُ مِنْ فَهْمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أَنْ فَعَلَ الْأَسْبَابَ يُنَاقِضُ، أَوْ يُخَالِفُ التَّوَكُّلَ، فَهَذَا لِجَهْلِهِ بِالتَّوْحِيدِ وَلِلشَّرِيعَةِ، فَمَا زَالَ الْأَنْبِيَاءُ، وَهُمْ أَعْظَمُ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ يَفْعَلُونَ الْأَسْبَابَ، فَكَانَ زَكَرِيَّا نَجَارًا، وَدَاوُدُ حَدَادًا.

[٨٢] وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَازَ قِصْبَ السَّبَقِ فِي ذَلِكَ حِينَ قِيلَ لَهُ:

﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ

الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

(٢٧) وَإِبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ قَالَ: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»

فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ دُعَاءَهُ. أخرجه البخاري برقم (٤٥٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[٨٣] وَقَالَ: ﴿فَلَمَّا يَكُنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [٦٩] ﴿[الأنبياء: ٦٩].

■ وَالْعَجَبُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَعْتَمِدُونَ عَلَى الْمُقْبُورِينَ، وَالْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ، فِي جَلْبِ مَنَافِعِهَا وَدَفْعِ مَضَارِّهَا، وَتَسْمَعُ هَذَا يَقُولُ فِي كَلَامِهِمْ وَتَلَحُّظُهُ فِي أفعالِهِمْ: (أنا بك)، وَنَحْوِ ذَلِكَ، لَا يَقُولُ: (أنا بالله)، وَلَا يَرْجِعُ

إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَرَبِّمَا دَعَا ابْنَ عَلْوَانَ مِنْ دُونِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،
وَعَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُقْبُورِينَ الْمَرْبُوبِينَ.
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.



الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ

■ الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ، وَقَدْ يُعْبَرُ عَنْهُمَا بِ(الصَّلَاةِ)، وَيُعْبَرُ بِهِمَا عَنِ الصَّلَاةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهَاتَانِ عِبَادَتَانِ جَلِيلَتَانِ لَا يَجُوزُ بِحَالٍ أَنْ تُصْرَفَا لِأَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ الْمَرْبُوبِينَ.

[٨٤] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧].

[٨٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

• وَالْمُرَادُ بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ الصَّلَاةِ، فَهَمَّا مِنْ أَظْهَرِ أَعْمَالِهَا.

[٨٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾﴾ [العلق: ١٩].

[٨٧] وَقَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ خُلَصِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الْآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

[٨٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَمْرِيءُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾

[٨٩] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ

وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٦٦﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

[٩٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ

وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ [النحل: ٤٩].

[٩١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا

يَتْلَى عَلَيْهِمْ يُحْزِنُونَ لِلَّذِينَ سَجَدَا ﴿١٧﴾ [الإسراء: ١٠٧].

[٩٢] وَقَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ خُلَصِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ

سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿٦٤﴾ [الفرقان: ٦٤].

[٩٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ

وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ [مريم: ٥٨].

[٩٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ

بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

[٩٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا فُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا

يَسْجُدُونَ ﴿٦٠﴾ [الانشقاق: ٢٠-٢١].

■ فَمِمَّا تَقَدَّمَ يَظْهَرُ بِشَكْلِ وَاضِحٍ لِكُلِّ مُكَلَّفٍ يَفْهَمُ خِطَابَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ أَنَّ

الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ، فَلَا تُصْرَفُ هَذِهِ الْعِبَادَةُ لِأَلَيْبِيٍّ مُرْسَلٍ، وَلَا لِمَلِكٍ مُقَرَّبٍ.

(٢٨) وَجَاءَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ: وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»، مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (١١٥٩) وَأَحْمَدُ (١٩٤٠٣).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيَّ: أَنَّ السُّجُودَ لِغَيْرِ اللَّهِ مُحَرَّمٌ". اهـ المجموع (٣٥٨/٤).

وَقَالَ أَيْضًا: "لَا يَجُوزُ السُّجُودُ لِغَيْرِ اللَّهِ مِنَ الْأَحْيَاءِ، وَالْأَمْوَاتِ، وَلَا تَقْبِيلُ الْقُبُورِ، وَيَعَزُّرُ فَاعِلُهُ". اهـ المجموع (٣٥٩/٤).

وَقَالَ الرَّحْبِيَانِيُّ: "أَوْ سَجَدَ لِصَنَمٍ، أَوْ كَوَّكَبٍ كَشَمْسٍ، أَوْ قَمَرٍ كَفَرَ؛ لِأَنَّهُ أَشْرَكَ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيَتَّجِهَ السُّجُودُ لِلْحُكَّامِ وَالْمَوْتَى بِقَصْدِ الْعِبَادَةِ؛ كَفَرٌ قَوْلًا وَاحِدًا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَالتَّحِيَّةُ لِمَخْلُوقٍ بِالسُّجُودِ لَهُ كَبِيرَةٌ مِنَ الْكِبَائِرِ الْعِظَامِ". اهـ مطالب أولي النهى (٢٧٨/٦).

■ فَعَلَى الصَّحِيحِ: أَنَّهُ كَفَرٌ بِإِطْلَاقٍ، إِلَّا لِمَنْ جَهَلَ ذَلِكَ، فَيَنبَهُ وَيُعَلِّمُ، فَإِنْ اسْتَمَرَ كَفَرَ؛ لِأَنَّهُ صَرَفَ عِبَادَةَ لِغَيْرِ اللَّهِ.

فِيمَا تَقَدَّمَ يُعَلَّمُ: أَنَّ السُّجُودَ وَالرُّكُوعَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّجَلَّ عِبَادَةَ جَلِيلَةً، فَمَنْ صَرَفَهَا لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ.

❖ وَأَمَّا سُجُودُ الْمَلَائِكَةِ لِأَدَمَ؛ فَهُوَ سُجُودُ تَحِيَّةٍ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.

❖ وَأَمَّا سُجُودُ إِخْوَةِ يُوسُفَ لَهُ فَكَذَلِكَ، وَلَعَلَّ هَذَا كَانَ جَائِزًا فِي شَرِيْعَتِهِمْ.

فَمَا يَفْعَلُهُ عَبَادُ الْقُبُورِ عِنْدَ الْأَضْرِحَةِ مِنَ السُّجُودِ وَالرُّكُوعِ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ، مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

(٢٩) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السُّجْدَةَ فَسَجَدَ انْعَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَا وَيْلَهُ أَوْ يَا وَيْلِي أَمَرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَلَمْ أَسْجُدْ فَلِي النَّارُ». أخرجه مسلم (٨١).

■ وَتَلَا حِظُّ: أَنَّ عِبَادَ الْقُبُورِ، وَعِبَادَ الْأَصْنَامِ، وَالْأَوْثَانَ يَعْمَلُونَ هَذِهِ الْفِعْلَةَ بِدُونِ تَحْرِجٍ أَوْ وَرَعٍ.

■ فَلَا يَجُوزُ وَضْعُ الْجَبْهَةِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دَلِيلًا عَلَى الْخُضُوعِ لَهُ، وَالْخُشُوعِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْإِنْقِيَادِ لِأَمْرِهِ.

■ ثُمَّ إِنَّ السُّجُودَ لَا يَصْلُحُ مُسْتَقِلًّا إِلَّا فِي حَالَيْنِ:

- سُجُودُ الشُّكْرِ.

- سُجُودُ التَّلَاوَةِ.

وَالْإِلَّا فَلَيْسَ هُوَ عِبَادَةً مُنْفَرِدَةً.

وَأَمَّا الرُّكُوعُ، فَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي الصَّلَاةِ.

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.



الدُّعَاءُ وَالِاسْتِعَانَةُ وَالِاسْتِغَاثَةُ وَالِاسْتِعَاذَةُ

النَّاسُ بِحَاجَةٍ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي كُلِّ حِينٍ، وَلَا غِنَى لَهُمْ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ،
وَلِهَذَا شَرَعَ لَهُمُ الدُّعَاءَ، فَهِيَ عِبَادَةٌ قَوْلِيَّةٌ عَظِيمَةٌ.

[٩٦] ■ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

[٩٧] ■ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ

دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(٣٠) ■ وَعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّعَاءُ

هُوَ الْعِبَادَةُ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٢٤٧).

(٣١) ■ وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الدُّعَاءُ مَعُ الْعِبَادَةِ»؛ وَلَكِنَّهُ ضَعِيفٌ

مِنْ طَرِيقِ ابْنِ لَهَيْعَةَ.

فَهَذِهِ الْأَدِلَّةُ دَالَّةٌ عَلَى عَظِيمِ شَأْنِ الدُّعَاءِ، وَأَنَّهُ عِبَادَةٌ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، كَمَا تَتَعَبَّدُ لَهُ

بِالصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، تَتَعَبَّدُ لَهُ بِالدُّعَاءِ، بَلْ إِنَّ الدُّعَاءَ أَكْثَرُ

الْعِبَادَاتِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالسَّرِّ وَالْجَهَارِ،

وَالْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، وَفِي كُلِّ حَالٍ، وَالْإِنْسَانُ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ ضَرُورَةً، لَا يَسْتَغْنِي

عَنْهُ.

[٩٨] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأَنْفَال: ٩].

(٣٢) وَبَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً بَدْرٍ يَدْعُو اللَّهَ طَوِيلًا، حَتَّى سَقَطَ الرَّدَاءُ مِنْ عَلِيٍّ جَنْبِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٧٦٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣٣) وَهَكَذَا يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنَ بِاللهِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٥١٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣٤) وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِحْرِضْ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٦٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[٩٩] وَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِقَوْمِهِ: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَأَصْبِرُوا﴾ [الأَعْرَافُ: ١٢٨]

(٣٥) وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَثَّ عَلَيْهِ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٥٢٢) عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ بِشَيْءٍ إِنْ لَمْ يُعِثْهُ اللهُ، بَلْ إِنْ الْعَطَبَ فِيمَا يَظُنُّهُ سَلَامًا.
إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَى فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ

■ وَمَدَارُ الْعِبَادَةِ عَلَى إِفْرَادِ اللهِ بِالْعَمَلِ، مَعَ الْإِسْتِعَانَةِ بِهِ.

[١٠٠] قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَةُ: ٥].

بَلْ إِنَّ (الْبَاءَ) فِي (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) لِلِاسْتِعَانَةِ، فَأَنْتَ حِينَ تَقُولُ: (بِسْمِ اللهِ) قَبْلَ أَكْلِكَ، وَقَبْلَ قِرَاءَتِكَ، وَقَبْلَ كِتَابَتِكَ، كُلُّ هَذَا اسْتِعَانَةٌ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِحَاجَتِكَ إِلَيْهِ، وَعَدَمِ اسْتِعْنَاكَ عَنْهُ.

[١٠١] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾

[١٠٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٥٥﴾

[الأعراف: ٥٥].

[١٠٣] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ﴿٩٧﴾

وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨].

■ فَهَذِهِ عِبَادَاتٌ جَلِيلَاتٌ: الدُّعَاءُ، وَالِاسْتِعَاثَةُ، وَالِاسْتِغَاثَةُ، وَالِاسْتِعَاذَةُ، لَا يَجُوزُ أَنْ تُطَلَّبَ وَتُضَرَفَ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

■ وَضَرَفُهَا لِغَيْرِهِ مِنْ مَلِكٍ مُقَرَّبٍ، أَوْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، أَوْ مَيِّتٍ، أَوْ حَجَرٍ، أَوْ شَجَرٍ شَرِكٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.

■ وَإِنَّمَا أَبَاحَ اللَّهُ الطَّلَبَ مِنْ حَيٍّ حَاضِرٍ قَادِرٍ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ تَتَوَفَّرْ فِيهِ هَذِهِ الشُّرُوطُ، فَضَرَفُ الطَّلَبِ إِلَيْهِ وَرَجَاءُ الْإِعْطَاءِ مِنْهُ يُخَالِفُ الْمُعْتَقَدَ الصَّحِيحَ فِيمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ.

■ وَالْمُتَأَمِّلُ لِأَحْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ يَجِدُ أَنَّهُمْ قَامُوا بِهَذَا الْأَمْرِ خَيْرَ قِيَامٍ، وَالتَّزَمُوهُ فِي كُلِّ حَالٍ، عَلَّقُوا قُلُوبَهُمْ بِاللَّهِ، وَانْطَلَقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِدُعَاءِ اللَّهِ، وَالِاسْتِعَاثَةِ، وَالِاسْتِغَاثَةِ، وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ أَوْ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ.

(٣٦) كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَزَلَ مِنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ

بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ

ذَلِكَ». أخرجه مسلم (٢٧٠٨) عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها.

(٣٧) وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ

وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». أخرجه أبو داود (٤٦٦) عن

عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

■ فَتَعَيَّنَ وَتَلَخَّصَ: أَنَّ عِبَادَةَ الدُّعَاءِ، وَمَا يَدْخُلُ تَحْتَهَا مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ وَأَرْجَى الطَّاعَاتِ، وَلَا يَجُوزُ صَرْفُهَا لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، بَلْ عَلَى الْمُوَحِّدِ أَنْ يَلْتَزِمَهُ فِي حَالِ الشَّدَّةِ، وَالرِّخَاءِ، وَالسَّرَّاءِ، وَالضَّرَّاءِ دَاعِيًا اللَّهُ عَزَّجَلَّ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهِ بِالْخَيْرِ الْعَظِيمِ، وَأَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ الشَّرَّ الْكَثِيرَ، وَأَنْ يُصَلِّحَ دُنْيَاهُ وَأَخْرَاهُ، فَيَبِيدَ النَّفْعَ وَالضَّرَّ، وَأَمَّا مَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِغَيْرِ اللَّهِ وَدَعَا غَيْرَهُ فَانْقَطَعَ عُمُرُهُ وَتَحَقَّقَ ضَرْهُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

○ وَ(الدُّعَاءُ) هُوَ: الطَّلَبُ لَكِنْ مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى وَهُوَ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ.

📌 أَمَّا مَا يَقَعُ بَيْنَ النَّاسِ مِنَ الطَّلَبِ الْمَبَاحِ فَلَا حَرَجَ مِنْهُ، وَيُسَمَّى:

(إِلْتِمَاسًا).

وَالطَّلَبُ مِنَ الْغَيْرِ عَلَى وَجْهِ الْاسْتِعْلَاءِ، يُسَمَّى: (أَمْرًا).

وَقَدْ يَكُونُ طَلَبٌ تَرْكٌ، فَيُسَمَّى: (نَهْيًا) وَلِذَلِكَ قِيلَ:

أَمْرٌ مَعَ اسْتِعْلَاءٍ وَعَكْسُهُ دُعَا وَفِي التَّسَاوِي فَالْتِمَاسٌ وَقَعَا

📌 وَ(الدُّعَاءُ): يَنْقَسِمُ إِلَى:

- دُعَاءِ عِبَادَةٍ. - وَدُعَاءِ مَسْأَلَةٍ.

فَمِنَ الْأَوَّلِ: الصَّلَاةُ، وَبَقِيَّةُ الطَّاعَاتِ، وَقَدْ تَضَمَّنَ دُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ.

وَالثَّانِي هُوَ: الطَّلَبُ مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَبَابُهُ وَاسِعٌ، لَكَ أَنْ تَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ

الْعَطَاءَ، لَكَ أَنْ تَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ الْمَنْعَ.



□ فَكُلُّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَمْرِ بِالدُّعَاءِ وَالنَّهْيِ عَنِ الدُّعَاءِ غَيْرِ اللَّهِ، يَتَنَاوَلُ
دُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ وَدُعَاءَ الْعِبَادَةِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.



الْحَلْفُ بِاللَّهِ

○ هُوَ تَأْكِيدُ الْأَمْرِ فِعْلًا، أَوْ تَرْكًا.

❧ وَيَكُونُ (الْحَلْفِ) بِاللَّهِ عَزَّجَلَّ إِمَّا:

- بِاسْمِ مِنْ أَسْمَائِهِ - أَوْ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ.

(٣٨) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ

لِيَصُمْتُ». أخرجه البخاري (٦٦٤٦) ومسلم (١٦٤٦).

(٣٩) وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ

إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ». أخرجه أبو داود (٣٢٤٨).

■ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "لَا يَجُوزُ الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ فِي شَيْءٍ مِنَ

الْأَشْيَاءِ، وَلَا عَلَى حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَهَذَا أَمْرٌ مُجْتَمَعٌ عَلَيْهِ". اهـ التمهيد

(٢٥٤/٩).

■ وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ (الْيَمِينَ) لَا تَكُونُ إِلَّا بِاللَّهِ أَوْ بِصِفَاتِهِ، وَأَجْمَعُوا

عَلَى الْمَنْعِ مِنَ الْحَلْفِ بِغَيْرِهِ.

وَكِلَا الْإِجْمَاعَيْنِ حَكَهُمَا الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ "تَيْسِيرُ

الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ".

■ وَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْأَمْرِ خَيْرَ الْقِيَامِ، فَكَانَ يَحْلِفُ بِغَيْرِ

اسْتِحْلَافٍ.

(٤٠) يَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ».

(٤١) وَيَقُولُ: «وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ».

(٤٢) وَيَقُولُ: «لَا وَمُقَلَّبُ الْقُلُوبِ».

وَهَكَذَا (وَاللَّهُ)، وَهَكَذَا أَكْثَرُهَا.

❖ وَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَمَا جَاءَ أَنَّهُ قَالَ:

«وَأَبِيهِ»:

- لَمْ تَثْبُتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ بِحَالٍ، شَدَّ بِهَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ.

- وَقِيلَ: بِأَنَّهَا تَحَرَّفَتْ مِنْ قَوْلِهِ: «وَاللَّهُ».

- وَقِيلَ: بِأَنَّهَا كَانَتْ مَبَاحَةً ثُمَّ نُسِخَتْ.

- وَقِيلَ: هُنَا تَقْدِيرٌ وَهُوَ: (وَرَبَّ أَبِيهِ).

- وَقِيلَ: بِأَنَّ هَذِهِ كَلِمَةٌ لَا يُرِيدُ الْعَرَبُ حَقِيقَتَهَا مِثْلُ: (تَرَبَّتْ يَدَاكَ)

وَنَحْوَهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

■ وَعَظَّمَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ شَأْنَ (الْيَمِينِ الْغُمُوسِ).

○ لِأَنَّ فَاعِلَهَا: يَحْلِفُ بِاللَّهِ عَلَى الْكُذْبِ، مِنْ الْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ، لِتَأْكِيدِهِ أَوْ

تَأْكِيدِ نَفْسِهِ.

■ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى أَمْرٍ قَدْ مَضَى وَانْقَضَى، فَيَقُولُ: «وَاللَّهُ فَعَلْتُ» أَوْ

«وَاللَّهُ مَا فَعَلْتُ»، وَهُوَ كَاذِبٌ فِي ذَلِكَ.

(٤٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«الْكَبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْغُمُوسُ».

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٦٧٥).

(٤٤) وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٍ، يَقْتَطِعُ

بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ». أَخْرَجَهُ

الْبُخَارِيُّ (٤٥٤٩)، وَمُسْلِمٌ (١٣٨).

(٤٥) وَفِي رِوَايَةٍ: «وَهُوَ عَنْهُ مُعْرَضٌ». أخرجه مسلم (٢٢٣).

(٤٦) وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ إِيَاسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ أَمْرِي مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ.

(٤٧) قَالَ: «وَإِنْ كَانَ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكِ». أخرجه مسلم (١٣٧).

■ فَلَا يَجُوزُ الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَلَا يَجُوزُ الْحَلْفُ بِاللَّهِ كَاذِبًا، بَلْ يَجِبُ حِفْظُ الْإِيمَانِ.

[١٠٤] كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

• وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ إِذَا حَلَفْتُمْ، فَأَبْرُوا أَيْمَانَكُمْ.

[١٠٥] ■ وَمَنْ حَنَثَ فَيَكْفُرَ عَنْهَا بِمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ

بِاللَّعْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتِهِمْ أَوْ تَحْرِيرِ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩].

(٤٨) وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«فَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَكْفُرْ عَنْ يَمِينِكَ وَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ». أخرجه البخاري (٦٦٢٢)، ومسلم (١٦٥٢).

(٤٩) ■ وَيَجُوزُ الْكِفَارَةُ قَبْلَ وَبَعْدَ الْحَنَثِ: لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِنِّي وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَلْتُهَا». أخرجه البخاري (٥٥١٨)، ومسلم (١٦٤٩) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

○ وَالْكَفَّارَةُ تَكُونُ فِي (الْيَمِينِ الْمُسْتَقْبَلَةِ)، أَمَا (الْيَمِينُ الْغَمُوسُ)، فَلَا تَكْفُرُ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَمِنْهَا رَدُّ الْمَظْلَمَةِ إِنْ كَانَ أَخَذَتْ بِهِ، وَمَا أَكْثَرَهَا!.

○ وَأَمَّا كَثْرَةُ الْحَلْفِ بِ(كَلاَّ وَاللَّهِ)، (وَبَلَى وَاللَّهِ)، بِغَيْرِ نِيَّةِ الْيَمِينِ وَتَعْقِيدِهِ، فَقَدْ تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ: (لَعْنُ الْيَمِينِ).

[١٠٦] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤْخَذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّعْنِ فِي أَيِّمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا

كَسَبْتُمْ فُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ [البقرة: ٢٢٥].

📖 قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ (١/٢٦٣-٢٦٤):

"وَأَعْلَمَ أَنَّ الْيَمِينَ لَا تَنْعَقِدُ إِلَّا:

- بِاللَّهِ عَزَّجَلَّ.

- أَوْ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ.

- أَوْ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ.

فَالْيَمِينُ بِاللَّهِ أَنْ يَقُولَ: وَالَّذِي يَعْبُدُهُ، وَالَّذِي يُصَلِّي لَهٗ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،

وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَالْيَمِينُ بِأَسْمَائِهِ كَقَوْلِهِ: وَاللَّهِ، وَالرَّحْمَنِ، وَنَحْوِهِ.

وَالْيَمِينُ بِالصِّفَاتِ كَقَوْلِهِ: وَعِزَّةَ اللَّهِ، وَعَظْمَةَ اللَّهِ، وَجَلَالَ اللَّهِ، وَقُدْرَةَ اللَّهِ

وَنَحْوَهَا.

فَإِذَا حَلَفَ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَى أَمْرٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، فَحَنْثٌ يَجِبُ عَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ،

وَإِذَا حَلَفَ عَلَى أَمْرٍ مَاضٍ أَنَّهُ كَانَ وَلَمْ يَكُنْ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقَدْ كَانَ

عَالِمًا بِهِ حَالَ مَا حَلَفَ، فَهُوَ مِنَ الْيَمِينِ الْغَمُوسِ "أهـ.

(٥٠) ■ وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَثْرَةِ الْحَلْفِ، لَأَسِيَّمَا فِي الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلْفِ فِي الْبَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنْفِقُ، ثُمَّ يَمْحَقُ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٦٠٧) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَيِّئَاتِي مَزِيدُ بَيَانٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي بَابِ الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكَ.



طَلَبُ الشَّفَاعَةِ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ

[١٠٧] [١] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

[البقرة: ٢٥٥].

[١٠٨] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ آرَضَى وَهُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ

مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٨].

[١٠٩] وَقَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ حَالِ الْكُفَّارِ: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا

لَنَا﴾ [الأعراف: ٥٣].

فالشَّفَاعَةُ جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ عَلَى: الْإِثْبَاتِ، وَالنَّفْيِ.

﴿فَالْمُشْتَبَةُ هِيَ:

مَا تَضَمَّتْهُ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ شُرُوط:

- الَّتِي تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

- وَتَكُونُ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

- وَتَكُونُ بِرِضَا اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ عَنِ الشَّافِعِ وَالْمَشْفُوعِ لَهُ.

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ شَأْنَ الشَّفَاعَةِ مِنْهُ وَإِلَيْهِ.

• أَيُّ: إِذْنَا وَقُبُولًا.

[١١٠] قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

• أَيُّ: هُوَ مَالِكُهَا كُلُّهَا طَلَبًا وَإِذْنَا وَقُبُولًا.

[١١١] وَقَالَ عَزْرَجَلٌ: ﴿* وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا

إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦].

■ وَاللَّهُ عَزْرَجَلٌ يَرْضَى التَّوْحِيدَ، وَيَرْضَى عَنِ الْمُؤَحِّدِينَ، فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ أَنَّ الشَّفَاعَةَ تُطَلَّبُ مِنَ اللَّهِ عَزْرَجَلٌ، وَتَكُونُ بِإِذْنِ اللَّهِ لِمَنْ قَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَكُونُ مِمَّنْ قَدْ رَضِيَهِ اللَّهُ عَزْرَجَلٌ، فَهِيَ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَأَسْعَدُ النَّاسِ بِهَا أَهْلُ التَّوْحِيدِ؛ بَلْ لَا تَنَالُ غَيْرَهُمْ.

(٥١) وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَيَّ الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ». أخرجه البخاري (٩٩)، (٦٥٧٠).

■ فَمَنْ أَرَادَ نَيْلَ شَفَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلْيَطْلُبْهَا مِنَ اللَّهِ عَزْرَجَلٌ، وَلْيَكُنْ عَلَيَّ تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزْرَجَلٌ، وَلْيَكُنْ مُحَافِظًا عَلَيَّ الْأَعْمَالِ الَّتِي يُشْفَعُ لَهَا بِسَبَبِهَا.

■ وَالشَّفَاعَةُ فِي الدُّنْيَا عِنْدَ اللَّهِ عَزْرَجَلٌ تَكُونُ بِالذُّعَاءِ لِلْمُسْلِمِ؛ وَلِذَلِكَ شُرِعَتْ صَلَاةُ الْجَنَازَةِ، وَنَحْوُهَا.

(٥٢) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ صُلِّيَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ تَبْلُغُ مِائَةَ كُلِّهِمْ يُشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شَفَّعُوا فِيهِ». أخرجه مسلم (٩٤٧) عن عائشة وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥٣) وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَيَّ جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعُوا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ». أخرجه مسلم (٩٤٧).

■ وَقَدْ شَفَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَكَاشَةَ بْنِ مَحْصَنِ الْأَسَدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ. أخرجه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠).

❖ وَفِي الْآخِرَةِ شَفَاعَاتٌ كَثِيرَةٌ خَاصَّةٌ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
١- الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى:

[١١٢] قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَنْهَا: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وَتَكُونُ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ.

٢- الشَّفَاعَةُ فِي فَتْحِ بَابِ الْجَنَّةِ.

(٥٤) كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْحَارِزُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أَمْرٌ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ». أخرجه مسلم (١٩٧) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣- الشَّفَاعَةُ فِي تَخْفِيفِ الْعَذَابِ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ.
وَهِيَ شَفَاعَةٌ لَا تُخْرِجُهُ مِنَ النَّارِ.

(٥٥) قَالَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَاذَا أَعْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ أَبِي طَالِبٍ، كَانَ يَحُوطُكَ، وَيَعْضُبُ لَكَ»، قَالَ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ». أخرجه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩) عن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤- وَتَكُونُ الشَّفَاعَةُ فِي أَهْلِ الْكِبَائِرِ.

وَأَحَادِيثُهَا مُتَوَاتِرَةٌ، وَهِيَ شَفَاعَةٌ تَقَعُ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ، وَيَتَفَضَّلُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَوْقَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤَحِّدِينَ.

(٥٦) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي». أخرجه الترمذي (٢٤٣٥)، وأخرجه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "كتاب الشفاعة".

(٥٧) وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ، وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ،

فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أَتْرُونَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لَا، وَلَكِنَّهَا

لِلْمُذْنِبِينَ، الْخَطَائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ». أخرجه ابن ماجه (٤٣١١).

٥- الشَّفَاعَةُ فِي رَفْعِ بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ.

[١١٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ آَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

وَمَا أَلْتَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١].

■ وَبَابُ الشَّفَاعَةِ الْمَقْبُولِ: التَّوْحِيدُ، وَالْعَمَلُ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

وَاللَّهُ الْمُؤَفِّقُ.



الحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّجَلَّ

مِنْ أَظْهَرَ وَأَشْهَرَ أَعْمَالِ التَّوْحِيدِ، الْحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّجَلَّ فِي الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللهُ عَزَّجَلَّ هُوَ الْحَكِيمُ، الَّذِي لَا يَكُونُ مِنْ شَرْعِهِ وَقَدْرِهِ إِلَّا مَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحِكْمَةِ وَالْعَدْلِ.

■ [١١٤] قَالَ اللهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٥٠﴾

[المائدة: ٥٠].

■ [١١٥] وَقَالَ اللهُ عَزَّجَلَّ: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٨﴾ [التين: ٨].

■ [١١٦] وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَزَّجَلَّ أَنَّ الْحُكْمَ لَهُ قَدْرًا وَشَرْعًا، فَقَالَ: ﴿إِنْ

الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ﴿[الأنعام: ٥٧].

■ (٥٨) وَأَمَرَ بِالْحُكْمِ بِشَرْعِهِ، فَقَالَ: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾

[المائدة: ٤٨].

■ [١١٧] بَلْ نَفَى الْإِيمَانَ عَمَّنْ لَا يَتَحَاكَمُ إِلَى حُكْمِهِ، قَالَ اللهُ عَزَّجَلَّ: ﴿فَلَا

وَرِيكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحْكُمُواكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿[النساء: ٦٥].

■ [١١٨] وَقَالَ اللهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللهِ﴾

[الشورى: ١٠].

■ (٥٩) وَفِي حَدِيثِ أَبِي شَرِيحٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ (٤٩٥٥): قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكْمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ».

■ وَأَخْبَرَ اللهُ عَزَّجَلَّ أَنَّ مِنْ مَقَاصِدِ أَنْزَالِ الْكِتَابِ: الْحُكْمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ.

[١١٩] قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

[١٢٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

[١٢١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

[١٢٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

■ فَمِنْ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ وَغَيْرِهَا كَثِيرٌ نَعْلَمُ أَنَّ الْحُكْمَ وَالتَّحَاكُمَ إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّجَلَّ مِنَ الْوَأَجِبَاتِ الْمُتَحْتَمَاتِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، بَلْ إِنَّ سَلَامَةَ الْمُجْتَمَعِ وَرِفْعَتَهُ عَائِدَةٌ إِلَى هَذَا الْبَابِ الْعَظِيمِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الْقُصُورُ مِنَ الْحُكَّامِ وَالمَحْكُومِينَ حَتَّى ضَعُفَ النَّاسُ وَلَحِقَهُمْ مَا لَحِقَهُمْ.

(٦٠) قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتُنْقِضَنَّ عَرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةَ عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالتِّي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٢١٦٠) عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٦١) وَفِي لَفْظٍ: «لِيُنْقِضَنَّ الْإِسْلَامُ عُرْوَةَ عُرْوَةٍ، كَمَا يُنْقِضُ الْحَبْلُ قُوَّةً

قُوَّةً» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٨٠٣٩). وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

■ التَّحَاكُمُ إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّجَلَّ فِيهِ صَلَاحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالتَّحَاكُمُ إِلَىٰ

مَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّجَلَّ فِيهِ السَّلَامَةُ مِنَ الْإِخْتِلَافِ، فِيهِ السَّلَامَةُ مِنَ الظُّلْمِ، فِيهِ

السَّلَامَةُ مِنَ التَّجَاوُزِ، وَالتَّحَاكُمُ إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّجَلَّ تَحَاكُمُ إِلَىٰ مَعْصُومٍ.

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.



طَلَبُ الْبَرَكَةِ مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ

○ وَ(الْبَرَكَةُ) هِيَ: وَضْعُ الْخَيْرِ الْإِلَهِيِّ فِي الشَّيْءِ بِكَثْرَتِهِ وَوَفْرَتِهِ، أَوْ زِيَادَتِهِ وَنَمَائِهِ، أَوْ لُزُومِهِ وَاسْتِمْرَارِهِ.

وَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَطْلُبُهَا وَيُرِيدُهَا وَيَرْغَبُ فِيهَا، فَإِنَّ بَارَكَ اللَّهُ فِي الشَّيْءِ صَارَ قَلِيلُهُ كَثِيرًا، وَضَعِيفُهُ قَوِيًّا، وَحَقِيرُهُ عَظِيمًا، وَصَغِيرُهُ كَبِيرًا. ■ وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ وَأَخْبَرَنَا عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

[١٢٣] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ

حَيًّا﴾ ﴿٣١﴾ [مريم: ٣١].

[١٢٤] ■ وَجَعَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ الْحَرَمَ مُبَارَكًا، وَبِلَادِ الشَّامِ كَذَلِكَ؛ قَالَ تَعَالَى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١﴾ [الإسراء: ١].

(٦٢) ■ وَقَدْ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا،

وَفِي يَمِينِنَا» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمِينِنَا» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتْنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ

قَرْنُ الشَّيْطَانِ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٠٣٧) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦٣) ■ وَكَانَ إِذَا تَزَوَّجَ الْإِنْسَانُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ

عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢١٣٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦٤) ■ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُوتَى بِالصَّبِيَانِ فَيَبْرِكُ عَلَيْهِمْ وَيُحَنِّكُهُمْ». أخرجه

البخاري (٦٣٥٥)، ومسلم (٢١٤٧) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٦٥) ■ وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمَدِينَةِ بِالْبَرَكَةِ حَيْثُ قَالَ:

«اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي

صَاعِهَا وَمُدَّهَا». أخرجه البخاري (١٨٨٩)، ومسلم (١٣٧٦) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٦٦) ■ بَلْ قَالَ فِي شَأْنِهَا: «اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا،

وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا مَا بَيْنَ مَأْرَمَيْهَا، أَنْ لَا يُهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُحْمَلَ

فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ، وَلَا تُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلْفٍ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا،

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدَّنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا،

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدَّنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ

اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ». أخرجه مسلم (١٣٧٤) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦٧) ■ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا».

أخرجه الترمذي (١٢١٢) عن صخر بن وداعة الغامدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦٨) ■ وَدَعَا لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ

وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَتْهُ». أخرجه البخاري (٦٣٣٤)، ومسلم (٢٤٨٠) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[١٢٥] ■ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ الْقُرْآنَ مُبَارَكًا حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ

أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥].

[١٢٦] ■ وَجَعَلَ الْكَعْبَةَ مُبَارَكَةً، فَقَالَ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ

مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ [آل عمران: ٩٦].

[١٢٧] ■ وَجَعَلَ شَجَرَةَ الزَّيْتُونِ مُبَارَكَةً، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُوفَدُ مِنْ شَجَرَةٍ

مُبْرَكَةٍ﴾ [النور: ٣٥].

[١٢٨] ■ وَبَارَكَ فِي تَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ

عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

(٦٩) ■ وَانْفُظَهَا دُعَاءً بِالْبِرْكََةِ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ». أخرجـه

مسلم (٢٤٧٣) عن أبي ذر رضي الله عنه.

[١٢٩] ■ وَجَعَلَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مُبَارَكَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ

مُبْرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

[١٣٠] ■ وَجَعَلَ الْمَطَرَ مُبَارَكًا، فَقَالَ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا

بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩].

■ وَجَعَلَ بَرَكَةً عَظِيمَةً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

■ وَكَانَ مَاءُ زَمْزَمَ مُبَارَكًا: كَانَ طَعَامَ طَعْمٍ وَشِفَاءَ سُقْمٍ.

■ وَهَكَذَا الْبَرَكَةُ الْعَظِيمَةُ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالتَّمَسُّكُ بِهَا،

وَالسَّيْرُ عَلَيْهَا فِي الْعَقَائِدِ وَالْأَحْكَامِ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.

(٧٠) ■ وَلَا تَقَاءَ شَرَّ الْعَيْنِ شَرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدُّعَاءَ بِالْبَرَكَةِ

فَقَالَ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ أَوْ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ مَالِهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَبْرِكْ، فَإِنَّ

الْعَيْنَ حَقٌّ». أخرجـه أحمد (١٥٧٠٠) عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه، وله شواهد.

(٧١) ■ وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِي فِي دِينِي

الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي، وَبَارِكْ لِي فِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَبَارِكْ لِي فِي

آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي». أخرجـه البزار كما في كشف الأستار (٣١٨٨) عن الزبير رضي الله عنه.

- وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ مُعْطِيهَا وَمُسْئِدِيهَا، وَقَدْ جَعَلَ الْبَرَكَةَ فِيَمَا شَاءَ؛ لَكِنَّ التَّبْرُكَ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ.
- فَيَتَّبِرُكَ بِالْقُرْآنِ بِقِرَاءَتِهِ، وَالْعَمَلِ بِهِ وَحِفْظِهِ.
- وَالتَّبْرُكَ بِالسَّنَةِ بِمُتَابَعَتِهَا.
- وَالتَّبْرُكَ بِالْكَعْبَةِ بِالطَّوَافِ بِهَا.
- وَبِمَاءِ زَمْزَمَ بِشُرْبِهِ.
- وَبِدُعَاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ.
- ◆ لَا بِالتَّمَسُّحِ وَنَحْوِهِ؛ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ آثَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ مِنْهَا إِلَّا شَيْءٌ، فَقَدْ كَانُوا يَتَّبِرُّونَ بِرَشْحِهِ وَشَعْرِهِ وَرَيْقِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.



تَمَكِينُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ

- [١٣١] ■ قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].
- [١٣٢] ■ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].
- [١٣٣] ■ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: ٨].
- [١٣٤] ■ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأفعال: ٨].
- [١٣٥] ■ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس: ٨٢].
- [١٣٦] ■ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصفات: ١٧٣].
- [١٣٧] ■ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣].

• الشَّاهِدُ مِنْ سُوقِ هَذِهِ الْأَدَلَّةِ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ قَدْ نَصَرَ التَّوْحِيدَ، وَأَعْلَاهُ،
وَأَيَّدَ أَهْلَهُ.

(٧٢) ■ حَتَّى بَلَغَ الْحَالَ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ
قَدْ آيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ».

أخرجه مسلم (٢٨١٢) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَسَبَبِ قُوَّةِ الْإِسْلَامِ، وَظُهُورِهِ يَسَسَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ، فِي زَمَنِ
ظُهُورِ الدِّينِ.

❖ لَكِنْ لَا يُفْهَمُ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّ الشَّرْكَ لَا يَقَعُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي جَزِيرَةِ
الْعَرَبِ، فَالشَّرْكَ قَدْ عَادَ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَرْجَاءِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، عِبَادَةُ الْقُبُورِ،
وَعِبَادَةُ الْأَضْرِحَةِ، وَالِدُعَاءِ، وَالنَّذْرِ، وَالذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَكَمْ هِيَ الْعِبَادَاتُ
الَّتِي تُصَرَّفُ لِغَيْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لَكِنَّ هَذَا الْقَوْلَ قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَالِ قُوَّةِ الْإِسْلَامِ، حَيْثُ إِنَّ
الشَّيْطَانَ آيَسَ؛ وَلَكِنَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَعُودُ النَّاسُ إِلَى مَا هُمْ فِيهِ، وَيَتَسَلَّطُ عَلَيْهِمُ
الشَّيْطَانُ إِلَّا مَنْ رَحِمَ الرَّحْمَنُ.

(٧٣) وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللَّهِ لَيُتَمَنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ
الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتِ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذَّنْبَ عَلَيَّ غَنَمِهِ،
وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

أخرجه البخاري (٣٦١٢) عن خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧٤) وَعَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا
الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا
الدِّينَ، بَعْزٌ عَزِيزٌ أَوْ بَدَلٌ ذَلِيلٌ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُيْذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ».

أخرجه أحمد (١٦٩٥٧).

■ وَالْأَدِلَّةُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ جِدًّا بَلْ هِيَ مُتَوَاتِرَةٌ؛ حَيْثُ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالِدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ خَيْرَ قِيَامٍ، وَنَصَرَهُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ نَصْرًا مُؤَزَّرًا حَتَّى دَخَلَ الْكَعْبَةَ، وَكَسَرَ الْأَصْنَامَ، وَالْأَوْثَانَ، وَأَعْلَى اللَّهُ بِهِ مَنَارَ الدِّينِ فِي أَرْجَاءِ الْجَزِيرَةِ، وَبَعْدَهُ بَلَغَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ.

(٧٥) عَلَى وَفْقِ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ثُوبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ زَوْيَ لِي الْأَرْضِ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيَتِ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ». أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

■ فَالتَّوْحِيدُ بِهِ يَتَّعِ التَّمَكِينُ وَالْعِزُّ وَالنَّصْرُ.

(٧٦) وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرَّفْعَةِ وَالِدِّينِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ فِي الْأَرْضِ». أخرجه أحمد (٢١٢٢٠).

■ فَحَقِّقُوا التَّوْحِيدَ حَيْثُ مَكَّنَ اللَّهُ لَهُمْ فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا، وَمِنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي التَّوْحِيدِ دَانَ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَلِحُكْمِ الْإِسْلَامِ.

[١٣٨] حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا

بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ [التوبة: ٢٩].

■ فَعَاشَ النَّاسُ فِي عِزَّةِ التَّوْحِيدِ وَظُهُورِهِ، وَانْطَمَسَتْ مَعَالِمُ الشَّرْكِ لَا سِيَّمَا فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ.

(٧٧) ■ حَتَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَبْقَيْنَ دِينَانَ بِأَرْضِ الْعَرَبِ».

أخرجه مالك (٢٦٠٦).

(٧٨) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ». أخرجه

البخاري (٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٣٧).

• فَهَذَا هُوَ الْمُتَعَيَّنُ عَلَى وُلاةِ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فِي حَالِ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ وَقُوَّتِهِ؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

(٧٩) حَيْثُ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى

يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَحِسَابُهُمْ

عَلَى اللَّهِ». أخرجه البخاري (١٣٩٩، ١٤٠٠)، ومسلم (٢٠) عن عمر رضي الله عنه وغيره.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



حِمْيَاءُ جَنَابِ التَّوْحِيدِ

لِأَهْمِيَّةِ التَّوْحِيدِ شَرَعَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَبَلَّغَ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السُّبُلَ الْكَفِيلَةَ لثَبَاتِهِ وَحِمَايَتِهِ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّبَدُّلِ، يُلَاحِظُ ذَلِكَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالدَّعْوَةِ، وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ، وَالْحَثِّ عَلَى الْعِلْمِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

■ فَشَرَعَ اللهُ الدَّعْوَةَ لِإِقَامَةِ التَّوْحِيدِ.

[١٣٩] كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥].

[١٤٠] وَقَالَ تَعَالَى أَمْرًا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

[١٤١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

• إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَهَكَذَا شَرَعَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَعْلَاهُ التَّوْحِيدُ، لِهَذَا الْمَقْصِدِ.

[١٤٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

■ وَالْخَيْرِيَّةُ فِي التَّوْحِيدِ.

(٨٠) كَمَا قَالَ حُدَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَ اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نَعَمْ). أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

● فَالْخَيْرُ الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ، هُوَ الْإِسْلَامُ، وَأَسَاسُهُ التَّوْحِيدُ، حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعَبِيدِ.

■ وَهَكَذَا شَرَعَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ النَّصِيحَةَ؛ لِأَنَّ الرُّسُلَ بُعِثُوا بِهَا، وَأَعْلَى ذَلِكَ النَّصْحُ بِالتَّوْحِيدِ.

[١٤٣] قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢].

[١٤٤] وَقَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَنْ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

[١٤٥] وَقَالَ اللَّهُ عَنْ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٩].

(٨١) وَقَالَ رَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدين النصيحة»، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». أخرجه مسلم (٥٥) عن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

● فَيَدْخُلُ فِيهِ ابْتِدَاءً: النَّصْحُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ. وَالنَّصْحُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مُلَازِمَةِ التَّوْحِيدِ وَمَا إِلَيْهِ، وَمِمَّا دَعَا إِلَيْهِ.

وَالنَّصْحُ لِكِتَابِ اللَّهِ بِالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ وَأَشْرَفُهُ التَّوْحِيدُ.

وَالنَّصْحُ لِلنَّاسِ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَمَا يَلْتَحِقُ بِهِ.
 ■ وَهَكَذَا شَرَعَ اللهُ طَلَبَ الْعِلْمِ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ إِجْمَالًا
 وَتَفْصِيلًا، وَمَا يَلْتَحِقُ بِهِ.

[١٤٦] قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾ [محمد: ١٩].

[١٤٧] وَأَوَّلُ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

[١٤٨] فَلَمَّا قَرَأَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ ﴿٢﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢].

• بَلْ لَا أُبْرِكَ عَلَى تَوْحِيدِ الْمَرْءِ وَصَلَاحِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ بِمِثْلِ الْعِلْمِ.
 ■ وَلِلذَلِكَ كَانَ الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِعِلْمِهِمْ، وَعَمَلِهِمْ، وَدَعْوَتِهِمْ
 بِالتَّوْحِيدِ وَلِلتَّوْحِيدِ وَمَا يَلْتَحِقُ بِهِ.

□ فَأَيُّ دَعْوَةٍ لَا تَقُومُ عَلَى عِلْمِ التَّوْحِيدِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالِدَّعْوَةِ إِلَيْهِ دَعْوَةٌ
 فَاشِلَةٌ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ اللهُ عَزَّجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَذَكَرَهُ رَسُولُهُ الْأَمِينُ
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ التَّرْغِيبِ فِي سَبِيلِ التَّوْحِيدِ، وَذَكَرَ مَا لَهُ مِنَ الْفَضَائِلِ:
 □ وَالْأَخْبَارِ بِأَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ اتَّفَقُوا عَلَيْهِ.

■ وَأَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِلجَنَّةِ إِلَّا بِهِ وَلَا سَلَامَةَ مِنَ النَّارِ إِلَّا بِهِ.

■ حَتَّى نَهَى عَنْ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَعِنْدَ
 غُرُوبِهَا؛ لِئَلَّا يَكُونَ ذَرِيعَةً إِلَى: التَّشْبِهِ بِعِبَادِ الشَّمْسِ الَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهَا فِي
 هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ.

• وَسَدَّ الذَّرِيعَةَ بِأَنْ مَنَعَ الصَّلَاةَ بَعْدَ الْعَصْرِ وَالصُّبْحَ؛ لِاتِّصَالِ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ بِالْوَقْتَيْنِ الَّذِي يُسَجَدُ فِيهَا الْمُشْرِكُونَ لِلشَّمْسِ. وَمِنْ ذَلِكَ:

- مَنَعُ شَدَّ الرَّحَالِ لِلْقُبُورِ.

- وَالصَّلَاةَ عِنْدَهَا، وَإِلَيْهَا.

وَالْبَابُ وَاسِعٌ وَإِنَّمَا هَذِهِ إِشَارَاتٌ.

□ فَكُلُّ: كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةٌ لِحِمَايَةِ هَذَا الْبَابِ.

□ وَالشَّرِيعَةُ مَبْنَاهَا عَلَى إِقَامَةِ التَّوْحِيدِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الشُّرْكِ وَالتَّنْذِيرِ.



بَيَانُ الْحَقِّ فِي النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ

﴿ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ النُّجُومَ: ﴿١٤٩﴾

- زِينَةً لِلسَّمَاءِ.

- وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ.

- وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَىٰ بِهَا.

﴿ قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتٍ

الْبُرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧].

﴿١٥٠﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزِينَةً لِلنَّاظِرِينَ﴾

[الحجر: ١٦].

﴿١٥٦﴾ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحَفِظْنَا مِنْ

كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ [الصافات: ٦-٧].

﴿١٥٧﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا﴾ [فصلت: ١٢].

﴿١٥٨﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَا رُجُومًا

لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥].

وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِنَّمَا جَعَلَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثِ خِصَالٍ:

- جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ.

- وَجَعَلَهَا يُهْتَدَى بِهَا.

- وَجَعَلَهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ.

فَمَنْ تَعَاطَى فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَدْ قَالَ: رَأْيُهُ وَأَخْطَأَ حِطَّهُ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ.

وَإِنَّ نَاسًا جُهَلًا بِأَمْرِ اللَّهِ قَدْ أَحَدُثُوا فِي هَذِهِ النُّجُومِ كَهَانَةً، مِنْ أَنْ أَعْرَسَ بِنَجْمٍ كَذَا وَكَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَمِنْ سَافَرَ بِنَجْمٍ كَذَا وَكَذَا، كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَعَمْرِي مَا مِنْ نَجْمٍ إِلَّا يُوَلَّدُ بِهِ الْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَالطَّوِيلُ وَالْقَصِيرُ وَالْحَسَنُ وَالْقَبِيحُ، وَمَا عِلْمَ هَذَا النَّجْمِ، وَهَذِهِ الدَّابَّةُ، وَهَذَا الطَّائِرُ بِشَيْءٍ مِنَ الْعَيْبِ.

[١٥٩] وَقَضَى اللَّهُ أَنَّهُ: ﴿لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْعَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا

يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ [النمل: ٦٥].

□ فَلَا يَعْلَمُ الْعَيْبَ الْمَطْلُوقَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ.

[١٦٠] قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٦٦﴾ إِلَّا مَنْ

أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٦٧﴾

[الجن: ٢٦-٢٧].

وَلَعَمْرِي! لَوْ أَنَّ أَحَدًا عَلِمَ الْغَيْبَ لَعَلِمَهُ آدَمُ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلِمَهُ أَسْمَاءُ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ، يَأْكُلُ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شَاءَ، وَنُهِيَ عَنِ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ الْبَلَاءُ حَتَّى وَقَعَ فِيمَا نُهِيَ عَنْهُ.
وَلَوْ كَانَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ لَعَلِمَهُ الْجِنُّ حِينَ مَاتَ سُلَيْمَانُ، وَكَانَتِ الْجِنُّ تَقُولُ قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّهَا تَعْلَمُ الْغَيْبَ وَتَعْلَمُ مَا فِي عَدِي، فَبِتْلَاهُمْ اللَّهُ بِذَلِكَ وَجَعَلَ مَوْتَ سُلَيْمَانَ لِلْجِنِّ عِظَةً". اهـ التفسير (٢٩١٣/٩).

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: تَعْلَمُ مِنَ النُّجُومِ مَا تَعْرِفُ بِهِ الْقِبْلَةَ وَالطَّرِيقُ."
وَكَانَ النَّخَعِيُّ لَا يَرَى بَأْسًا بِتَعْلَمِ الرَّجُلِ مِنَ النُّجُومِ مَا يَهْتَدَى بِهِ.

وَرَخَّصَ فِي تَعْلَمِ مَنَازِلِ الْقَمَرِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ، وَيَتَعَلَّمُ مِنْ أَسْمَاءِ النُّجُومِ مَا يَهْتَدَى بِهِ.

وَكِرَهُ قَتَادَةُ تَعْلَمَ مَنَازِلِ الْقَمَرِ، وَلَمْ يَرِخْصِ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ، ذَكَرَهُ حَرَبٌ عَنْهُمَا.

وَقَالَ طَاوُوسٌ: رُبَّ نَاطِرٍ فِي النُّجُومِ مُتَعَلِّمًا حُرُوفَ (أَبْجَدٍ) لَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَلَاقٌ. أَخْرَجَهُ حَرَبٌ وَخَرَجَهُ حَمِيدٌ مِنْ زَنْجُوِيهِ مِنْ رَوَايَةِ طَاوُوسٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

■ وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى عِلْمِ التَّأْيِيرِ لَا عِلْمِ التَّسْيِيرِ، فَإِنَّ عِلْمَ التَّأْيِيرِ بَاطِلٌ مُحَرَّمٌ.

(٨٢) وَفِيهِ: وَرَدَ الْحَدِيثُ الْمَرْفُوعُ: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ

شُعْبَةً مِنَ السَّحْرِ زَادَ مَا زَادَ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٩٠٥) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا.

فَعِلْمُ تَأْتِيرِ: النُّجُومِ بَاطِلٌ مَحْرُومٌ، وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهُ، كَالْتَقَرُّبِ إِلَى النُّجُومِ وَتَقَرُّبِ الْقُرْبَانِيَّاتِ لَهَا كُفْرٌ.

وَأَمَّا عِلْمُ التَّسْيِيرِ: فَإِذَا تَعَلَّمَ مِنْهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلْإِهْتِدَاءِ، وَمَعْرِفَةِ الْقِبْلَةِ، وَالطَّرْقِ كَانَ جَائِزًا عِنْدَ الْجُمْهُورِ، وَمَا زَادَ عَلَيْهِ فَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِ، وَهُوَ يُشْغِلُ عَمَّا هُوَ أَهَمُّ مِنْهُ". اهـ فضل علم السلف على الخلف (١١/٣).

فَعُرِفَ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ: الْكَوَاكِبَ وَالنُّجُومَ آيَاتٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّلَالَةِ عَلَى عَظَمَتِهِ، وَالِدَاعِيَةَ إِلَى إِفْرَادِهِ بِمَا يَجِبُ لَهُ.

[١٦٦١] ■ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧].

[١٦٦٢] ■ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَحَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَحَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [النحل: ١٢].

(٨٣) وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظَ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ. فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟

قَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَ عَلَيْنَا الشُّهُبُ. قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ، فَاَنْظُرُوا مَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ.

فَأَنْصَرَفَ أَوْلِيكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تَهَامَةِ إِلِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ
بِنَخْلَةٍ، وَهُوَ يُصَلِّي الْفَجْرَ، فَلَمَّا سَمِعُوهُ.

قَالُوا: هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ". أخرجَه البخاري (٧٧٣)، ومسلم

(٤٤٩).

■ الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا: أَنَّ النُّجُومَ مَسْخَرَاتٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَيْسَ لَهَا قُدْرَةٌ عَلَى نَفْعٍ

أَوْ ضَرٍّ.

■ فَالْتَعَلُّقَاتُ الْبَاطِلَةُ بِهَا مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ.

عَلَى مَا يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي دَحْضِ الشُّرْكِ وَالتَّنْذِيدِ.



بَيَانُ الْمَحَبَّةِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالْخَشْيَةِ وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ

وَهَذِهِ عِبَادَاتٌ عَظِيمَاتٌ رَغِبَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ فِيهَا، وَمَدَحَ أَهْلَهَا لِمَا فِيهَا مِنْ تَحْقِيقِ الْعُبُودِيَّةِ وَالتَّدَلُّلِ، وَالْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ، عِبَادَاتٌ قَلْبِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَى تَعْظِيمِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَتَدُلُّ عَلَى مُرَاقَبَةِ الْعَبْدِ وَتَعْظِيمِهِ لَهُ، عِبَادَاتٌ اتَّصَفَ بِهَا خُلَصُ الْبَشَرِيَّةِ بَلْ وَالْمَلَائِكَةُ الْمُتَقَرَّبُونَ.

□ بِهَذَا تَعَلَّمْ - وَفَقَّكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ - أَنَّ مَنَاطَ الْعِبَادَةِ غَايَةُ الْحُبِّ مَعَ غَايَةِ الدُّلِّ، وَلَا تَنْفَعُ عِبَادَةٌ بِوَاحِدٍ دُونَ الْآخَرِ.

[١٦٣] ■ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

وَيَدْعُونََنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

[١٦٤] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ فَأَرْعَبَ ﴿٨﴾﴾ [الشرح: ٨].

[١٦٥] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة: ٥٩].

[١٦٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِيَّائِي فَآرْهُبُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النحل: ٥١].

(٨٤) ■ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو، وَذَكَرَ

مِنْهَا: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مَطْوَعًا إِلَيْكَ،

مُحِبَّتًا، أَوْ مُنِيبًا»، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٥١٠). وَفِي بَعْضِهَا: «إِلَيْكَ رَاغِبًا».

[١٦٧] ■ قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴿١٥٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٠].

[١٦٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُون﴾ [المائدة: ٤٤].

[١٦٩] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهْ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة: ١٣].

[١٧٠] ■ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا

يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

[١٧١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

[١٧٢] ■ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ

الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

[١٧٣] ■ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ

وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

[١٧٤] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

[١٧٥] ■ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

[١٧٦] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

(٨٥) وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ

كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ»، وَذَكَرَ مِنْهَا: «أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ

إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا». أخرجه البخاري (٢١)، مسلم (٤٣).

□ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُعْبَدُ بِالْمَحَبَّةِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ.

▣ فَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِالْخَوْفِ وَحْدَهُ فَهُوَ: حَرُورِيٌّ.

وَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ فَهُوَ: مُرْجِيٌّ.

وَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِالْحُبِّ وَحْدَهُ فَهُوَ: زَنْدِيقِيٌّ.

وَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَهُوَ: الْمُوَحِّدُ الْمُتَابِعُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَأَصْلُ الْمَحَبَّةِ الْمَحْمُودَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا وَخَلَقَ خَلْقَهُ لِأَجْلِهَا هِيَ: مَحَبَّتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الَّتِي تَتَضَمَّنُ لِعِبَادَتِهِ دُونَ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، فَإِنَّ الْعِبَادَةَ تَتَضَمَّنُ غَايَةَ الْحُبِّ وَغَايَةَ الذُّلِّ، وَلَا يَصِحُّ ذَلِكَ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ". اهـ إغاثة اللهفان (٢/ ٨٥٢).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَمِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ: الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ الَّتِي لَا نَقْصَ فِيهِ بِوَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ كُلُّهَا لَهُ وَحْدَهُ، وَالتَّعْظِيمُ، وَالإِجْلَالُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالدُّعَاءُ، وَالرَّجَاءُ، وَالإِنَابَةُ، وَالتَّوْبَةُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالإِسْتِعَانَةُ، وَغَايَةُ الذُّلِّ مَعَ غَايَةِ الْحُبِّ - كُلُّ ذَلِكَ يَجِبُ عَقْلًا، وَشَرْعًا، وَفِطْرَةً أَنْ يَكُونَ لَهُ وَحْدَهُ، وَيَمْتَنِعُ عَقْلًا، وَشَرْعًا، وَفِطْرَةً أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ، فَمَنْ جَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ، فَقَدْ شَبَّهَ ذَلِكَ الْغَيْرَ بِمَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا مِثِيلَ وَلَا نِدَّ لَهُ، وَذَلِكَ أَقْبَحُ التَّشْبِيهِ وَأَبْطَلُهُ". اهـ الداء والدواء (١/ ٣١٤).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَهُوَ سُبْحَانَهُ كَمَا جَعَلَ الرَّجَاءَ لِأَهْلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَكَذَلِكَ جَعَلَ الْخَوْفَ لِأَهْلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَعَلِمَ أَنَّ الرَّجَاءَ وَالْخَوْفَ النَّافِعَ مَا اقْتَرَنَ بِهِ الْعَمَلُ. الداء والدواء (٤٠)."

[١٧٧] ■ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾

وَالَّذِينَ هُمْ بِعَايَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

■ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَصَفَ أَهْلَ السَّعَادَةِ بِالْإِحْسَانِ مَعَ الْخَوْفِ، وَوَصَفَ الْأَشْقِيَاءَ بِالْإِسَاءَةِ مَعَ الْأَمْنِ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَجَدَهُمْ فِي غَايَةِ الْعَمَلِ مَعَ غَايَةِ الْخَوْفِ". اهـ

وَقَالَ: "وَالْحَشِيَّةُ لِفَاحِ الْمَحَبَّةِ، فَإِذَا اجْتَمَعَا أَثْمَرَ امْتِثَالَ الْأَوَامِرِ، وَاجْتِنَابَ النَّوَاهِي". اهـ الفوائد لابن القيم (ص: ١٩٩).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَلَا فَلَاحَ لَهُ إِلَّا بِهَا: الشُّكْرُ، وَطَلَبُ الْعَافِيَةِ، وَالتَّوْبَةُ النَّصُوحُ ثُمَّ فَكَّرْتُ، فَإِذَا مِدَارُ ذَلِكَ عَلَى الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، وَلَيْسَا بِيَدِ الْعَبْدِ؛ بَلْ بِيَدِ مُقَلَّبِ الْقُلُوبِ وَمُصَرِّفِهَا كَيْفَ يَشَاءُ؛ فَإِنْ وَفَّقَ عَبْدَهُ أَقْبَلَ بِقَلْبِهِ إِلَيْهِ، وَمَلَأَهُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً، وَإِنْ خَذَلَهُ تَرَكَهُ وَنَفْسَهُ". اهـ الفوائد (٢٠٤-٢٠٥).

■ فَتَلَخَّصَ مِمَّا سَبَقَ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يُعْبَدُ وَيُفْرَدُ بِمَا هُوَ لَهُ مِنَ الْمَحَبَّةِ، وَالْخَوْفِ، وَالرَّجَاءِ، وَالرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْإِنَابَةِ، وَالْحَشِيَّةِ، وَالْحُشُوعِ، وَالْخُضُوعِ، وَالْإِخْلَاصِ، وَالتَّوَكُّلِ.

■ فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُعَلِّقَ قَلْبَهُ بِاللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَلِيَكُنْ نُطْقُهُ مُوَافِقًا لِمَا فِي قَلْبِهِ مِنْ إِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ، وَكَذَلِكَ جَوَارِحُهُ.

○ فَهَذِهِ هِيَ (الْعِبَادَةُ)، اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَفْوَالِ، وَالْأَفْعَالِ، وَالْإِعْتِقَادَاتِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي الْمَجْمُوعِ (١٠/١٩٣): "فَكُلَّمَا زَادَ الْقَلْبُ حُبًّا لِلَّهِ زَادَ لَهُ عُبُودِيَّةً، وَكُلَّمَا زَادَ لَهُ عُبُودِيَّةً زَادَ لَهُ حُبًّا، وَحُرِّيَّةً عَمَّا سِوَاهُ.

وَالْقَلْبُ فَقِيرٌ بِالذَّاتِ إِلَى اللَّهِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

- مِنْ جِهَةِ الْعِبَادَةِ وَهِيَ الْعِلَّةُ الْغَائِيَّةُ.
 - وَمِنْ جِهَةِ الْإِسْتِعَانَةِ وَالتَّوَكُّلِ، وَهِيَ الْعِلَّةُ الْفَاعِلِيَّةُ.
- فَالْقَلْبُ لَا يَصْلُحُ، وَلَا يُفْلِحُ، وَلَا يَلْتَدُّ، وَلَا يُسْرُّ، وَلَا يَطِيبُ، وَلَا يَسْكُنُ،
وَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَّا بِعِبَادَةِ رَبِّهِ وَحُبِّهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَلَوْ حَصَلَ لَهُ كُلُّ مَا يَلْتَدُّ بِهِ مِنْ
الْمَخْلُوقَاتِ لَمْ يَطْمَئِنَّ وَلَمْ يَسْكُنْ". اهـ



إِضَافَةُ النِّعْمَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ

[١٧٨] ■ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتَدَكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا

نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

[١٧٩] ■ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. فِي

تِسْعِ آيَاتٍ.

[١٨٠] ■ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النحل: ١١٤].

[١٨١] ■ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ

اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣].

(٨٦) ■ وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبْنِي

مَعَهُمُ الْمَسْجِدَ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا،

فَأَنْزَلَا سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ إِن لَّا قَيْنَا». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٠٣٤)، وَمُسْلِمٌ (١٨٠٣).

[١٨٢] ■ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِالتَّحَدُّثِ بِنِعْمِهِ شُكْرًا لَهَا، حَيْثُ قَالَ: ﴿وَأَمَّا

بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١].

(٨٧) وَعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

[١٨٣] وَقَالَ تَعَالَى فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

(٨٨) وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيُحَمِّدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيُحَمِّدَهُ عَلَيْهَا». أخرجه مسلم (٢٧٣٤).

[١٨٤] وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُخْبِرًا عَنْ سُلَيْمَانَ: ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [النمل: ٤٠].

[١٨٥] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ سُلَيْمَانَ وَدَاوُدَ: ﴿ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل: ١٥].

فَإِنَّ اللَّهَ يَتَفَضَّلُ عَلَى عِبَادِهِ بِأَنْوَاعِ الْعَطَايَا الْحَسِّيَّاتِ وَالْمَعْنَوِيَّاتِ.

■ فَيَجِبُ إِضَافَةُ النِّعْمَةِ إِلَيْهِ فَهُوَ مُعْطِيهَا، وَمُسَدِّيهَا.

■ وَإِذَا أَرَادَ ذِكْرَ السَّبَبِ عَطْفَهَا عَلَيْهِ بِ(ثُمَّ) يَقُولُ: لَوْلَا اللَّهُ ثُمَّ كَذَا.

[١٨٦] ■ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ

الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

فِي كَثِيرٍ مِنْ مِثْلِ هَذَا، وَتَجِدُ النَّاسَ إِلَّا مِنْ رَحِمِ اللَّهِ فِي حَدِيثِهِمُ الْيَوْمِيِّ:
«لَوْلَا فَلَانٌ» وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلَوْلَا كَذَا وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَالْمُتَعَيِّنُ ابْتِدَاءً: «لَوْلَا اللَّهُ»
أَنْ يَسَّرَ، وَأَعَانَ، وَفَرَّجَ، وَرَزَقَ، وَوَفَّقَ، وَسَلَّمَ، وَهَكَذَا دَوَالِيكَ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٣٣/٨): "فِي الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضَيِّفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُهُ بِهِ". اهـ
■ وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ لَهُ، بَلْ وَحَمْدَ نَفْسِهِ، وَحَمْدَهُ رُسُلَهُ،
وَخُلَصَ الْمُؤْمِنِينَ لِعِلْمِهِمْ بِعَظِيمِ حَقِّهِ.

■ فَمَا مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا وَهُوَ مُعْطِيهَا، وَمُسْدِيهَا، وَمَا مِنْ شَرٍّ إِلَّا وَهُوَ الَّذِي
يَضْرِفُهُ وَيُدْفَعُهُ، فَنِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ بِحُصُولِ الْمَطْلُوبِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ
الْمَرْهُوبِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَالْمِنَّةُ أَنْ يَشْهَدَ الْمُعْطِي أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الْفَضْلِ،
وَالْإِنْعَامِ، وَأَنَّهُ وَلِيُّ النِّعْمَةِ، وَمُسْدِيهَا، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا لِلَّهِ". اهـ
طريق الهجرتين (١٥٩).

وَقَالَ أَيْضًا: "أَضَافَ النِّعْمَةَ إِلَيْهِ إِذْ هُوَ وَلِيُّهَا، وَمُسْدِيهَا، وَالْمُنْعَمُ بِهَا
عَلَيْهِمْ، فَهِيَ نِعْمَتُهُ حَقًّا، وَهُمْ قَابِلُوهَا". اهـ مفتاح دار السعادة (٣٠٢/١).

■ وَلَنْ يَكُونَ شُكْرُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ عَظِيمَةٍ فَضْلِهِ، وَرَدِّ النِّعْمَةِ إِلَيْهِ.

❖ فَأَرْكَانُ الشُّكْرِ ثَلَاثَةٌ:

- أَحَدُهَا: الْإِقْرَارُ بِالنِّعْمَةِ.

- الثَّانِي: نَسْبَتُهَا إِلَى الْمُنْعَمِ.

- الثَّالِثُ: بَدْلُهَا فِيمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى.

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْقَوْلِ السَّيِّدِ (١٤٠): "الْوَاجِبُ عَلَى الْخَلْقِ إِضَافَةُ النِّعْمِ إِلَى اللَّهِ قَوْلًا، وَاعْتِرَافًا، وَبِذَلِكَ يَتِمُّ التَّوْحِيدُ، فَمَنْ أَنْكَرَ نِعَمَ اللَّهِ بِقَلْبِهِ، وَلِسَانِهِ: فَذَلِكَ كَافِرٌ، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ الدِّينِ شَيْءٌ."

وَمَنْ أَقْرَبَ بِقَلْبِهِ أَنَّ النِّعَمَ كُلَّهَا مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَهُوَ بِلِسَانِهِ تَارَةً يُضِيفُهَا إِلَى اللَّهِ، وَتَارَةً يُضِيفُهَا إِلَى نَفْسِهِ، وَعَمَلِهِ، وَإِلَى سَعْيِ غَيْرِهِ - كَمَا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ - .

فَهَذَا يَحِبُّ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ:

- يُتُوبَ مِنْهُ.

- وَأَنْ لَا يُضِيفَ النِّعَمَ إِلَّا إِلَى مَوْلِيَّهَا.

- وَأَنْ يُجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ.

وَلَا يَتَحَقَّقُ الْإِيمَانُ، وَالتَّوْحِيدُ إِلَّا بِإِضَافَةِ النِّعَمِ إِلَى اللَّهِ قَوْلًا، وَاعْتِرَافًا. اهـ.

فَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ، وَكَمَا أَشَارَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ خِطَابَاتِ النَّاسِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ، حَتَّى رُبَّمَا تَجَدُّهَا بَيْنَ بَعْضِ طُلَّابِ الْعِلْمِ إِذَا عُولَجَ مِنْ مَرَضٍ قَالَ: لَوْلَا الدُّكْتُورُ أَعْطَانِي كَذَا، أَوْ لَوْلَا إِهْرَةُ كَذَا، أَوْ لَوْلَا حُبُّهُ كَذَا. وَإِذَا فَرَّجَ عَنْهُ فِي أَمْرٍ قَالَ: لَوْلَا كَذَا.

■ وَالْمُتَعَيِّنُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الْمَشْهُودُ أَوَّلًا، وَالنِّعْمَةُ مُضَافَةٌ إِلَيْهِ ابْتِدَاءً، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ لَكَ أَنْ تَقُولَ: ثُمَّ كَذَا.

وَلَا يَصْلُحُ عَطْفُهَا بِالْوَاوِ عَلَى مَا يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ.
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.



بَيَانُ مَعْنَى الْوَلِيِّ

[١٨٧] ■ قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿الْآيَاتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

• دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِمَنْطُوقِهَا، وَمَفْهُومِهَا أَنَّ الْوَلِيَّ هُوَ الْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ، وَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ: (مَنْ كَانَ لِلَّهِ تَقِيًّا كَانَ لَهُ وَلِيًّا).

وَهُوَ الْعَامِلُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَا طَرِيقَ لِنَيْلِ الْوِلَايَةِ إِلَّا عَنِ طَرِيقِ اتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَدْ بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرِيقَةَ الْوِلَايَةِ وَأَنَّهَا تَنَالُ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى الْوَاجِبَاتِ وَالتَّرْوُدِ مِنَ النَّوَافِلِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ.

(٨٩) ■ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٥٠٢).

■ وَشَرَحَهُ الْإِمَامُ الشُّوْكَانِيُّ، وَبَيَّنَّ أَنَّ وَلَايَةَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ تَنَالُ:

- بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى الْفَرَائِضِ.

- وَالِاسْتِكْتَارِ مِنَ النَّوَافِلِ.

وَبِهَذَا بَلَغَ الصَّحَابَةُ دَرَجَةَ الْوِلَايَةِ، وَقَبْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ.

[١٨٨] ■ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهِ الَّذِي

نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

• فَالْأَيَّةُ صَرِيحَةٌ عَلَى أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ الصَّالِحُونَ مَنْ كَانُوا وَأَيَّنَمَا كَانُوا، وَلَمَّا ادَّعَى الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وِلَايَةَ اللَّهِ وَكَانُوا مُخَالِفِينَ لَهَا رَدَّ عَلَيْهِمْ دَعْوَاهُمْ.

[١٨٩] كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ

وَأَحِبُّوهُ فَلَمَّ يَعْذِبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨].

﴿فَأَوَّلُ أَعْمَالِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ تَحْقِيقُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتَّةِ، وَهِيَ:

- الْإِيمَانُ بِاللَّهِ.

- وَمَلَائِكَتِهِ.

- وَكُتُبِهِ.

- وَرُسُلِهِ.

- وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

- وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

■ وَمِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ:

(٩٠) قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ

رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ لِمَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». أخرجه البخاري (٨) ومسلم (١٦).

(٩١) ■ وَهَكَذَا مُرَاقِبَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سُئِلَ

عَنِ الْإِحْسَانِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». أخرجه البخاري

(٥٠) عن أبي هريرة، وأخرجه مسلم (٩) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿ فَمَنْ خَرَجَ عَنْ مَدْلُولٍ مَا تَقَدَّمَ فِي طَلَبِ الْوِلَايَةِ، فَهُوَ عَلَىٰ غَيْرِ الْجَادَةِ. قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي بَيَانٍ مِنْهُ هُوَ الْوَلِيُّ: "وَلَا بُدَّ فِي الْإِيمَانِ مِنْ أَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ، مُرْسَلٌ إِلَىٰ جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ. □ فَكُلُّ: مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِمَا جَاءَ بِهِ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ.

﴿ وَمِنَ الْإِيمَانِ بِهِ، الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ الْوَسِيطَةُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، فِي تَبْلِيغِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، فَالْحَلَالُ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالذِّينُ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ، وَبَلَّغَهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. " اهـ الفرقان (١١/١).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

○ " وَإِذَا كَانَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ، فَبِحَسَبِ إِيْمَانِ الْعَبْدِ وَتَقْوَاهُ تَكُونُ وَلايَتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ كَانَ أَكْمَلَ إِيْمَانًا وَتَقْوَى، كَانَ أَكْمَلَ وَلايَةً لِلَّهِ، فَالِنَّاسُ مُتَّفَاضِلُونَ فِي وَلايَةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، بِحَسَبِ تَفَاضُلِهِمْ فِي الْإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى، وَكَذَلِكَ يَتَّفَاضِلُونَ فِي عَدَاوَةِ اللَّهِ، بِحَسَبِ تَفَاضُلِهِمْ فِي الْكُفْرِ وَالنَّفَاقِ. " اهـ الفرقان (٨/١).

فَمِنْ هُنَا تَعَلَّمْنَا أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ أَهْلُ التَّوْحِيدِ لَا أَهْلُ الشُّرْكِ وَالتَّنَدِيدِ، وَأَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ هُمُ الْعَابِدُونَ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ، وَلَا يَجُوزُ بِحَالٍ أَنْ يَكُونُوا مَعْبُودِينَ، وَحَالُهُمْ.

[١٩٠] كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ

الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

(٩٢) يُبَيِّنُ ذَلِكَ مَا جَاءَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "نَزَلَتْ فِي

نَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ". أخرجه البخاري (٤٧١٤)، مسلم

(٣٠٣٠).

■ وَهَكَذَا الْقَوْلُ فِي الْمَلَائِكَةِ، فَوَصَفَهُمُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ بِعِبَادَتِهِ وَحَدَّهُ لَا شَرِيكَ

لَهُ.

[١٩١] قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢١﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ

بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٣﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ

نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩].

[١٩٢] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا

الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمُ

إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ [النساء: ١٧٢].

■ فَالْمَلَائِكَةُ وَرُسُلُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَالْأَوْلِيَاءُ كُلُّهُمْ عِبِيدٌ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ، التَّرَمُّوا

التَّوْحِيدَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُشْرَكَ مَعَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ غَيْرُهُ، لَا مَلَكًا مُقَرَّبًا

وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا.

[١٩٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

(٩٣) ■ وَرَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْكَرَ عَلَيَّ مَنْ قَالَ: (مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ)، فَقَالَ: «جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا، بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ». أخرجه أحمد (٢٥٦١)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، والطبراني (١٣٠٠٥)، وفي رواية عند أحمد (١٨٣٩): «أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَدْلًا بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ».

(٩٤) ■ وَعَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمْنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ» أخرجه أبو داود (٤٨٠٦) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

■ فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولٌ فَلَا يُكْذِبُ، وَعَبْدٌ فَلَا يُعْبَدُ، وَإِذَا كَانَ هَذَا الْقَوْلُ فِيهِ فِي غَيْرِهِ مِمَّنْ يُسَمُّونَهُمْ بِالْأَوْلِيَاءِ، فَمِنْ بَابِ الْأَوْلَى فَحَقَّ اللَّهُ عَزَّجَلَّ لِلَّهِ لَا يُشْرِكُهُ غَيْرُهُ، لَا مَلَكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا.

■ وَلَا طَرِيقَ لَوْلَايَتِهِ إِلَّا بِتَوْحِيدِهِ وَإِفْرَادِهِ بِمَا يَجِبُ لَهُ مِنْ إِضَافَةِ بَقِيَّةِ الْفَرَائِضِ إِلَيَّ هَذَا الْبَابِ الْعَظِيمِ.

ذَكَرْتُ هَذَا الْبَابَ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ لِمَا يَأْتِي بَيَانُهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ اتَّخَذُوا مَا يُسَمُّونَهُمْ بِالْأَوْلِيَاءِ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.

[١٩٤] كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ

دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة: ٣١].

وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا عَلَّتْ فِيهِ السَّبِيَّةُ، وَأَخْرَجُوهُ عَنْ طَوْرِهِ الْبَشَرِيِّ حَرَّقَهُمْ بِالنَّارِ، وَقَالَ قَوْلَتُهُ الْمَشْهُورَةَ الْمَذْكُورَةَ:

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ مُنْكَرًا أَجَجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَنْبَرًا
(٩٥) وَأَقْرَهُ ابْنَ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى قَتْلِهِمْ، وَإِنَّمَا أَنْكَرَ تَحْرِيقَهُمْ بِالنَّارِ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقَهُمْ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُعَذِّبُوا بَعْدَابِ اللَّهِ»، وَلَقَتَلْتَهُمْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ». أخرجَه البخاري (٣٠١٧).

■ فَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ أَصْحَابَ الْوِلَايَةِ حَقًّا لَا يَرْضُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَلَا لِيْغَيْرِهِمْ الْغُلُوَّ وَالْمُجَاوِزَةَ، إِذْ أَنَّهُمْ لَوْ رَضُوا ذَلِكَ خَرَجُوا مِنَ الْوِلَايَةِ إِلَى الْعِدَاوَةِ.

■ فَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ: (الْمُتَّقُونَ).

○ وَ(الْمُتَّقِي) هُوَ: فَاعِلُ الْمَأْمُورِ، وَتَارِكُ الْمَحْظُورِ، وَالصَّابِرُ عَلَى الْمَقْدُورِ.

○ وَهُوَ الْمُتَابِعُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْمُخْلِصُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ.

○ وَهُوَ السَّالِكُ السَّائِرُ عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ الْكَرَامِ، وَالْأَيْمَةِ الْأَعْلَامِ فِي التَّوْحِيدِ، وَغَيْرِهِ مِنْ أَبْوَابِ الدِّينِ، هُدًى بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، وَحَقًّا بَيْنَ بَاطِلَيْنِ، وَنُورًا بَيْنَ ظُلْمَتَيْنِ.

[١٩٥] وَحَالُهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرَثٍ وَدَمِرٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا

لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ [النحل: ٦٦].

فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِهِ الْمُسْتَقِيمِينَ
عَلَى شَرِيعَتِهِ، وَالْمُتَابِعِينَ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



حُسْنُ الرَّجَاءِ

■ مِنْ أَفْضَلِ وَأَزْكَى صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ (حُسْنُ رَجَائِهِمْ فِي رَبِّهِمْ عَزَّجَلَّ)، إِذْ هُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ وَمِنْ أَسْمَائِهِ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَلِذَلِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ فَيَتُوبُونَ وَيَرْجِعُونَ.

[١٩٦] ■ قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

[١٩٧] ■ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشُّرْكِ قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا وَزَنُوا، فَأَكْثَرُوا ثُمَّ أَتَوْا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: «إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو لِحَسَنِ وَلَوْ نُخْبِرْنَا أَنَّ لِمَا عَمَلْنَا كَفَّارَةً.

[١٩٨] ■ فَنَزَلَ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [٦٨]، وَنَزَلَ: ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] «أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٩٣).

(٩٦) ■ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٤٩)، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ

• قَالَ الْحَافِظُ: "اشْتَمَلَ عَلَى الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ الْمُقْتَضِيَيْنِ لِلرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، فَمَنْ عَلِمَ أَنَّ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الرَّحْمَةَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْحَمَهُ وَالْإِنْتِقَامَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ، لَا يَأْمَنُ اِنْتِقَامَهُ مَنْ يَرْجُو رَحْمَتَهُ، وَلَا يَيْأَسُ مِنْ رَحْمَتِهِ مَنْ يَخَافُ اِنْتِقَامَهُ، وَذَلِكَ بَاعِثٌ عَلَى مُجَانِبَةِ السَّيِّئَةِ، وَلَوْ كَانَتْ صَغِيرَةً، وَمُلَازِمَةَ الطَّاعَةِ وَلَوْ كَانَتْ قَلِيلَةً". اهـ فتح الباري (٣٠٢/١١).

■ وَالْمُتَأَمِّلُ لِلْأَدِلَّةِ يَحْدُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ الطَّيِّبَ مِنْ ذَلِكَ:

- أَنَّهُ تَابَ عَلَى قَوْمٍ يُونَسَ حِينَ تَابُوا.

- وَتَابَ عَلَى مَنْ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ حِينَ جَاءَ تَائِبًا.

- وَغَفَرَ لِنَعِيِّ فِي سُقْيَا كَلْبٍ.

- وَأَدْخَلَ رَجُلًا الْجَنَّةَ فِي غُصْنٍ شَوْكٍ أزالَهُ مِنْ طَرِيقِ النَّاسِ.

■ [١٩٩] وَمِنْ رَحْمَتِهِ شَرَعَ التَّوْبَةَ، وَقَبَلَهَا مِنْ عَبْدِهِ وَيُبَدِّلُ؛ لِعَظِيمِ كَرَمِهِ

سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾

[الأعراف: ٥٦].

■ فَلَا يَيْأَسُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ رُوحِ اللَّهِ أَبَدًا، فَإِنَّ اِنْتِظَارَ الْفَرَجِ مَعَ رَجَاءِ اللَّهِ

عَزَّوَجَلَّ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ، فَإِنَّهَا تَحْمِلُكَ عَلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ.

■ (٩٧) وَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي». أخرجه البخاري (٧٤٠٥)

ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَمَهْمَا طَالَتِ الشَّدَّةُ بِإِذْنِ اللَّهِ سَتَنْجَلِي مَرَضَ أَيُّوبَ ثَمَانِي عَشَرَ سَنَةً،

وَشَفِي، وَغَابَ يُوسُفُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَجُمِعَ مَعَ أَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ بَعْدَهَا.

■ فَيَدْخُلُ الرَّجَاءُ فِي بَابِ التَّوْحِيدِ:

- مِنْ جِهَةٍ أَنَّ اللَّهَ يُعْبَدُ بِالرَّجَاءِ.

- وَيَدْخُلُ مِنْ جِهَةٍ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ .

● لِمَا عَلِمَ مِنْ عَظِيمِ صِفَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَعَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، وَكَرَمِهِ، وَجُودِهِ، وَلَطْفِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَرَأْفَتِهِ، وَحِلْمِهِ.

[٢٠٠] ■ وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الرَّجَاءَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَذَابَتْ أَجْسَادُهُمْ

مِنْ خَوْفِ اللَّهِ، وَلَصَاقَ حَالُهُمْ مِنْ هَمِّ الْحَيَاةِ؛ وَلَكِنَّهُمْ بِاللَّهِ وَمَعَ اللَّهِ: ﴿إِنَّا

لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥١﴾

[غافر: ٥١].

[٢٠١] ■ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَأْلُونَ فِي مُلَازِمَةِ الطَّاعَةِ، وَالتَّوْبَةِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢].

(٩٨) وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا

دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ

ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي

بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَا تَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».

أخرجه الترمذي (٣٥٤٠).

وَفِي سَنَدِهِ (كَثِيرٌ بِنُ فَايِدِ البَصْرِيِّ) لَمْ يُوثِّقْهُ مُعْتَبَرٌ؛ لَكِنَّ الْحَدِيثَ فِي

الشَّوَاهِدِ.



■ (٩٩) وَيَشْهَدُ لَهُ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مُسْلِمٍ (٢٦٨٧) وَلَفْظُهُ: «وَمَنْ

لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيْتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً».

■ وَالرَّجَاءُ يَسْتَلْزِمُ: (الْخَوْفُ)؛ وَلَوْلَا ذَلِكَ كَانَ أَمْنًا مِنْ مَكْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.

■ وَالْخَوْفُ يَسْتَلْزِمُ: (الرَّجَاءُ)، وَلَوْلَا ذَلِكَ كَانَ يَأْسًا، وَقُنُوطًا مِنْ رَحْمَةِ

اللَّهِ عَزَّجَلَّ.



التَّوَسُّلُ الْمَشْرُوعُ

[٢٠٢] ■ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ

أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

[٢٠٣] ■ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ

الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ [المائدة: ٣٥].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

○ "و(الْوَسِيلَةُ): هِيَ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَىٰ تَحْصِيلِ الْمَقْصُودِ".

○ وَهِيَ: عَلَّمَ عَلَىٰ أَعْلَىٰ مَنْزِلَةٍ فِي الْجَنَّةِ.

○ وَهِيَ: مَنْزِلَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَارُهُ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ أَقْرَبُ أَمَاكِنِ

الْجَنَّةِ إِلَى الْعَرْشِ. اهـ التفسير (١٠٣/٣).

■ وَالتَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ مِمَّا يُقَرَّبُ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ مِنَ الْعَبْدِ، فَيَصِلُ

إِلَى قُرْبِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ بِالْإِخْلَاصِ لَهُ، وَالْمُتَابَعَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

📖 وَفِي بَابِ دُعَاءِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ يَكُونُ التَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ بِأُمُورٍ:

- أَوَّلًا: بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

[٢٠٤] ■ قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

• قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ "وَهَذَا شَامِلٌ لِدُعَاءِ الْعِبَادَةِ، وَدُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ، فَيُدْعَى فِي كُلِّ مَطْلُوبٍ بِمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ الْمَطْلُوبَ". اهـ في التفسيره (٣٠٩).

فَإِذَا أَرَدْتَ الرَّحْمَةَ تَقُولُ: "يَا رَحْمَنُ ارْحَمْنِي"، وَإِذَا أَرَدْتَ الرِّزْقَ تَقُولُ: "يَا رِزَاقُ ارْزُقْنِي"، وَهَكَذَا.

- ثَانِيًا: التَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ بِعَمَلٍ صَالِحٍ قَامَ بِهِ الدَّاعِي.

[٢٠٥] كَمَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣].

[٢٠٦] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَجْرَارِ﴾ ﴿١٩٣﴾ [آل عمران: ١٩٣].

(١٠٠) وَفِي السُّنَّةِ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قِصَّةِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى الْغَارِ، وَسُدَّ عَلَيْهِمْ بَابُ الْغَارِ، فَقَالُوا: «إِنَّهُ لَنْ يُخَلِّصَكُم مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ عَزَّجَلَّ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ» الْحَدِيثُ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٢٧٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٤٣).

• قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي إِقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ (٣١٢/٢): "أَمَّا التَّوَسُّلُ وَالتَّوَجُّهُ إِلَى اللَّهِ، وَسُؤَالُهُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا، كَدُعَاءِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ آوَوْا إِلَى الْغَارِ بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَبِدُعَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَشَفَاعَتِهِمْ، فَهَذَا مِمَّا لَا نِزَاعَ فِيهِ". اهـ

- ثَالِثًا: التَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِدُعَاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ الْحَيِّ.

[٢٠٧] قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مُخْبِرًا عَنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ: عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا

أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ [يوسف: ٩٧].

وَهُوَ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرٌ مُبَارَكٌ، يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدُّعَاءَ، وَيَدْعُو لَهُمْ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ.

(١٠١) فِيهِ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانُوا إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَوْا بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا». فَقَالَ: «فَيَسْقُونَ».

❖ فَالتَّوَسُّلُ هُنَا بِدُعَاءِ الْعَبَّاسِ لَا بِذَاتِهِ، وَلَوْ كَانَ التَّوَسُّلُ بِالذَّاتِ لَتَوَسَّلُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَهَذَا النَّوعُ مِنَ التَّوَسُّلِ مِمَّا لَا نِزَاعَ فِيهِ، كَمَا ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

• أَيُّ: التَّوَسُّلُ بِدُعَاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ.

فَمَنْ أَرَادَ الْوُصُولَ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَلْيَسْأَلْ هَذِهِ الْمَسَالِكَ الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا أَدِلَّةُ الْكِتَابِ، وَسُنَّةُ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلِذَلِكَ حِينَ يَضِيقُ بِالنَّاسِ الْحَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْتُونَ الْأَنْبِيَاءَ يَسْأَلُونَهُمُ الشَّفَاعَةَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي أَحَادِيثِ الشَّفَاعَةِ.

❖ فَيَكُونُ التَّوَسُّلُ بِطَلَبِ دُعَائِهِمْ لِلَّهِ بِالْفَرَجِ لَا بِذَوَاتِهِمْ وَحَقَّتْهُمْ عَلَى مَا يَأْتِي تَقْرِيرُهُ.

■ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِفِعْلِ الْعَبْدِ نَفْسِهِ لَا بِفِعْلِ غَيْرِهِ.

فَإِذَا فَهَمْتَ هَذَا زَالَتْ عَنْكَ غِشَاوَةُ الضَّلَالِ فِي هَذَا الْبَابِ الْعَظِيمِ الَّذِي
هُوَ مِنْ أَهَمِّ أَبْوَابِ الدِّينِ، وَلِمَا كَانَ مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ كَانَتْ مُخَالَفَةُ
الْمُخَالَفِينَ فِيهِ ظَاهِرَةً.

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.



الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ

■ [٢٠٨] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بِأَيْدِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبَرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا

وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٨﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

■ [٢٠٩] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ

﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧].

■ [٢١٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

[آل عمران: ١٨٦].

■ [٢١١] وَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾

[الرعد: ٢٤].

■ [٢١٢] وَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ الْفَائِرُونَ ﴿١١١﴾

[المؤمنون: ١١١].

■ [٢١٣] وَقَالَ تَعَالَى فِي ذِكْرِ وَصَايَا لُقْمَانَ: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ

مِن عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ [لقمان: ١٧].

■ [٢١٤] وَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ [المعارج: ٥].

[٢١٥] ■ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَالْعَصْرُ ۝١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر: ١-٣].

[٢١٦] ■ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١].

• قَالَ الطَّبْرِيُّ: قَالَ عَلْقَمَةُ: "هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَسْلَمُ ذَلِكَ وَيَرْضَى". اهـ تفسيره (٢٣/٤٢١).

• وَقَالَ الْبَغَوِيُّ: ﴿يَهْدِي قَلْبَهُ﴾ يُؤَفِّقُهُ لِلْيَقِينِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، فَيَسْلَمُ لِقَضَائِهِ". اهـ في تفسيره (١٠٤/٥).

وَهَذَا بَابٌ يَطُولُ ذِكْرُ أَدْلَتِهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ الصَّحِيحَةِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ بِالصَّبْرِ عَلَى الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، كَمَا حَثَّ وَرَغَّبَ فِي الصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَالصَّبْرِ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَالصَّبْرِ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.

[١٠٢] ■ وَعَنْ صُهَيْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ». أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

[١٠٣] ■ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ». أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

■ وَوَجْهُ إِدْخَالِ الصَّبْرِ فِي التَّوْحِيدِ: أَنَّهُ إِقْرَارٌ بِالرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ مِنَ اللَّهِ أَمْرًا أَوْ نَهْيًا، وَفِعْلًا أَوْ تَرْكًا، وَالتَّعَبُّدُ بِالصَّبْرِ دَاخِلٌ فِي الْأَلُوْهِيَّةِ، وَهُوَ فِعْلٌ خُلِّصَ الْمُوَحِّدِينَ.

[٢١٧] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَيُّوبَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿١٠٩﴾

[ص: ٤٤].

■ وَقَدْ نَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّبْقَ فِي هَذَا الْبَابِ لِمَا كَانَ أَخْلَصَ الْمُوَحِّدِينَ، وَالزَّمَهُمْ لِبَاعَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَصَبَرَ عَلَى أَقْوَالٍ وَأَفْعَالِ الْمُخَالَفِينَ، كَمَا صَبَرَ عَلَى فِعْلِ الْمَأْمُورِ، وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ، وَصَبَرَ عَلَى الْمَقْدُورِ.

■ فَمَنْ وَاجِبَاتِ التَّوْحِيدِ: تَحْقِيقُ الصَّبْرِ سِوَاءَ عَلَى الْأَقْدَارِ أَوْ غَيْرِهَا، وَلِذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ جَزَاءَ الصَّابِرِينَ بَعْضَ حِسَابٍ.

[٢١٨] قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿١٠٩﴾ [الزمر: ١٠].

(١٠٤) ■ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ». أخرجه مسلم (٢٢٣)

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(١٠٥) ■ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ». أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

﴿ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَدَارِجِ السَّالِكِينَ (٢/١٥٦-١٥٧):

(فَصُلُّ أَنْوَاعَ الصَّبْرِ) وَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ: صَبْرٌ بِاللَّهِ، وَصَبْرٌ لِلَّهِ، وَصَبْرٌ مَعَ

اللَّهِ.

- فَالْأَوَّلُ: صَبْرُ الْإِسْتِعَانَةِ بِهِ، وَرُؤْيَتُهُ أَنَّهُ هُوَ الْمُصَبِّرُ، وَأَنَّ صَبْرَ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ

لَا بِنَفْسِهِ.

[٢١٩] كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧].

• يَعْنِي: إِنْ لَمْ يُصَبِّرْكَ هُوَ لَمْ تَصْبِرْ.

- وَالثَّانِي: الصَّبْرُ لِلَّهِ.

• وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْبَاعِثُ لَهُ عَلَى الصَّبْرِ مَحَبَّةَ اللَّهِ، وَإِرَادَةَ وَجْهِهِ، وَالتَّقَرُّبَ

إِلَيْهِ؛ لَا لِإِظْهَارِهِ قُوَّةَ النَّفْسِ، وَالِاسْتِحْمَادِ إِلَى الْخَلْقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ

الْأَعْرَاضِ.

- وَالثَّلَاثُ: الصَّبْرُ مَعَ اللَّهِ.

• وَهُوَ دَوْرَانُ الْعَبْدِ مَعَ مُرَادِ اللَّهِ الدِّينِيِّ مِنْهُ، وَمَعَ أَحْكَامِهِ الدِّينِيَّةِ صَابِرًا

نَفْسُهُ مَعَهَا، سَائِرًا بِسَيْرِهَا، مُقِيمًا بِإِقَامَتِهَا، يَتَوَجَّهُ مَعَهَا أَيْنَ تَوَجَّهَتْ رَكَابُهَا،

وَيَنْزِلُ مَعَهَا أَيْنَ اسْتَقَلَّتْ مَضَارِبُهَا، فَهَذَا مَعْنَى كَوْنِهِ صَابِرًا مَعَ

اللَّهِ، وَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ وَأَصْعَبُهَا، وَهُوَ صَبْرُ الصِّدِّيقِينَ". اهـ



التَّعْبِيدُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

[٢٢٠] ■ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا

﴿١٩﴾ [الجن: ١٩].

[٢٢١] ■ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا

زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ
دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا
جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ [الأعراف: ١٨٩-١٩٠].

• قَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: "هُمُ الْكُفَّارُ سَمَّوْا أَوْلَادَهُمْ عَبْدَ الْعُزَّى، وَعَبَدَ اللَّاتِ،

وَعَبَدَ مَنَاةَ، وَنَحْوَهُ". اهـ تفسير البغوي (٣/ ٣١٤).

❖ وَقَدْ غَلِطَ مَنْ نَزَلَ الْآيَةَ عَلَى آدَمَ وَحَوَاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

[١٠٦] ■ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ

أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَيَّ اللَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ». أخرجه مسلم (٢١٣٢).

[١٠٧] ■ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْنَعُ

الْأَسْمَاءِ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الْأَمَلِكِ». أخرجه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣).

• تَفْسِيرُهَا: شَاهٍ شَاهٍ.

قَالَ الْحَافِظُ: "وَاسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى تَحْرِيمِ التَّسْمِي بِهَذَا الْإِسْمِ

لِوُرُودِ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ.

وَيَلْتَحِقُ بِهِ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُ: خَالِقِ الْخَلْقِ، وَأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ، وَسُلْطَانَ السَّلَاطِينَ، وَأَمِيرِ الْأُمَرَاءِ.

وَقِيلَ: يَلْتَحِقُ بِهِ أَيْضًا مَنْ تَسَمَّى بِشَيْءٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْخَاصَّةِ بِهِ، كَالرَّحْمَنِ، وَالْقُدُّوسِ، وَالْجَبَّارِ "اه فتح الباري (١٠/٥٩٠).

■ وَمِمَّا يَدْخُلُ فِي هَذَا الْبَابِ، وَهُوَ الْمُرَادُ التَّحْذِيرُ مِنْهُ: التَّعْبِيدُ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

كَعَبْدِ النَّبِيِّ، وَعَبْدِ الْحُسَيْنِ، وَعَبْدِ الرَّسُولِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ التَّعْبِيدَاتِ، فَلَا يَجُوزُ فِي التَّسْمِيَةِ التَّعْبِيدُ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ فِي تُحْفَةِ الْمَوْلُودِ (ص: ١١٣): "قَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعْبَدٍ لِغَيْرِ اللَّهِ.

كَ(عَبْدِ الْعَزْزِيِّ).

وَ(عَبْدِ هُبَلٍ).

وَ(عَبْدِ عَمْرٍو).

وَ(عَبْدِ الْكَعْبَةِ).

وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا (عَبْدَ الْمُطَّلِبِ) "اه.

❖ وَالصَّحِيحُ: أَنَّ (عَبْدَ الْمُطَّلِبِ) فِي حَقِّ جَدِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ

تَعْبِيدًا لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَإِنَّمَا قَدِمَ (الْمُطَّلِبُ) مَكَّةَ، وَكَانَ فِي صُحْبَتِهِ شَيْبَةُ الْحَمْدِ جَدُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



فَلَمَّا رَأَهُ النَّاسُ قَالُوا: (عَبْدُ الْمُطَّلَبِ)، كَمَا هُوَ حَالُ النَّاسِ إِذَا أَضَافُوا

الْمَوْلَى إِلَى سَيِّدِهِ.

وَأَمَّا مَا ذُكِرَ مِنْ تَسْمِيَةِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ بِ(عَبْدِ الْمُطَّلَبِ)، فَهُوَ تَصْحِيفٌ،

وَإِنَّمَا كَانَ اسْمُهُ (الْمُطَّلَبِ).



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا

وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ

سَيُجْرَبُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾.

مِنْ تَوْحِيدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: (الْإِيمَانُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ).

وَهَذِهِ الْآيَةُ مِنْ مُهِمَّاتِ الْآيِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ الْمُرَادُ مِنْهَا لَفْظًا وَمَعْنَى
وَأَنْ تُحَقَّقَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

لِأَنَّ الْمُخَالِفِينَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي هَذَا الْبَابِ كَثُرَ - لَا كَثُرَهُمُ اللَّهُ -
وَهِيَ عُمْدَةٌ فِي بَابِ مَا يُثَبَّتُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ، إِذْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُعْرَفُ
بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ كَمَا يُعْرَفُ بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

[٢٢٢] ■ فَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الْأَعْرَافُ: ١٨٠].

• أَيُّ: أَنَّهُ يُسَمَّى بِأَسْمَاءِ كُلِّهَا حُسْنَى، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى بِمَا سِوَى ذَلِكَ.

📖 وَالْأَسْمَاءُ مِنْ حَيْثُ هِيَ تَنْفَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ:

- **الْأَوَّلُ:** أَسْمَاءُ مَدْحٍ وَكَمَالٍ لَا نَقْصَ فِيهَا بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، كَالْعَلِيمِ،
وَالسَّمِيعِ، وَالْبَصِيرِ، فَهَذِهِ تُثَبَّتُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ.

- **الثَّانِي:** أَسْمَاءُ نَقْصٍ لَا كَمَالٍ فِيهَا بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، كَالْأَصَمِّ،
وَالْأَعْمَى، وَالْأَبْكَمِ، فَهَذِهِ تُنْفَى عَنِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.

- **الثَّلَاثُ:** أَسْمَاءُ كَمَالٍ وَمَدْحٍ مِنْ وَجْهِهِ، وَنَقْصٍ مِنْ وَجْهِهِ كَالْمَكْرِ، وَالْكَيْدِ،
وَالْخِدَاعِ، وَنَحْوِهَا.

■ فَهَذِهِ تُثَبَّتُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ فِي حَالِ كَمَالِهَا، وَتُنْفَى عَنِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ فِي حَالِ نَقْصِهَا، فَيُكَيِّدُ بِالْكَائِدِينَ، وَيَمَكُرُ بِالْمَاكِرِينَ، وَيَسْتَهْزِئُ بِالْمُسْتَهْزِئِينَ.

📖 وَكَانَتْ أَسْمَاءُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ حُسْنَى لِأُمُورٍ:

- **أَوَّلُهَا:** أَنَّهَا أَسْمَاءُ مَدْحٍ وَثَنَاءٍ بِذَاتِهَا.
- **ثَانِيهَا:** أَنَّهَا أَسْمَاءُ دَالَّةٌ عَلَى الْكَمَالِ.
- **ثَالِثُهَا:** أَنَّ كُلَّ اسْمٍ يَتَضَمَّنُ صِفَةً.
- **رَابِعُهَا:** أَنَّهَا مَذْكُورَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- **خَامِسُهَا:** أَنَّ اللَّهَ يُدْعَى بِهَا، وَالتَّوَسُّلُ بِهَا مِنْ أَسْبَابِ اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ.
- **سَادِسُهَا:** أَنَّ شَرَفَهَا بِشَرَفِ الْمُسَمَّى بِهَا، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- **سَابِعُهَا:** أَنَّهَا غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؛ بَلْ هِيَ أَسْمَاءُ سَمَّى اللَّهُ عَزَّجَلَّ بِهَا نَفْسَهُ، وَسَمَّاهُ بِهَا رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ.

■ وَ(الْحُسْنَى) تَأْنِيثُ الْأَحْسَنِ كَالْكُبْرَى وَالصُّغْرَى، كَمَا قَرَّرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ.

❖ وَالتَّأْنِيثُ عَائِدٌ إِلَى الْجَمَاعَةِ لَا إِلَى أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

📖 وَيَشْتَرِطُ فِي الْأِسْمِ حَتَّى يُطْلَقَ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ:

أَنْ يَدُلَّ عَلَى:

- الذَّاتِ.

- وَالصِّفَةِ.

مَعَ مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهَا فِي وُرُودِهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

■ إِذْ لَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ فِي إِثْبَاتِ مَا يَجِبُ، وَمَا يَجُوزُ، وَمَا يَمْتَنِعُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ،
مَعَ أَنَّ الْعَقْلَ يَدُلُّ عَلَى إِثْبَاتِ الْكَمَالِ الْمُطْلَقِ؛ لَكِنْ لَا نَعْلَمُ تَفَاصِيلَ أَسْمَائِهِ
الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى إِلَّا بِمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

□ وَتُثْبِتُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ الْجَلِيلَةِ بِالذَّلَالِاتِ الثَّلَاثِ:

- ١- بِ(الْمُطَابَقَةِ)، وَهِيَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى جَمِيعِ الْمَعْنَى.
- ٢- وَبِ(التَّضْمُنِ)، وَهِيَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى بَعْضِ الْمَعْنَى.
- ٣- وَبِ(الانْتِزَامِ)، وَهُوَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى مَعْنَى خَارِجِ عَنَّهُ.

• مِثَالُهُ: لَفْظُ الْجَلَالَةِ (الله):

- يَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ الْعُلْيَةِ.
 - وَعَلَى الْأَسْمِ بِالْمُطَابَقَةِ.
 - وَيَدُلُّ عَلَى صِفَةِ الْأُلُوْهِيَّةِ.
 - وَعَلَى اسْمِ الذَّاتِ الْعُلْيَةِ بِالتَّضْمُنِ.
- وَيَدُلُّ عَلَى إِثْبَاتِ الْكَلَامِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصْرِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالْإِرَادَةِ بِالانْتِزَامِ؛
لِأَنَّ الْإِلَهَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا سَمِيعًا بَصِيرًا مُرِيدًا مُتَكَلِّمًا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

□ وَأَسْمَاءُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ غَيْرُ دَاخِلَةٍ تَحْتَ حَصْرِ مَعْلُومٍ لَنَا.

[٢٢٣] لِلإِطْلَاقِ الَّذِي جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ

(١٠٨) وَلِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ الْحَاكِمِ وَغَيْرِهِ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَجَلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي». أخرجه أحمد (٣٧١٢)، وابن حبان في صحيحه (٩٧٢)، والحاكم (١٩٢٩).

(١٠٩) ❖ وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ». أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).
فَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهَا مَحْصُورَةٌ بِ(تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ) كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ حُزْمٍ، وَظَاهِرُ كَلَامِ ابْنِ كَجٍّ؛ وَلَكِنَّ مَعْنَاهُ كَقَوْلِ الْعَرَبِ: عِنْدِي مِئَةٌ دِينَارٍ أَعَدَدْتُهَا لِلصَّدَقَةِ، وَلَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ.

■ وَبَابُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ يَنْبَغِي أَنْ يُشَاعَ وَيُذَاعَ فِي الْمَجَالِسِ وَالْمَحَاضِرَاتِ وَالْخُطَبِ لِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ فَقَوْلُهُ مَرْدُودٌ.
وَقَدْ ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ "التَّسْعِينَ" قَرِيبًا مِنْ ثَمَانِي عَشْرَ وَجْهًا يُرَدُّ بِهِ عَلَى مَنْ مَنَعَ ذَلِكَ حِينَ الزُّمُوهُ بَعْدَ التَّحَدُّثِ فِي هَذَا الْبَابِ.

■ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُدْعَى اللَّهُ بِغَيْرِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى.
كَأَسْمَاءِ الْأَخْبَارِ، فَلَا تَقُلْ: يَا الْمُتَكَلِّمُ، أَوْ يَا الشَّائِي، أَوْ يَا الْمُرِيدُ، وَإِنَّمَا تَدْعُو اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى: يَا اللَّهُ، يَا رَحْمَنُ، يَا رَحِيمُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.
■ وَيُنَاسِبُ أَنْ تَدْعُو مَعَ كُلِّ طَلَبٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ.
فَإِذَا طَلَبْتَ الرِّزْقَ نَوَسَلْتَ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِاسْمِ الرِّزَاقِ وَهَكَذَا.

■ وَأَسْمَاءُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ مُتَفَاوِضَةٌ عَلَى الْقَوْلِ الصَّحِيحِ؛ لُورُودِ الْأَدِلَّةِ بِتَفَاوُضِ الْقُرْآنِ.

(١١٠) وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْمُعَلَّى: «لَأَعْلَمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ»، فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَخْرُجَ فَذَكَرْتُ لَهُ، وَقَالَ: «هِيَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ السَّبْعُ الْمَثَانِي» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٦٤٧).

(١١١) وَقَالَ لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ: «يَا أَبَا الْمُنْدَرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْدَرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللَّهُ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْدَرِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٨١٠).

■ وَهَكَذَا قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١].

(١١٢) قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحْشُدُوا، فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، فَحَشَدَ مِنْ حَشْدٍ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَرَأَ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أَرَى هَذَا خَبْرًا جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ، فَذَلِكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٨١٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَإِذَا كَانَ الْقُرْآنُ مُتَفَاوِضًا دَلَّ عَلَى أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَصِفَاتِهِ مُتَفَاوِضَةٌ. ■ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى التَّفَاوُضِ وَرُودِ الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ.

(١١٣) وَفِي حَدِيثِ بَرِيدَةَ، وَجَاءَ عَنْ غَيْرِهِ بِمَعْنَاهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا مَنْنُ يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ». أخرجه الترمذي (٣٥٤٤)، وجاء عند أحمد (١٣٧٩٨) واللفظ لأحمد.

■ وَاسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ هُوَ (اللَّهُ)، وَذَهَبَ جُمْعٌ إِلَى أَنَّهُ (الْحَيُّ الْقَيُّومُ)، وَقَدْ وَرَدَ فِي ثَلَاثِ سُورٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَجَاءَتْ فِيهِ أَحَادِيثٌ ضَعِيفَةٌ.

(١١٤) ❖ وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي فِيهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ» أخرجه أحمد (٢٢٩٥٢)، أَوْ الْحَدِيثُ الَّذِي فِيهِ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ» أخرجه أبو داود (١٤٩٥) عن أنس، وجاء عند أحمد وغيرهما؛ إِنَّمَا دَلَّ عَلَى اسْتِجَابَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لِلدُّعَاءِ بِهَذَا الْاسْمِ.

(١١٥) فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْظُّوْأُ بَيْنَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ». أخرجه الترمذي (٣٥٢٤) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١١٦) وَكَانَ فِي كَثِيرٍ مِنْ دُعَائِهِ يَقُولُ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ» أخرجه أحمد (١٢٦١١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

■ وَلَا يَجُوزُ دُعَاءُ الصِّفَةِ فَلَا تَقُلْ: (يَا سَمِعَ اللَّهُ)، (يَا بَصَرَ اللَّهُ)، أَوْ (يَا وَجْهَ اللَّهِ)، أَوْ (يَا يَدَ اللَّهِ)، بَلْ يُدْعَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُسَمَّى بِالْأَسْمَاءِ وَالْمَوْصُوفِ بِالصِّفَاتِ.

❖ وَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ: «بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٢٤)، فَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ شَاذَةٌ لَا تَثْبُتُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى ثُبُوتِهَا فَقَدْ قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: بِأَنَّهَا تَوْسُّلٌ بِرَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ لَا أَنَّهُ دَعَاهَا.

■ وَأَسْمَاءُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَصِفَاتُهُ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ.

بَلْ إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ هُوَ الَّذِي سَمَّى نَفْسَهُ بِأَسْمَاءٍ، وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِصِفَاتٍ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، فَقَدْ كَفَرَ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ قَاطِبَةً، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِهَذَا الْأَمْرِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالضَّلَالِ الْمُخَالِفِينَ الْمُنْحَرِفِينَ فِي هَذَا الْبَابِ.

■ وَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: الدُّعَاءَ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى.

■ وَيَدْخُلُ فِيهَا الْأَسْمَاءُ الْمُرَكَّبَةُ:

- كَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

- وَرَبُّ الْعَالَمِينَ.

- وَجَامِعِ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ.

وَنَقَلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْإِجْمَاعَ عَلَى دُعَاءِ اللَّهِ بِالْأَسْمَاءِ الْمُرَكَّبَةِ، وَهُنَاكَ قَوَاعِدٌ كَثِيرَةٌ لِهَذَا الْبَابِ قَدْ ضَمَّتْهَا كِتَابِي: "الْقَوَاعِدُ الْحَسَنُ فِي أَسْمَاءِ وَصِفَاتِ الرَّحْمَنِ".

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.



وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ

[٢٢٤] ■ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

[الزمر: ٦٧].

(١١٧) • وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ:

يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ.

وَالْأَرْضَ ضَيْنِ عَلَى إصْبَعٍ.

وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ.

وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إصْبَعٍ.

وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ.

فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قرَأَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

[الزمر: ٦٧]. أخرجه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

﴿٢٢٥﴾ قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ لَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ:

[٢٢٥] - أَحَدُهَا: قَوْلُهُ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ

مِّنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

[٢٢٦] - الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ صُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ وَ

إِنِ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ

يَسْلُبُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الظَّالِمِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ مَا

قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣-٧٤].

[٢٢٧] / [٢] - الثَّلَاثُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ

جَمِيعًا فَبُضْئُهُ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧].

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ أَنْكَرَ إِرسَالَهُ لِلرُّسُلِ، وَإِنْزَالَ كُتُبِهِ عَلَيْهِمْ.

وَهَذِهِ حَقِيقَةُ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ، وَلَمْ يَنْزِلْ لَهُ إِلَى الْأَرْضِ كَلَامٌ،

وَلَا كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا إِنْكَارٌ لِكَمَالِ رَبُّوبِيَّتِهِ، وَحَقِيقَةُ إِلهِيَّتِهِ، وَلِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

وَلَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ عَبَدَ مِنْ دُونِهِ إِلهًا غَيْرَهُ، وَلَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ

جَحَدَ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَنَعُوتِ جَلَالِهِ ...

إِلَى أَنْ قَالَ: "فَكَانَ هَذَا رَدًّا عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُعْطَلِينَ الْجَاهِلِينَ

لِتَوْحِيدِهِ وَلِصِفَاتِهِ، كَمَا كَانَ ذَلِكَ رَدًّا عَلَى مُنْكَرِي كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَهَذَا أَصْلًا

الإِسْلَامِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَهَذَا الَّذِي وَصَفَ

بِهِ نَفْسُهُ هَاهُنَا يَتَّصَمَنُ مِنْ اِقْتِدَارِهِ عَلَى تَغْيِيرِ الْعَالَمِ وَتَبْدِيلِهِ مَا يُبْطِلُ قَوْلَ
أَعْدَائِهِ الْمَلَا حِدَةَ الْمُكْذِبِينَ بِالْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ". اهـ الصواعق المرسله (٤ / ١٣٥٨).

• وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَا قَدَّرَ الْمُشْرِكُونَ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، حِينَ عَبَدُوا مَعَهُ
غَيْرَهُ، وَهُوَ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا أَعْظَمَ مِنْهُ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْمَالِكُ لِكُلِّ
شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ وَقُدْرَتِهِ". اهـ

(١١٨) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ
الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيُّنَ مُلُوكِ
الْأَرْضِ؟» أخرجه البخاري (٦٥١٩)، ومسلم (٢٧٨٧).

(١١٩) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:
«إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضَ، وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا
الْمَلِكُ» أخرجه البخاري (٧٤١٢).

(١٢٠) ❖ وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٧٨٨) مِنْ طَرِيقِ عُمَرَ بْنِ حَمْزَةَ - وَهُوَ ضَعِيفٌ
- بَلْفَظٍ: «يَطْوِي اللَّهُ عَزَّجَلَّ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهَا بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ
يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيُّنَ الْجَبَّارُونَ، أَيُّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ،
ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيُّنَ الْجَبَّارُونَ، أَيُّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ».

(١٢١) فَهَذِهِ اللَّفْظَةُ بِذِكْرِ الشَّمَالِ مُنْكَرَةٌ تَفَرَّدَ بِهَا عُمَرُ بْنُ حَمْزَةَ وَهُوَ
ضَعِيفٌ، وَالصَّحِيحُ فِي هَذَا: مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:
«وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» أخرجه مسلم (١٨٢٧).

□ فالله عَزَّوَجَلَّ عَظِيمٌ كَبِيرٌ وَاسِعٌ مُوصُوفٌ بِكُلِّ كَمَالٍ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ .
 □ فَيَحِبُّ: أَنْ يُثَبِّتَ لَهُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، وَمَا أَثْبَتَهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ
 تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ .

[٢٢٨] بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١)

[الشورى: ١١].

□ كَمَا يَنْفِي عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَمَا نَفَاهُ عَنْهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ
 اتِّصَافِهِ بِكَمَالٍ ضِدِّ الْمُنْفِي .

(١٢٢) وَعِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ (١٩٨٧)، وَغَيْرِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنْ
 ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةٌ خَمْسِ
 مِائَةٍ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةٌ خَمْسِ مِائَةٍ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ
 وَالْكُرْسِيِّ مَسِيرَةٌ خَمْسِ مِائَةٍ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ الْكُرْسِيِّ، وَالْمَاءِ مَسِيرَةٌ خَمْسِ مِائَةٍ
 عَامٍ، وَالْعَرْشِ عَلَى الْمَاءِ، وَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» .

(١٢٣) وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ وَحْدَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ عِنْدَ الْكُرْسِيِّ
 إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى
 الْحَلَقَةِ» . أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ (٣٦١)، وَهُوَ مَخْرُجٌ فِي الصَّحِيحَةِ (١٠٩) .

(١٢٤) ■ وَقَدْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَبْرِيْلَ لَهُ سِتْمِائَةٌ جَنَاحٍ سَادًّا،
 عَظْمٌ خَلَقَهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَغَيْرِهَا .

(١٢٥) ■ وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَذِنَ لِي رَبِّي أَحَدْتُ عَنْ مَلِكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ». أخرجه أبو داود (٤٧٢٧).

[٢٢٩] ■ فَهَذِهِ مَخْلُوقَاتُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ فِي الْعِظْمَةِ وَالسَّعَةِ وَالْقُوَّةِ، قَالَ اللَّهُ

عَزَّجَلَّ وَاصِفًا جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠].

[٢٣٠] فَكَيْفَ بِالْقَوِيِّ الْوَاسِعِ الْمَجِيدِ الْكَرِيمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ

وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

• وَهَذِهِ الْآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى إِحَاطَتِهِ سُبْحَانَهُ الزَّمَانِيَّةَ وَالْمَكَانِيَّةَ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ

مُحِيطٌ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



دَحْضُ الشَّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ

دَحْضُ الشُّرْكِ وَالتَّنْذِيرِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

■ فَإِنَّ أَوَّلَ نَهْيٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَانَ عَنِ (الشُّرْكِ وَالتَّنْذِيرِ)؛ وَذَلِكَ لِخَطَرِهِ وَضَرَرِهِ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ ذَنْبٍ عُصِيَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ.

[١] ■ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

○ وَ(النَّدُّ) هُوَ: الشَّرِيكُ وَالْمُثِيلُ وَالنَّظِيرُ.

■ وَرَبَّنَا عَزَّجَلْ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ جَعْلِ شَرِيكٍ لَهُ فِي: رُبُوبِيَّتِهِ، وَأُلُوْهِيَّتِهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدْ وَقَعَ فِي الذَّنْبِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يُعْفَرُ لِمَنْ مَاتَ عَلَيْهِ.

[٢] ■ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

[٣] ■ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُعْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ

لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

[٤] ■ وَقَالَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

■ وَمَا سِوَى الشُّرْكِ مِنَ الذُّنُوبِ صَاحِبُهَا تَحْتَ الْمَشِيئَةِ، إِنْ مَاتَ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّجَلْ غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّجَلْ عَاقَبَهُ عَلَيْهِهَا.

■ وَالشَّرْكَ سَبِيلُ النَّارِ وَغَضَبُ الْعَجْبَارِ

[٥] ■ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ

وَمَأْوَدَهُ النَّارَ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

[٦] ■ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ

أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ [الحج: ٣١].

■ وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ الْإِحْتِضَارِ: أَنَّ رُوحَ الْمُشْرِكِ تُلقَى مِنَ السَّمَاءِ حِينَ

لَا تُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ.

[٧] ■ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْتَحُ

لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ [الأعراف: ٤٠].

[٨] ■ وَمِنْهُ إِخْبَارُهُ بِجَزَاءِ الْمُجْرِمِينَ الْمُشْرِكِينَ الْكَافِرِينَ: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ

مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ عَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ [الأعراف: ٤١].

■ وَقَدْ حَذَّرَ اللَّهُ مِنَ الشَّرْكِ قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ.

[٩] ■ حَيْثُ قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] نَكْرَةً فِي

سِيَاقِ النَّهْيِ تُفِيدُ الْعُمُومَ.

وَهَذَا حُكْمٌ عَامٌّ فِي جَمِيعِ جُزْئِيَّاتِ الشَّرْكِ.

(١) ■ وَقَالَ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «أَنَا أَخْغَى الشَّرْكَاءِ عَنِ الشَّرْكِ،

مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشَرَكْتُهُ». أخرجَه مسلم (٢٩٨٥) عن أبي

■ وَسَمَّى اللهُ الْمُشْرِكِينَ شَرَّ الْبَرِيَّةِ.

[١٠] حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ

جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ [البينة: ٦].

■ وَالشُّرْكَ سَبَبٌ لِحُبُوطِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

[١١] قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨].

□ فَالْعِبَادَةُ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً - فِي حُكْمِ الشَّرْعِ - إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ.

■ وَالشُّرْكَ مِمَّا حَرَّمَ اللهُ.

[١٢] حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ آثَارِ

تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

■ وَسَوَاءٌ كَانَ الشُّرْكَ الْأَكْبَرُ أَوِ الْأَصْغَرُ، فَكِلَاهُمَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ مَاتَ عَلَيْهِ،

وَإِنَّمَا الْأَكْبَرُ يُخْلَدُ صَاحِبُهُ فِي النَّارِ، بِخِلَافِ الْأَصْغَرِ فَإِنَّهُ لَا يُخْلَدُ فِيهَا.

[١٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ

وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا

لَا تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، وَلَا حُجَّةَ عَلَى الشُّرْكِ مُطْلَقًا.

■ وَصَاحِبُ الشُّرْكِ نَجِسٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ، لَا يَطْهَرُ حَتَّىٰ بِالنَّارِ:

[١٤] قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَتَابِئُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

■ وَهُوَ سَبَبُ الْخُلُودِ فِي النَّارِ وَبُئْسَ الْقَرَارُ:

[١٥] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾

﴿٣٩﴾ [الإسراء: ٣٩].

• مَطْرُودًا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

[١٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦].

■ وَالْمُشْرِكُ لَا يَنْتَفِعُ بِشَفَاعَةٍ.

[١٧] قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا تَفْعَلُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

[١٨] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

□ فَلَا يَجُوزُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَنْ يُشْرَكَ مَعَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ غَيْرُهُ، لَا مَلِكًا مُقْرَبًا

وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا.

(٢) ■ وَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ: الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟

قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦) عن ابن مسعود

رضي الله عنه.

وَإِنَّمَا هَذِهِ إِشَارَاتٌ إِلَى خَطَرِ الشُّرْكِ وَالتَّنْذِيرِ، وَإِلَّا فَفِي الْقُرْآنِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ نَصًّا، وَظَاهِرًا مَا يُدَوِّنُ فِي مُجَلَّدَاتِ اللَّتَّحْذِيرِ مِنْ هَذَا الشَّرِّ الْمُسْتَطِيرِّ، وَالذَّنْبِ الْكَبِيرِ.

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ خَطَرِ الشُّرْكِ وَالْمُشْرِكِينَ وَحَالِ الْمُشْرِكِينَ فِي الدَّارَيْنِ، وَمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْخِزْيِ الْمُبِينِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَفِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ لِمُعْتَبِرٍ وَذِكْرٌ لِمُتَذَكِّرٍ.

■ وَلَيْسَ الشُّرْكَ فَقَطْ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؛ بَلْ وَالْقُبُورِ، فَحُكْمُهَا حُكْمُهَا مِمَّا

يَعْلَمُهُ الْمُعْتَبِرُ بِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الشُّرْكِ وَالتَّنْذِيرِ.

■ وَقَدْ أَبَاحَ اللَّهُ قَتْلَ الْمُشْرِكِينَ وَسَبِّهِمْ فِي حَالِ قُدْرَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِشِدَّةِ ضَرَرِهِمْ وَعَظِيمِ خَطَرِهِمْ؛ فَهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَأَعْدَاءُ الْمُؤَحِّدِينَ.

[١٩] قَالَ تَعَالَى: ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

■ وَقَدْ تَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ حَتَّى بَلَّغُوا الْهَوَانَ وَالذَّلَّ وَالْخُسْرَانَ.

[٢٠] قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا ءَايَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٦﴾﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٦].

فَالْحَدْرُ الْحَدْرُ مِنْ هَذَا الشَّرِّ.

[٢١] فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: - وَهُوَ خَبْرٌ عَنَّا وَلَنَا-: ﴿لَيْتَ

أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

■ وَلَا يَنْفَعُ مَعَ الشِّرْكِ عَمَلٌ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي غَيْرِ مَوَاطِنٍ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

(٣) وَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ابْنِ جُدْعَانَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ شَأْنِهِ كَثْرَةُ النَّفَقَاتِ وَالْعَتَقِ وَعَمَلِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، فَقَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا:

رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ». أخرجه مسلم (٢١٤) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

• أَي: لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ.

وَكَمْ أَكْرَمَ أَبُو طَالِبٍ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غَضِبَ لَهُ وَنَصَرَهُ؛ وَلَكِنْ حِينَ لَمْ
يَدْخُلَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يَنْتَفِعْ، إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَفَعَ فِي تَخْفِيفِ
الْعَذَابِ عَنْهُ كَمَا تَقَدَّمَ.

نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.



الشُّرْكَ أَكْبَرُ الذُّنُوبِ وَأَشَدُّ الْأَثَامِ

■ وَصَرَّرُهُ حَاصِلٌ عَلَى صَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

[٢٢٢] وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [١٣] ﴿لِقَمَان: ١٣﴾.

وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سُئِلَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقَكَ». أخرجَه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

■ وَلِمَا كَانَ فِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ جَعَلَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَغْفِرَ وَلَا يَتَجَاوَزَ عَنْ مَنْ مَاتَ عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ الْأَكْبَرُ يُخَلَّدُ صَاحِبَهُ فِي النَّارِ وَبَيَّسَ الْقَرَارُ.

[٢٢٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُولًا وَعَرَّتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَوْنَ﴾ [٣٥] ﴿الجنائنة: ٣٥﴾.

[٢٢٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [٦٤] ﴿خٰلِدِينَ فِيهَا

أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [٦٥] ﴿الأحزاب: ٦٤-٦٥﴾.

[٢٢٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خٰلِدُونَ﴾ [٧٤] ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ

وَهُمْ فِيهِ مُبٰلسُونَ﴾ [٧٥] ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّٰلِمِينَ﴾ [٧٦] ﴿وَنَادَوْا يٰمٰلِكُ لِيَقْضِ

عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكٰشُونَ﴾ [٧٧] ﴿الزخرف: ٧٤-٧٧﴾.


■ وَكُلُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ فِيهَا وَعِيدٌ وَعَذَابٌ، فَيَدْخُلُ فِيهَا الْمُشْرِكُونَ

الْمُلْحِدُونَ دُخُولًا أَوَّلِيًّا.

فَاتَّهَمُوا قَدْ نَالُوا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ وَلَعْنَتِهِ وَنَقَمَتِهِ مَا لَحِقَهُمْ مِنَ الْهَوَانِ
وَالذُّلِّ وَالْخُسْرَانِ.

[٢٦] قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ
النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٥-١٦].

■ وَلِعَظِيمِ خَطَرِهِ وَشِدَّتِهِ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ الشُّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ بِأَقْبَحِ
الْأَوْصَافِ.

فَسَمَّاهُمْ: 

- بِالْمُجْرِمِينَ.
- وَالظَّالِمِينَ.
- وَالْخَاسِرِينَ.
- وَالْفَاسِدِينَ.
- وَالْمُفْسِدِينَ.
- وَالْكَاذِبِينَ.
- وَالْكَافِرِينَ.
- وَالْمُشْرِكِينَ.
- وَالْغَافِلِينَ.
- وَسَمَّاهُمْ بِالْمُعْرِضِينَ.
- وَأَتَّهَمَهُمْ: لَا يَعْقِلُونَ، وَلَا يَفْقَهُونَ، وَلَا يَعْلَمُونَ.



وَسَمَّاهُمْ:

- بِالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ.

- وَالضَّالِّينَ.

- وَشَرِّ الْبَرِيَّةِ.

- وَالْفَاسِقِينَ.

- وَهُمْ أَهْلُ الشَّقَاوَةِ.

وَوَصَفَهُمْ:

- بِالْمُسْتَكْبِرِينَ.

- وَالْجَاحِدِينَ.

- وَلَعَنَهُمْ.

- وَشَبَّهَهُمْ بِالْأَنْعَامِ؛ بَلْ هُمْ أَضَلُّ.

وَوَصَفَهُمْ:

- بِالْحَيْرَةِ.

- وَالصَّمَمِ، وَالْبِكَمِ، وَالْعَمَى.

وَكُلُّ ذَلِكَ عَنِ الْحَقِّ، وَإِنْ كَانُوا يَعْلَمُونَ شَأْنَ الدُّنْيَا.

وَوَصَفَ قُلُوبَهُمْ بِمَا يُعْلَمُ بِهِ بَعْدَهَا عَنِ الْهُدَى وَالرُّشْدِ:

- فَأَخْبَرَ أَنَّهَا غُلِفَتْ.

- وَأَنَّهَا طُبِعَ عَلَيْهَا.

- وَأَنَّهَا مَرِيضَةٌ.

- وَأَنَّهَا عَمِيَاءٌ.

- وَأَنَّ عَلَيْهَا أَكْتَةً وَلَا تَفْقَهُ.

- وَأَنَّ عَلَيْهَا أَقْفَالَهَا.

- وَأَنَّهَا تَشْمِزُّ مِنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ.

- وَتَسْتَبْشِرُ بِسَمَاعِ الْأَلْحَانِ.

وَكَمْ لَهُمْ مِنَ الْأَوْصَافِ الدَّمِيمَةِ فِي كِتَابِ رَبِّنَا عَزَّجَلَّ، وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَانٍ لِظُلْمِهِمْ، وَشَرِّهِمْ، وَحَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَا أَشَرَّ مِنْهُمْ وَلَا أَضَلَّ وَلَا أَكْذَبَ وَأَظْلَمَ، فَقَدْ ضَيَّعُوا حَقَّ اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَنَسُوهُ، فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ.

□ فَتُبْحُ الشُّرْكُ مُسْتَقَرًّا فِي الْعُقُولِ وَالْفِطْرِ، وَالسَّمْعُ نَبَهُ الْعُقُولِ وَأَرْشَدَهَا لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ.

[٢٧] قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أََعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم: ١٨].

[٢٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور: ٣٩].

نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَالْمَالِ.

وَقَدْ ذَكَرْتُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فِي كِتَابِي: "فَتْحِ الْمَجِيدِ بَيَانِ هِدَايَةِ الْقُرْآنِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الشُّرْكِ وَالتَّنْذِيرِ"، فَإِنَّ هَذَا ذَنْبٌ سَيِّئٌ جَدًّا.



مَاذَا نَقُولُ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ مِنَ الْكَافِرِينَ وَالْمُجْرِمِينَ
وَالْفَاسِقِينَ؛ فَالزَّانِي، وَالسَّارِقَ، وَشَارِبِ الْخَمْرِ، وَاللُّوْطِيَّ فَسَّاقٍ؛ لَكِنَّ هَذَا
أَعْظَمُ مِنْهُمْ فَسُوقًا!، هَذَا فَسُوقُهُ يُخَلِدُهُ فِي النَّارِ وَبَسَّ الْقَرَارُ!



تَفْسِيرُ الشُّرْكِ

○ وَأَمَّا (الشُّرْكُ) فَهُوَ: تَشْرِيكُ وَمَسَاوَاةُ غَيْرِ اللَّهِ بِاللَّهِ، فِيمَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

○ فَيَكُونُ (الشُّرْكُ فِي الْأَلُوْهِيَّةِ) هُوَ: تَشْرِيكُ وَتَسْوِيَةُ غَيْرِ اللَّهِ بِاللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ سِوَاءِ شُرْكَ فِي بَعْضِهَا أَوْ كُلِّهَا.

○ وَأَمَّا (الشُّرْكُ فِي الرَّبُّوبِيَّةِ) فَهُوَ: تَشْرِيكُ غَيْرِ اللَّهِ بِاللَّهِ فِيمَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ، وَأَفْعَالِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

[٢٩] وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

﴿٩٧﴾ إِذْ نُسُوِكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨].

• أَي: فِي الْعِبَادَةِ لَا فِي الذَّاتِ.

□ وَمَعْلُومٌ شَرْعًا وَعَقْلًا: أَنَّهُمْ لَمْ يَسُوُوا الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، وَلَكِنَّمَا فِي الْعِبَادَةِ حَيْثُ صَرَفُوا حَقَّ اللَّهِ عَزَّجَلَّ لِغَيْرِهِ.

□ مَعَ الْعِلْمِ: أَنَّ الْأَصْنَامَ الْجَمَادِيَّةَ لَمْ تُعْبَدْ لِذَاتِهَا، وَإِنَّمَا وُضِعَتْ فِي الْأَصْلِ لِمَا كَانَ غَائِبًا مِنْ مَعْبُودَاتِ الْمُشْرِكِينَ سِوَاءِ مَنْ الْمَلَائِكَةِ أَوْ الشَّيَاطِينِ.

(٤) وَقَدْ وَصَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَالَ الْمُشْرِكِ بِقَوْلِهِ: «وَأَنَّ مَثَلَ مَنْ

أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ فَقَالَ هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَأَعْمَلُ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَيَّ غَيْرَ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ

يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ». أخرجه الترمذي (٢٨٦٣) عن الحارث الأشعري.

■ وَهِيَ وَصِيَّةُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَنَقَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْرَأًا لَهَا فَصَارَتْ مِنْ شَرَعِنَا.

□ ثُمَّ إِنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ فِي دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ شَأْنُهُمْ وَاحِدٌ.

■ فَإِذَا كَانَ هَذَا الْعَبْدُ مُذْمُومًا قَدْرًا وَشَرْعًا؛ لِأَنَّهُ يَعْمَلُ عَلَى خِلَافِ مَا يُرِيدُ سَيِّئُهُ، فَكَذَلِكَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَنَدَّدَ مَعَهُ غَيْرَهُ أَسْوَأَ حَالًا وَأَكْثَرَ ذَمًّا، فَقَدْ خَالَفَ مَا لِأَجَلِهِ خُلِقَ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ شِرْكُهُمْ كَانَ فِي الْعِبَادَةِ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ.

■ فَفِي الْجُمْلَةِ يُثْبِتُونَ الرُّبُوبِيَّةَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ وَلَكِنْ جَعَلُوا كَثِيرًا مِنْ مَعَانِي الرُّبُوبِيَّةِ فِي أَصْنَامِهِمْ.

[٣٠] يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ

اللَّهُ ۗ﴾ [لقمان: ٢٥].

(٥) وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ وَيَقُولُونَ: لَيْتَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَيَقُولُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ قَدَّ».

• أَيُّ: يَكْفِي يَكْفِي، فَيَقُولُونَ: (إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ). أخرجه

مسلم (١١٨٥).

■ وَكَانَ شِرْكُهُمْ أَيْضًا أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا هَذِهِ الْمَعْبُودَاتِ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ

عَزَّوَجَلَّ.

[٣١] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُمْ: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾

[الزمر: ٣].

□ وَدِينُ الْحَنِيفِيَّةِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ لَيْسَ فِيهِ وَاسِطَةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَخَلْقِهِ لَا فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا فِي الْأُلُوهِيَّةِ، وَإِنَّمَا الرُّسُلُ وَسَائِطٌ فِي التَّبْلِيغِ وَالِدَّلَالَةِ.

[٣٢] □ وَأَيْضًا اتَّخَذُوهُمْ شُفَعَاءَ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَبْتَغُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

📖 وَأَنْوَاعٌ مَا يَقَعُ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ فِي هَذَا الْبَابِ:

- **الأوَّل:** (شرك في الربوبية).

○ وَهُوَ: اعْتِقَادُ أَنَّ ثَمَّةَ مُتَصَرِّفٍ فِي الْكُونِ مَعَ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ، أَوِ الْمَلِكِ، أَوِ التَّدْبِيرِ.

كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: بِتَصَرُّفِ الْغَوْثِ، أَوِ الْأَوْتَادِ، أَوِ الْأَقْطَابِ فِي هَذَا الْعَالَمِ سِوَاءَ قَالُوا بِأَمْرِ اللَّهِ، أَوْ مِنْ غَيْرِ أَمْرِهِ.

□ وَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ أَقْرَبُ بِهِ الْخَلَائِقُ، مُؤْمِنُهَا وَكَافِرُهَا فِي الْجُمْلَةِ، وَلَمْ يُنْكَرْهُ إِلَّا شَوَاذٌ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ.

[٣٣] □ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شَرْكِ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ

﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أِذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا

قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

فَهُمْ عَاجِزُونَ عَنِ جَمِيعِ أَنْوَاعِ النِّفْعِ وَلِذَلِكَ قَطَعَهَا اللَّهُ عَنْهُمْ.

- **الثاني:** (شرك في الألوهية).

○ وهو: صرف العبادة، أو نوع منها لغير الله عزَّجَل.

[٣٤] قال الله عزَّجَل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

□ وتوحيد الربوبية والألوهية مفهومان متغايران، فإذا افترنا افتراقاً، وإذا افترقا افتراقاً.

□ والقاعدة: أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية.

- **الثالث:** (شرك في الأسماء والصفات).

○ وهو: اعتقاد أن ثمة مخلوقاً يتصف بصفات الله عزَّجَل أو بعضها، كاتصاف الله عزَّجَل بها، كمن يعتقد أن بشراً يعلم الغيب.

□ فإن: تشبيه صفات الله عزَّجَل بصفات خلقه هو أصل عبادة الأوثان عند أكثر المشركين.

كما قال الله عزَّجَل: ﴿إِذْ نُسَّوِكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٨]. أي في العبادة

لا في الذات، ولا في الأفعال.

[٣٥] قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

(٦) وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المعاني في قوله حين سئل عن

أعظم الذنب فقال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك».

○ فَ(الشُّرْكِ): أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا، سَوَاءً كَانَ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، أَوْ أُلُوهُيَّتِهِ، أَوْ
أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

○ وَ(النَّدُّ) هُوَ: النَّظِيرُ وَالْمَثِيلُ.

﴿ قَالَ بَعْضُهُمْ: نَحْنُ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ وَهُوَ يَدْعُو الْقَبْرَ، فَهَذَا هُوَ الشُّرْكَ، هُوَ
يَظُنُّ أَنَّ الشُّرْكَ أَنْ يَذْهَبَ وَيَسْجُدَ لِصَنَمٍ!!
لَا! دُعَاءُ الْقَبْرِ شِرْكَ، وَالْخَوْفُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ خَوْفُ السِّرِّ شِرْكَ،
وَإِلْسِغَانُهُ بِالْمَقْبُورِينَ شِرْكَ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْمَقْبُورِينَ وَنَحْوِهِمْ شِرْكَ،
وَهَكَذَا دَوَالِيكَ.﴾



فصل:

تَفَاصِيلُ أَعْمَالِ الْمُشْرِكِينَ

وَمِنْ أَمِّ الْمَسَائِلِ مَعْرِفَةُ تَفَاصِيلِ الشُّرْكِ وَأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ بِالْقَوْلِ، أَوْ الْفِعْلِ،
أَوْ الْأَعْتِقَادِ، أَوْ بِهَا جَمِيعًا.

وَقَدْ تَنَوَّعَتْ طُرُقُ الشُّرْكِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْكُفْرِ وَالْكَافِرِينَ.

فَمِنْهَا: مَا يَكُونُ بِالْقَوْلِ:

- كَالدُّعَاءِ لِغَيْرِ اللَّهِ.

- وَالِاسْتِعَانَةَ.

- وَالِاسْتِعَاثَةَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ.

- وَالْحَلْفَ بِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَمِنْهَا: مَا يَكُونُ بِالْفِعْلِ:

- كَالذَّبْحِ.

- وَالنَّذْرَ لِغَيْرِ اللَّهِ.

- وَالطَّوْفَ بِالْقُبُورِ.

- وَتَعْلِيقَ الْحَلْقِ وَالْخَيْطِ.

وَمَا فِي حُكْمِهَا لِجَلْبِ نَفْعٍ، أَوْ دَفْعِ ضَرَرٍ.

وَمِنْهَا: مَا يَكُونُ بِالْإِعْتِقَادِ، وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ جِدًّا:

- كَالْتَوَكُّلِ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.

- وَالْخَوْفَ مِنْ غَيْرِهِ خَوْفَ السَّرِّ.

- وَالْمَحَبَّةَ لِغَيْرِ اللَّهِ كَحُبِّ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ.

وغير ذلك مما يأتي بيانه بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

■ إذ أن طريق الدعوة أمرًا، أو نهيًا، ترغيبًا، أو ترهيبًا، يكون بالإجمال

والتفصيل، والله الهادي إلى سواء السبيل.

📌 وَقَبْلَ ذَلِكَ فَإِنَّ الشُّرْكَ شُرْكَانِ:

- **الأول:** شُرْكَ أَكْبَرُ، مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، مُوجِبٌ لِلنَّارِ لِمَنْ مَاتَ عَلَيْهِ.

- **الثاني:** شُرْكَ أَصْغَرُ، غَيْرُ مُخْرِجٍ مِنَ الْمِلَّةِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَيْهِ يُعَذَّبُ بِقَدْرِهِ،

ثُمَّ يَكُونُ إِلَى الْجَنَّةِ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.



الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ

■ هذه عِبَادَةٌ اتَّفَقَ عَلَيْهَا الْمُتَعَبِّدُونَ.

فَأَهْلُ الْإِسْلَامِ يَذْبَحُونَ لِلْمَلِكِ الْعَلَامِ.

وَأَهْلُ الْكُفْرَانِ يَذْبَحُونَ لِأَصْنَامِهِمْ وَأَوْثَانِهِمْ وَمَعْبُودَاتِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

عَزَّوَجَلَّ، وَكَانُوا يَنْصُبُونَ (الْأَنْصَابَ) لِذَلِكَ.

■ وَلِهَذَا حَرَّمَ اللَّهُ مَا أَهْلٌ لِغَيْرِهِ، وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ.

[٣٦] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِزْيِرِ وَمَا أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ

بِهِ، وَالْمُنْخِنِقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ

وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ وَأَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ فَنُفِئَ ﴿[المائدة: ٣].

(٧) وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ».

■ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الذَّبْحَ لِغَيْرِ اللَّهِ مِنَ الْكِبَائِرِ الشَّرِكِيَّةِ.

[٣٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيِرِ وَمَا

أَهْلًا بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴿[البقرة: ١٧٣].

📖 وَهَذِهِ الْعَظِيمَةُ - الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللَّهِ - مُنْتَشِرَةٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ؛ لَسِيَّمَا

عِنْدَ عِبَادِ الْقُبُورِ، فَإِنَّهُمْ يَذْبَحُونَ الذَّبَائِحَ إِمَّا:

- عَلَى اسْمِ مَقْبُورٍ، وَهَذَا شَرِكٌ ظَاهِرٌ.

- أَوْ يَذَّبُحُونَهَا عَلَى اسْمِ اللَّهِ؛ لَكِنَّ مَعَ نِيَّةِ التَّقَرُّبِ لِلْمَقْبُورِ، وَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرٌ.

- أَوْ يَذَّبُحُ فِي أَمَاكِنَ ذَبْحِ الْمُشْرِكِينَ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ، فَهَذِهِ مُحَرَّمَةٌ، لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا ذَبَحَ عَلَى التُّصَبِّ﴾ [المائدة: ٣].

(٨) وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَذَّبِحَ إِبِلًا بِبُؤَانَةَ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: «هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟»
قَالُوا: لَا.

قَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ يُعْبَدُ؟».

قَالُوا: لَا.

قَالَ: «أَوْفٍ بِنَدْرِكَ». أخرجه أبو داود (٣٣١٣).

(٩) وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي ذُبَابٍ.

قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟

قَالَ: مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنْمٌ، لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرَّبَ لَهُ شَيْئًا. فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ.

قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أَقْرَبُ.

قَالُوا: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ.

وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ.

قَالَ: مَا كُنْتُ لِأَقْرَبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللَّهِ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ.

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الزُّهْدِ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي رَفْعِهِ وَوَقْفِهِ، وَالرَّاجِحُ وَفْقُهُ.

• وَالْمَعْنَى ثَابِتٌ: أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الشُّرْكِ الْأَكْبَرِ خُلِدَ فِي النَّارِ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

﴿ وَقَدْ انْتَشَرَ فِي الْبِلَادِ الْيَمِينِيَّةِ دَبْحُ (الْهَجْرِ)، وَهُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَصَاحِبُهُ دَائِرٌ بَيْنَ الشُّرْكِ الْأَكْبَرِ، أَوْ الْإِحْدَاثِ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.
 ■ وَلَا يَجُوزُ الْأَكْلُ مِنْهُ بِحَالٍ، وَلَوْ سُمِّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُهُ لِغَيْرِ اللَّهِ،
 وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

■ وَبَعْضُهُمْ يُقَرِّبُ لِلْقَبْرِ أَوْ لِلصَّنَمِ وَالْوَثَنِ مَا لَا يُقَرِّبُهُ لِلَّهِ؛ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ،
 حَيْثُ حَبَّبَ الشَّيْطَانُ الشُّرْكَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ،
 ■ وَبَعْضُهُمْ لَا يَذْبَحُ أَضْحِيَّةً، وَلَكِنْ يَذْبَحُ لِلْقَبْرِ، وَلِلْوَلِيِّ، وَالسَّيِّدِ، إِلَى غَيْرِ
 ذَلِكَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ الْمُتَشَبِّهِةِ، فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فَضْلًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ.
 وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.



النَّذْرُ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ

مِنْ أَفْعَالِ الْمُشْرِكِينَ الْمُتَشَبِّهِةِ صَرْفُ النَّذْرِ لِمَعْبُودَاتِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، فَكَمَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ نَذَرُهُمْ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ، صَارَتْ نَذُورُهُمْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُنْدَدِينَ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.

[٣٨] ■ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ حَالِ أَسْلَافِهِمْ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: ١٣٦].

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: " (يُسْمُونَ لِلَّهِ) يَعْنِي: جُزْءًا مِنَ الْحَرْثِ، وَلِشُرَكَائِهِمْ وَلَاؤُثَانِهِمْ جُزْءًا - فَمَا ذَهَبَتْ بِهِ الرِّيحُ مِمَّا سَمَّوْا لِلَّهِ إِلَى جُزْءِ أَوْثَانِهِمْ تَرَكَوهُ، وَقَالُوا: اللَّهُ عَنْ هَذَا غَنِيِّ، وَمَا ذَهَبَتْ بِهِ الرِّيحُ مِنْ جُزْءِ أَوْثَانِهِمْ إِلَى جُزْءِ اللَّهِ أَخَذُوهُ". اهـ تفسيره (٤/١٣٩٢).

وَقَدْ سَلَكَ عُبَادُ الْقُبُورِ هَذَا الْمَسْلَكَ، يَجْعَلُونَ جُزْءًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ بِالنَّذْرِ لِلْأَمْوَاتِ وَالطَّوَاغِيتِ.

■ وَقَدْ نَصَّ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ: النَّذْرَ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ شِرْكٌ. بَلْ ذَكَرَ الشُّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَنَّهُ بَلَغَ بِأَحَدِهِمْ أَنَّ نَذَرَ بِنِصْفِ ابْنَتِهِ لِلْقَبْرِ، فَلَمَّا زَوَّجَهَا جَاءَ بِنِصْفِ مَهْرِهَا". اهـ

وَالْمَتَأَمَّلِ لِلْبُلْدَانِ الَّتِي تَنْسِرُ فِيهَا الْفِرْقَ الْقُبُورِيَّةَ يَجِدُ الْعَجَبَ الْعُجَابَ
مِمَّا تَشِيبُ لَهُ رُؤُوسُ أُولِي الْأَلْبَابِ، فَالْأَرْضُ الطَّيِّبَةُ (لِلْهَادِي)، وَالشَّجَرَةُ
الْمُثْمِرَةُ (لِخَضِيرٍ)، وَهَذَا يُنْذِرُ (لِابْنِ عَلْوَانَ)، وَآخِرُ (لِابْنِ الْعَجِيلِ)، وَثَالِثُ
(لِلْعَيْدَرُوسِ)، وَهَكَذَا دَوَائِكَ (لِلدَّسُوقِيِّ)، وَ(الْحِيْلَانِيِّ)، وَ(الْبَدَوِيِّ)،
وَقُبُورِ آلِ النَّبِيِّ، وَمَا يُسَمُّونَهُمْ بِالْأَوْلِيَاءِ.

فَصَارَتِ الْأَوْقَافُ الَّتِي تُجْرَى وَيَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى هَؤُلَاءِ الْمَقْبُورِينَ فِي بَعْضِ
الْبُلْدَانِ، أَكْثَرَ مِنَ الْأَوْقَافِ وَالنُّذُورِ الَّتِي تَكُونُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَمَدِينَةُ صَعْدَةَ أَعْلَبُ
شَارِعَ صَنْعَاءَ مَنْذُورٌ (لِلْهَادِي).

وَهَكَذَا عِنْدَنَا فِي الْبِلَادِ الْعُلْيَا، يُقَالُ: هَذَا (لِلْقَبَّةِ)، وَهَذَا (لِخَضِيرٍ)، وَهَذَا
(لِأَبِي طَيْرٍ)، وَهَذَا (لِلْعَيَّانِيِّ)، وَهَذَا (لِلْمُؤَيَّدِ). نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.
فَأَيْنَمَا وُجِدَ الرَّافِضَةُ، وَوُجِدَ الصُّوفِيَّةُ، سَتَجِدُ عِبَادَةَ الْقُبُورِ، وَسَتَجِدُ الشُّرْكَ
وَالزُّورَ، وَسَتَجِدُ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى بَالِكَ مِنْ أَفْعَالِ أَبِي جَهْلٍ وَأَبِي لَهَبٍ؛ بَلْ
سَتَجِدُ أَنَّ أَبَا لَهَبٍ، وَأَبَا جَهْلٍ عَلِمُوا مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَاسْتَكْبَرُوا عَنْ
قَوْلِهَا، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَيُنَاقِضُونَهَا: أَقْوَالُهُمْ تُنَاقِضُهَا،
وَأَفْعَالُهُمْ تُنَاقِضُهَا، وَمُعْتَقَدَاتُهُمْ تُنَاقِضُهَا.

أَيُّ إِسْلَامٍ هَذَا؟! أَنْ يَكُونَ الْخَوْفُ مِنَ الْقَبْرِ، وَالنَّذْرُ لِلْقَبْرِ، وَالذَّبْحُ لِلْقَبْرِ،
وَالطَّوَافُ بِالْقَبْرِ، وَالِدُّعَاءُ لِلْقَبْرِ.

نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.



الشُّرْكُ وَفِتْنَةُ الْقُبُورِ

وَمِنْ أَشَدِّ الْفِتَنِ الَّتِي ابْتُلِيَتْ بِهَا الْبِلَادُ لَهَا: فِتْنَةُ الْقُبُورِ، تَشَبَّهُ فِيهَا عِبَادُ الْقُبُورِ بِمَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

[٣٩] ■ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَزَيْنَاهُمْ أَعْلَمَ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

📖 قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ (١٤٧/٥):

"حكى ابن جرير في القائلين في ذلك قولين:

- أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ.

- وَالثَّانِي: أَهْلُ الشُّرْكِ مِنْهُمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ قَالَ: "وَالظَّاهِرُ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ هُمْ أَصْحَابُ الْكَلِمَةِ وَالنُّفُوزِ؛ وَلَكِنْ هَلْ هُمْ مَحْمُودُونَ أَمْ لَا، فِيهِ نَظْرٌ".

(١٠) لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ

أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ يُحَدِّثُونَ مَا فَعَلُوا» أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٢٩). اهـ

فَصَارَ عِبَادُ الْقُبُورِ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُتَأَسِّبًا بِشِرَارِ الْخَلْقِ الَّذِينَ.

(١١) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ

السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدًا». أخرجه أحمد (٣٨٤٤) عن عبد الله بن

وَالْمَعْلُومُ: أَنَّ مَنْ تَدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ، وَهُمْ أَحْيَاءُ هُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ وَالصَّلَاةِ.

(١٢) فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ

السَّاعَةُ وَعَلَى الْأَرْضِ مَنْ يَقُولُ: اللَّهُ، اللَّهُ». أخرجه مسلم (١٤٨).

• قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَعْنَى الْحَدِيثِ: إِنَّمَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى شِرَارِ

الْخَلْقِ كَمَا جَاءَ فِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى". اهـ.

(١٣) فِي الصَّحِيحَيْنِ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا

لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَنِيْسَةً رَأَيْنَهَا فِي الْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوْلَيْكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ

مَسْحِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوْرَ، فَأَوْلَيْكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

أخرجه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

فَكَيْفَ إِذَا انْصَافَتْ إِلَى فِتْنَةِ التَّصْوِيرِ فِتْنَةُ صَرْفِ الْعِبَادَاتِ لَهُؤُلَاءِ

الْمَقْبُورِينَ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ!؟

وَقَدْ أَحْسَنَ الصَّنْعَانِي إِذْ يُشَبِّهُ هَذَا الْمَشْهَدَ بِقَوْلِهِ:

أَعَادُوا بِهَا مَعْنَى سِوَاعٍ وَمِثْلِهِ يَغُوثٌ وَوَدٌّ، بِئْسَ ذَاكَ مِنْ وَدٍّ

وَقَدْ هَتَفُوا عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِأَسْمِهَا كَمَا يَهْتَفُ الْمُضْطَرُّ بِالصَّمَدِ الْفَرْدِ

وَكَمْ عَقَرُوا فِي سَوْحِهَا مِنْ عَقِيرَةٍ أَهَلَّتْ لِغَيْرِ اللَّهِ جَهْرًا عَلَى عَمْدِ

وَكَمْ طَائِفٍ حَوْلَ الْقُبُورِ مُقْبَلًا وَمُسْتَلِمٌ الْأَرْكَانَ مِنْهُنَّ بِالْيَدِ

■ مَعَ أَنَّ التَّحْذِيرَ مِنْ فِتْنَةِ الْقُبُورِ كَانَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَكَرَاتِ

الْمَوْتِ دَلِيلٌ عَلَى شِدَّةِ هَذِهِ الْفِتْنَةِ، وَخَطَرِهَا وَعَظِيمِ ضَرَرِهَا.

(١٤) فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَا: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا نَزَلَ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَدِّثُ مَا صَنَعُوا. أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٢٩).

(١٥) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». أخرجه البخاري (٤٣٧)، ومسلم (٥٣٠).

• وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ فِيهَا وَإِلَيْهَا، وَالصَّلَاةُ بَاطِلَةٌ فِي هَذَا الْحَالِ.

(١٦) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْمَقْبَرَةَ وَالْحَمَامَ». أخرجه الترمذي (٣١٧).

(١٧) وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا». أخرجه البخاري (٤٣٢، ١١٨٧)، ومسلم (٧٧٧).

قَالَ الْحَافِظُ: "وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ اسْتَدَلُّوا بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْمَقْبَرَةَ لَيْسَتْ بِمَوْضِعِ الصَّلَاةِ". اهـ فتح الباري (١/٥٢٩).

❏ وَالْعَجَبُ - وَلَا تَعْجَبْ - مِنْ شِبْهِ عِبَادِ الْقُبُورِ، حَيْثُ زَعَمُوا: أَنَّ النَّهْيَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْمَقْبَرَةِ لِعَلَّةِ النَّجَاسَةِ، وَهَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ؛ فَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُتَّخَذَ قَبْرُهُ مَسْجِدًا.

• وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَأْكُلُ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ، فَالْوَاقِعُ أَنَّ النَّهْيَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْقُبُورِ أَوْ إِلَيْهَا يُسَدُّ ذَرَاعَ الشُّرْكِ، وَالْبُعْدَ عَنِ مُشَابَهَةِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنْدِدِينَ.

■ وَقَدْ ابْتَدَعُوا أَيضًا بَدْعَةً: شَدَّ الرَّحَالَ إِلَى الْقُبُورِ وَالْأَضْرِحَةِ.

(١٨) مَعَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالَ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ

مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ

(١١٨٩)، وَمُسْلِمٌ (١٣٩٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

■ وَعَلَيْهِ فَلَيْسَ فِي الشَّرِيعَةِ بَعْضُهُ تَقْصِدٌ لِلْعِبَادَةِ لِذَاتِهَا إِلَّا الْمَسَاجِدَ

وَمَشَاعِرَ الْحَجِّ.

وَمِنْ عَجِيبِ مَا وُضِعَ: حَدِيثٌ (مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي).

وَأَيْضًا: "إِذَا أَعْيَيْتُكُمْ الْأُمُورُ فَأَنْزِلُوهَا بِأَصْحَابِ الْقُبُورِ".

وَمِنْ شِعْرِهِمُ الْبَاطِلِ الدَّالُّ عَلَى تَعَمُّقِ الشُّرْكِ فِي الْقُلُوبِ:

يَاهَارِبِينَ مِنَ التَّسْرِ لُوذُوا بِقَبْرِ أَبِي عَمْرِ

وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ، وَإِنَّمَا أَشَرْنَا إِشَارَاتٍ إِلَى حُكْمِ أَفْعَالِهِمْ وَسُوءِ صَنِيعِهِمْ.

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.



لَيْسَ الْحَلَقَةُ وَالْخَيْطُ لِرَفْعِ الْبَلَاءِ وَدَفْعِهِ

هَذَا نَوْعٌ مِنَ الشُّرْكِ مُتَمَشِّئٌ فِي الْبِلَادِ بِأَسَالِيبَ، وَصُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ. إِذْ يَفْعَلُونَ مِثْلَ الْحَلَقَةِ وَالْخَيْطِ، وَرُبَّمَا اللَّوَاصِقَ وَالْكِتَابَاتِ؛ لِرَفْعِ الْبَلَاءِ، وَإِزَالَتِهِ بَعْدَ حُصُولِهِ، وَدَفْعِهِ، وَمَنْعِهِ قَبْلَ وُقُوعِهِ.

[٤٠] ■ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ

بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ [الزمر: ٣٨].

■ فَالْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ.

(١٩) وَعَنْ أَبِي بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا: «لَا يُبْقِينَ فِي رَقَبَةٍ بَعِيرٍ قِلَادَةً مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةً إِلَّا قَطَعْتُمْ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٠٠٥)، وَمُسْلِمٌ (٢١١٥).

■ وَالْآنَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بَدَلَ تَعْلِيقِ هَذِهِ الْقِلَائِدِ، وَهَذِهِ الْأَوْتَارِ يُعَلِّقُونَ كِتَابَاتٍ فِيهَا: (مَا شَاءَ اللَّهُ)، (تَبَارَكَ اللَّهُ)، (هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي)، (عَيْنُ الْحَسُودِ تُبْلَى بِالْعَمَى)، وَنَحْوُ هَذِهِ الْكِتَابَاتِ، وَسَيَأْتِي الْقَوْلُ فِيهَا وَالْحُكْمُ فِي تَعْلِيقِهَا.

• قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "تَأَوَّلَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ أَمْرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ الْقِلَائِدِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَجْلِ الْعَيْنِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَشُدُّونَ بِتِلْكَ الْأَوْتَارِ الْقِلَائِدَ وَالتَّمَائِمَ، وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا الْعُودَ، يَظُنُّونَ أَنَّهَا تَعْصِمُ مِنَ

الْأَفَاتِ، فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهَا، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهَا لَا تَرُدُّ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ شَيْئًا". اهـ شرح السنة (٢٧/١١).

• قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: كَانُوا يُقَلِّدُونَ الْإِبِلَ الْأُوتَارَ؛ لِئَلَّا تُصِيبَهَا الْعَيْنُ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِزَالَتِهَا؛ إِعْلَامًا لَهُمْ أَنَّ الْأُوتَارَ لَا تَرُدُّ شَيْئًا". اهـ شرح مسلم (٩٦/١٤).

■ وَإِذْ كَانَ الْمُتَقَدِّمُونَ يُعَلِّقُونَ عَلَى الْإِبِلِ، فَهَؤُلَاءِ يُعَلِّقُونَ عَلَى السِّيَّارَاتِ.
(٢٠) فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّقِيَّ، وَالتَّمَائِمَ، وَالتَّوَلَةَ شِرْكَ». أخرجه أحمد (٣٦١٥).

(٢١) • وَالْمُرَادُ بِ(الرَّقِي) هُنَا: مَا كَانَتْ مِنَ الشَّرْكِ، وَإِلَّا فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرَّقِيِّ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا شِرْكَ». أخرجه مسلم (٢٢٠٠) عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَهَذَا الْبَابُ: بَابُ شِرْكِ الْأَسْبَابِ الْقَوْلُ فِيهِ:

- إِنْ كَانَ يُعْتَقَدُ أَنَّ هَذَا السَّبَبَ يَنْفَعُ أَوْ يَضُرُّ مَعَ اللَّهِ، أَوْ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، فَهَذَا شِرْكَ أَكْبَرٌ - فِي الرُّبُوبِيَّةِ - مُخْرَجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.

- وَإِنْ كَانَ يُعْتَقَدُ أَنَّ النِّفْعَ وَالضَّرَّ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَإِنَّمَا هَذِهِ أَسْبَابٌ لِرَفْعِ الْبَلَاءِ وَدَفْعِهِ، فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ:

- الْأَسْبَابُ شَرْعِيَّةٌ.

• أَيُّ: حَثَّ عَلَيْهَا الشَّرْعُ.

- أَوْ قَدْرِيَّةٌ.

• أَيُّ: عَلِمَتْ بِالتَّجْرِبَةِ.

■ فَلَا حَرَجَ مِنْ اسْتِخْدَامِهَا.

فإن كانت غير ذلك، -وهذا هو الواقع في كثير من التعلقات- .

• يعني: يربط الحلقه ما لها أي أثر، لا تشد على عصب، ولا مثلاً تدخل إلى فم بحيث يعلم أنها سبب، إنما يعلقونها لا اعتقادات.

■ فإن كان كذلك، فهي: شرك أصغر، ومعلوم خطر الشرك، وأنه: لا يغفر أكبره وأصغره لمن مات عليه.

■ ومن سبب ضعف الإيمان: كثرة تعلق الناس بمثل هذه المتعلقات، من الأوتار، أو الأساور، أو الكتابات.

ومنها: كتابات على السيارات أو البيوت؛ لدفع العين، ونحو ذلك.

■ فهذه من البدع، واتخاذها سبباً وليست بسبب، من الشرك.

■ فإن كان يعتقد أنها تنفع مع الله، أو من دون الله:

فهو الشرك الأكبر.

■ وإن كان يراها أسباباً، وليست كذلك.

فهي شرك أصغر.

■ واختلف بعض أهل العلم: إذا كان المعلق من القرآن، وأحاديث رسول

الله صلى الله عليه وسلم؟

فالمنع أقرب، إذ إنه من فعل الصحابة الذين رووا الأحاديث التي فيها

النهى عن التعلقات.

قال ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٣٤٦٧): "وعن إبراهيم، قال: كانوا يكرهون

التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن" اهـ.

فَعَلَى الْمُسْلِمِينَ: أَنْ يَحْذَرُوا سَبِيلَ الشَّيْطَانِ، بِالِدَّعْوَةِ إِلَى مُخَالَفَةِ الْقُرْآنِ
وَتَوْحِيدِ الرَّحْمَنِ، لِتَرْبِيَةِ هَذِهِ الشَّرَكِيَّاتِ لَهُمْ.

[٤١] فَيَكُونُ حَالٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ: مَا قَالَهُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ

بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يُوسُف: ١٠٦].

فَيُؤْمِنُ مِنْ جِهَةٍ، وَيَقَعُ فِي الشَّرِكِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، كَمَا كَانَ صَنِيعُ كُفَّارِ
الْعَرَبِ، يُؤْمِنُونَ بِالرَّبُّوبِيَّةِ فِي الْجُمْلَةِ، وَيَكْفُرُونَ وَيُشْرِكُونَ فِي الْأَلُوْهِيَّةِ.
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.



مِنَ الشُّرْكِ: الْإِسْتِعَاثَةُ وَالِاسْتِغَاثَةُ وَالِاسْتِعَاذَةُ
وَدُعَاءُ غَيْرِ اللَّهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ

هَذِهِ عِبَادَاتٌ عَظِيمَاتٌ يَشْمَلُهَا مُسَمَّى الدُّعَاءِ:

○ الْإِسْتِعَاثَةُ: طَلَبُ الْعَوْنِ.

○ الْإِسْتِغَاثَةُ: طَلَبُ الْغَوْثِ.

○ الْإِسْتِعَاذَةُ: طَلَبُ الْعَوْذِ.

وَالدُّعَاءُ يَشْمَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ.

فَصَرَفُ نَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ
يُعْتَبَرُ مِنَ الشُّرْكِ الْأَكْبَرِ الْمُخْرِجِ مِنَ الْمِلَّةِ.

﴿ وَقَدْ حَدَّ الْعُلَمَاءُ مَا يَجُوزُ مِنْهَا، وَهِيَ الْإِسْتِعَاثَةُ، وَالِاسْتِغَاثَةُ،
وَالِاسْتِعَاذَةُ، وَدُعَاءٌ مَنْ تَوَفَّرَتْ فِيهِ هَذِهِ الشُّرُوطُ:

١- أَنْ يَكُونَ حَاضِرًا حَالَ دُعَائِهِ.

وَلَا يُسَمَّى دُعَاءً، يُسَمَّى طَلَبًا فِي هَذَا الْحَالِ، لَكِنْ هَذَا مِنَ الشُّرُوطِ.

٢- أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى النَّفْعِ وَالِدَّفْعِ.

٣- أَنْ يَكُونَ حَيًّا.

□ فَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ السُّؤَالِ، وَالطَّلَبِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ،

فَإِنَّهُ شِرْكٌ أَكْبَرٌ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.

[٤٢] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ

هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ [فصلت: ٣٦].

[٤٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ

شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ [الفلق: ١-٥].

[٤٤] قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ

النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ [الناس: ١-٤].

[٤٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ

رَهَقًا ﴿٦﴾ [الجن: ٦].

■ وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ: لَا يَجُوزُ الْإِسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا

اللهُ.

■ وَهَكَذَا الْجِنُّ لَا يَجُوزُ الْإِسْتِعَاذَةُ بِهِمْ مُطْلَقًا؛ لِأَنَّ هَذَا بَابٌ خَطِيرٌ لِلشُّرْكِ

وَالْتَّنِيدِ.

■ فَمَنْ كَانَ مُسْتَعِينًا، مُسْتَعِيثًا، دَاعِيًا، مُسْتَعِيدًا، فَلْيَكُنْ بِاللَّهِ وَإِلَى اللهِ الَّذِي

لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلَا يُكْرِئُهُ شَيْءٌ.

(٢٢) وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا

خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ». أخرجه مسلم (٢٧٠٩).

قَالَ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَيْسِيرِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ: "وَقَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْإِسْتِعَاذَةَ بِالْمَخْلُوقِ، أَيُّ: فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، لَا تَجُوزُ، وَاسْتَدَلُّوا بِحَدِيثِ خَوْلَةَ". اهـ

(٢٣) وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ وَجَدَ مَلَجًا أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ».

أخرجه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦).

[٤٦] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا

يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥].

■ فَهَذَا دَلِيلٌ صَرِيحٌ صَحِيحٌ فِي: كُفْرٍ وَضَلَالٍ مِّنْ دَعَا غَيْرِ اللَّهِ مِنْ الْمُقْبُورِينَ وَالْأَمْوَاتِ وَالْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ، عَلَى مَا يَفْعَلُهُ غَلَاةُ الشُّرْكِ وَعِبَادُ الْقُبُورِ.

[٤٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكِ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ وَحَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ

قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ: قَطَعُ جَمِيعِ الْعَلَائِقِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يُدْعَى غَيْرُ اللَّهِ.

فَلَا مُلْكٌ لِهَذِهِ الْمَعْبُودَاتِ.

وَلَا مُشَارَكَةٌ، وَلَا مَعَاوَنَةٌ، فَلِمَاذَا يَتَعَلَّقُ بِهَا إِذَا؟!!

﴿ وَقَدْ كَثُرَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الشُّرْكُ فِي هَذَا الْبَابِ، حَتَّى مِمَّنْ يَقُولُ: (لَا إِلَهَ

إِلَّا اللَّهُ)، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، كَمَا فِي قَوْلِ الْبُوصَيْرِيِّ:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مِنَ الْوُذْبِهِ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ
وَلَنْ يُضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي إِذِ الْكَرِيمِ تَجَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ
فَإِنْ لِي ذِمَّةٌ مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذَّمِّ
إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ
وَكَمْ فِي كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ مِنْ دُعَاءِ الْمُقْبُورِينَ!، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

هَاتِ لِي مِنْكَ يَا ابْنَ مُوسَى إِغَاثَةً عَاجِلًا فِي سَيْرِهَا حَثَاثَةً

﴿ وَكَدُعَاءِ الْحِيلَانِيِّ، وَابْنِ عَلْوَانَ، وَمَا يُسَمُّونَهُمْ: بِالْغَوْثِ، وَالْقُطْبِ،

وَالْوَتْدِ، وَمَا يَقَعُ مِنْ دُعَاءِ هُودٍ، وَدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَغَيْرِهِمْ، فِيهِ كُلُّ قُطْرٍ مِنَ الْمُقْبُورِينَ الْمَرْبُوبِينَ، مَنْ أَشْرَكُوا بِهِمْ وَنَدَّدُوا، وَهُوَ نَفْسُ عِبَادَةِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى.

□ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عِبَادِ الْقُبُورِ وَبَيْنَ الْمُتَقَدِّمِينَ: أَنْ كَفَّارَ قُرَيْشٍ

وَمَنْ إِلَيْهِمْ كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ فِي الشَّدَّةِ، وَهَؤُلَاءِ يَدْعُونَ الْمُقْبُورِينَ فِي الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ.

[٤٨] كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ

كُفُورٍ ﴿٣٣﴾ [لقمان: ٣٢].

[٤٩] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا

نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ [العنكبوت: ٦٥].

﴿ وَمِنَ ذَلِكَ دُعَاءُ الْخَمْسَةِ، وَهُمْ مُحَمَّدٌ، وَعَلِيٌّ، وَالْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ، وَفَاطِمَةُ حَتَّىٰ قَالَ بَعْضُهُمْ:

لِي خَمْسَةٌ هُمُ الْحَجَابُ
الْمُصْطَفَىٰ وَالْمُرْتَضَىٰ
مِنْ نَارِ لُظَىٰ وَالْحَاطِمَةَ
وَأَبْنَاهُمَا وَالْفَاطِمَةَ

وَمَنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ، فَلْيَتَأَمَّلْ شِعْرَ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْبُرْعِيِّ وَتَوَسَّلْهُ؛ بَلْ
وَدُعَاءَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا لَا يَجُوزُ إِلَّا لِلَّهِ، حَيْثُ يَقُولُ:

وَحُلُّ عُقْدَةِ كَرْبِي يَا مُحَمَّدُ مَنْ
أَرْجُوكَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ تُشْهِدُنِي
وَإِنْ نَزَلْتُ ضَرْبِحًا لَا أَنْيَسَ بِهِ
وَأَرْحَمَ مُؤَلَّفَهَا عَبْدَ الرَّحِيمِ وَمَنْ
وَإِنْ دَعَا فَأَجِبْهُ وَاحْمِ جَانِبَهُ
هَمٌّ عَلَىٰ خَطَرَاتِ الْقَلْبِ مُطْرِدٍ
كَيْمًا يَهُونُ إِذِ الْأَنْفَاسُ فِي صَعْدِ
فَكُنْ أَنْيَسَ وَحِيدٍ فِيهِ مُنْفَرِدٍ
يَلِيهِ مِنْ أَهْلِهِ وَأَنْعَشُهُ وَافْتَقِدِ
مَنْ حَاسِدٍ شَامِتٍ أَوْ ظَالِمٍ نَكِيدِ
فَمَاذَا بَعْدَ هَذَا الشُّرْكِ الظَّاهِرِ وَالزُّورِ الشَّاهِرِ!؟

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ "مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ،
يَدْعُوهُمْ، وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ؛ كَفَرَ إِجْمَاعًا". اهـ
وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَمِنْ أَنْوَاعِ الشُّرْكِ طَلْبُ الْحَوَائِجِ مِنَ الْمَوْتَى،
وَالِاسْتِغَاثَةُ بِهِمْ، وَالتَّوَجُّهُ إِلَيْهِمْ، وَهَذَا أَصْلُ شُرْكِ الْعَالَمِ". اهـ مدارج السالكين
(١/ ٣٥٣).

[٥٠] وقد قَالَ اللهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

■ وَكَمَا لَا يَجُوزُ دُعَاءُ الْأَمْوَاتِ وَالِاسْتِغَاثَةُ وَالِاسْتِغَاثَةُ بِهِمْ، كَذَلِكَ لَا
يَجُوزُ التَّوَسُّلُ بِذَوَاتِهِمْ.

كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ:

يَا رَبِّ بِهِمْ وَبِأَلِهِمْ عَجَّلْ بِالْغَيْثِ وَبِالْفَرَجِ

[٥١] فَقَدْ قَالَ رَبُّنَا عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ

فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ [يونس: ١٠٦].

• أَيُّ: الكَافِرِينَ.

[٥٢] وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

□ وَمَا جَاءَ مِنَ الأحَادِيثِ فِي جَوَازِ دُعَاءِ غَيْرِ اللَّهِ فَهِيَ: **ضَعِيفَةٌ**، بَلْ

مَوْضُوعَةٌ؛ لِأَنَّهَا مُخَالَفَةٌ لِلْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ، وَالثَّوَابِتِ وَالْأَصُولِ.

(٢٤) وَمِنْهَا حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا انْفَلَتَ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَلْيُنَادِ: يَا عِبَادَ اللَّهِ احْسِبُوا».

أَخْرَجَهُ ابْنُ السُّنِّيِّ (٥٠٨)، وَفِي سَنَدِهِ مَعْرُوفُ بْنُ حَسَّانٍ أَبُو مُعَاذٍ

السُّورَقُنْدِيُّ، مُنْكَرُ الْحَدِيثِ، وَمِثْلُ حَدِيثِهِ لَا تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ.

وَاللَّهُ الْمُؤَقِّتُ.



الطَّيْرَةُ

○ (الطَّيْرَةُ) هِيَ: التَّشَاوُؤُْمُ بِمَرْتَبِيٍّ، أَوْ مَسْمُوعٌ، وَنَحْوِهِمَا.

سُمِّيَتِ الطَّيْرَةُ بِهَذَا الإِسْمِ؛ لِأَنَّ العَرَبَ كَانُوا يَتَشَاءُؤُونَ بِالطَّيْرِ، بِالسَّوَانِحِ

وَالْبَوَارِحِ:

• فَ(السَّانِحُ): مَا مَضَى لِيَمِينِهِ.

• وَ(الْبَارِحُ): مَا مَضَى لِسَارِهِ.

■ وَرَبَّمَا أَضَافُوا غَيْرَهُ إِلَيْهِ، كَالتَّشَاوُؤُْمِ بِالْحِمَارِ أَوْ العُرَابِ، وَرَبَّمَا تَشَاءُؤُوا

فِي المَعْنَوِيَّاتِ وَالحِسِّيَّاتِ، كَمَسْمُوعٍ أَوْ مَرْتَبِيٍّ، عَلَيَّ مَا تَقَدَّمَ.

وَلَوْ تَأَمَّلْنَا سَبَبَهَا لَوَجَدْنَاهُ مِنْ تَخْوِيفِ الشَّيْطَانِ لِمَنْ يَقَعُ فِي حِبَالِهِ، وَإِلَّا

فَإِنَّ الطَّيْرَ فِي حَالِ ذَهَابِهَا وَرُجُوعِهَا لَا تَعْلَمُ شَيْئًا مِنَ الخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ، وَلَا

تَتَوَجَّهُ لِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَإِنَّمَا تَبْحَثُ عَن قُوَّتِهَا وَغَدَائِهَا حَيْثُ وَجَّهَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

■ وَالوَاجِبُ عَلَيَّ المُسْلِمِ حُسْنَ التَّوَكُّلِ، وَالإِعْتِمَادِ عَلَيَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَعَدَمُ

النَّظَرِ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الوَسَاوِسِ، وَمَا يُلْقِيهِ الشَّيْطَانُ.

[٥٣] قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٧٥].

■ وَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ رَادًّا عَلَيَّ مَنْ تَشَاءَمَ بِالصَّالِحِينَ:

[٥٤] ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا

بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ [الأعراف: ١٣١].

• أَيُّ: مَا قَدَّرَ وَقَضَى عَلَيْهِمْ، فَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَالْخَيْرُ قَدَرَهُ اللَّهُ، وَالشَّرُّ قَضَاهُ اللَّهُ.

[٥٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾ ١٨ قَالُوا طَيَّرِكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ [يس: ١٨ - ١٩].

• أَيُّ: حَظُّكُمْ، وَمَا نَالَكُمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ بِسَبَبِ أفعالِكُمْ، وَكُفْرِكُمْ وَمُخَالَفَتِكُمُ النَّاصِحِينَ.

[٥٦] كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشُّورَى: ٣٠].

■ وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ الطَّيْرَةَ فِي الْقُرْآنِ عَنِ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ، إِذْ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤَحِّدِينَ، بَلْ لَوْ وُجِدَ صُرْفَ مُبَاشَرَةً.

(٢٥) فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطَّيْرَةُ شُرْكَ، الطَّيْرَةُ شُرْكَ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤١٥٤)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٩١٥).

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَمَا مِنَّا إِلَّا وَيُذْهِبُهُ اللَّهُ بِالتَّوَكُّلِ".

• فَذَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى: أَنَّ الطَّيْرَةَ قَدْ تَطَرَّأ، لَكِنَّهَا فِي الْمُؤْمِنِ غَيْرُ مُسْتَقَرَّةٍ، وَيَطْرُدُهَا بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ، وَالإِعْتِمَادِ عَلَيْهِ.

(٢٦) وَقَدْ نَفَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّيْرَةَ، فَقَالَ: «لَا عَدُوِّي وَلَا طَيْرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفْرًا». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٧٥٧)، مُسْلِمٌ (٢٢٢٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢٧) • وَالْمَعْنَى: لَا عَدْوَى بِنَفْسِهَا، وَعَلَى الْوَجْهِ الَّذِي كَانُوا يَعْتَقِدُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ إِضَافَةِ الْفِعْلِ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَإِلَّا فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُورِدُ مُمْرَضٌ عَلَيَّ مُصِحًّا». أخرجه البخاري (٥٧٧٤، ٥٧٧٣)، ومسلم (٢٢٢١) عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢٨) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فِرٌّ مِنَ الْمَجْدُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ». أخرجه أحمد (٩٧٢٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

■ وَهَكَذَا فِي قَوْلِهِ: «وَلَا طِيرَةَ». أخرجه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَهْيِي، وَنَهْيِي؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا: هَلْ هُوَ لِلنَّهْيِ أَمْ لِلنَّهْيِ؟
- فَلَوْ قُلْنَا بِأَنَّهَا: نَهْيٌ مُطْلَقًا، قَدْ تَكُونُ مَوْجُودَةً، وَإِنَّمَا النَّهْيُ عَنْ تَعَاطِيهَا.
- وَلَكِنَّ النَّهْيَ عَلَيَّ أَنَّهَا غَيْرُ مَوْجُودَةٍ، وَلَا أَسَاسَ لَهَا أَصْلًا.
وَرَجَّحَ ابْنُ الْقَيِّمِ النَّهْيَ؛ لِأَنَّهُ أَبْلَغُ فِي رَدِّ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ.

(٢٩) فِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ قَالَ: «فَإِنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدَّنْكُمْ». أخرجه أحمد (٢٣٧٦٧)، وأصله في مسلم (٥٣٧).

• قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَعْنَاهَا: قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهَا أَنَّ (الطَّيْرَةَ) شَيْءٌ تَجِدُونَهُ فِي نَفُوسِكُمْ ضَرُورَةً، وَلَا عَتَبَ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ غَيْرُ مُكْتَسَبٍ لَكُمْ، فَلَا تَكْلِيفَ بِهِ، وَلَكِنْ لَا تَمْنَعُوا بِسَبَبِهِ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ فِي أُمُورِكُمْ. فَهَنَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْعَمَلِ بِالطَّيْرَةِ، وَالِإِمْتِنَاعِ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِمْ بِسَبَبِهَا. اهـ شرحه على مسلم (٥/ ٢٣).

❖ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ حِينَ يَتَطَيَّرُونَ قَدْ يَقَعُ بِهِمْ مَا تَخَوَّفُوهُ، وَيَكُونُ ذَلِكَ عُقُوبَةً لَهُمْ، بِخِلَافِ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَرَجَّاهُ.

(٣٠) وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي الْفَرَسِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالِدَّارِ»، وَفِي لَفْظٍ: «إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَنِي الدَّارِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالْفَرَسِ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٨٥٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٢٥).

- إِنَّمَا الْمُرَادُ مَا فِيهَا مِنْ سُوءِ الْحَالِ:
- فَشُّؤْمُ الْبَيْتِ فِي ضَيْقِهِ وَجِرَانِهِ وَمَكَانِهِ.
- وَشُّؤْمُ الْمَرْأَةِ فِي أَخْلَاقِهَا وَأَفْعَالِهَا.
- وَشُّؤْمُ الْفَرَسِ فِي جُنُوحِهِ وَعَدَمِ سَكِينَتِهِ.
- وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّ التَّشَاؤُمَ يَكُونُ مِنْ ذَوَاتِهَا.
- قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِخْبَارُهُ بِالشُّؤْمِ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ لَيْسَ فِيهِ إِثْبَاتُ الطَّيْرَةِ الَّتِي نَفَاها اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وَإِنَّمَا غَايَتُهُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ يَخْلُقُ أَعْيَانًا مِنْهَا مَشْؤُومَةً عَلَى مَنْ قَارَبَهَا وَسَكَنَهَا، وَأَعْيَانًا مُبَارَكَةً لَا يَلْحَقُ مَنْ قَارَبَهَا مِنْهَا شُّؤْمٌ وَلَا شَرٌّ". اهـ في مفتاح دار السعادة (٢٥٧/٢)

■ فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْتَاطَ لِدِينِهِ وَتَوْحِيدِهِ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ، فَإِنْ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ تَطِيرٌ، أَوْ تَشَاؤُمٌ فَلْيَمْضِ فِي أَمْرِهِ وَلَا يَضُرَّهُ ذَلِكَ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَقَدْ حَقَّقَ الطَّيْرَةَ.

○ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ. «إِنَّمَا الطَّيْرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ؛ لَكِنْ هَذَا هُوَ حَدُّ الطَّيْرَةِ الْمَنْهِيَّ عَنْهَا، فَيَكُونُ فِعْلُهُ، وَتَرْكُهُ عَلَى مُقْتَضَى مَا تَطِيرَ بِهِ.

■ وَكَيَسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ الْقَائِلُ، فَإِنَّهُ قَائِمٌ عَلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَالرَّجَاءِ فِيمَا عِنْدَهُ، وَالطَّيْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى سُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ.

(٣١) وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأَلُ»، قَالُوا: وَمَا الْفَأَلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ». أخرجه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَلَيْسَ فِي الْأَعْجَابِ بِالْفَأَلِ وَمَحَبَّتِهِ شَيْءٌ مِنَ الشَّرْكِ، بَلْ ذَلِكَ إِبَانَةٌ عَنْ مُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ، وَمَوْجِبِ الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَةِ الَّتِي تَمِيلُ إِلَى مَا يُلَائِمُهَا وَيُؤَافِقُهَا". اهـ مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٤).

■ ثُمَّ إِنَّ الْفَأَلَ الْحَسَنَ حُسْنُ ظَنِّ بِاللَّهِ، وَالرَّجَاءُ فِيمَا عِنْدَهُ، وَكُلُّ هَذِهِ عِبَادَاتٌ قَلْبِيَّاتٌ عَظِيمَاتٌ.

(٣٢) فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَنْ رَبِّهِ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ». أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

المُهْمُ: أَنَّ مَا كَانَ يَعُودُ عَلَى التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ مِنْ أَقْوَالٍ، أَوْ أَفْعَالٍ، أَوْ مَرْئِيٍّ، أَوْ مَسْمُوعٍ، فَهُوَ مِنَ الْفَأَلِ وَلَيْسَ مِنَ الطَّيْرِ، فِي سَرْدٍ وَلَا وُرُودٍ.

وَالْعَكْسُ: مَا كَانَ يَقُومُ عَلَى ضَعْفِ التَّوَكُّلِ وَسُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَالتَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي جَلْبِ نَفْعٍ وَدَفْعِ ضَرٍّ، فَهُوَ الطَّيْرَةُ الْمُحَرَّمَةُ الْمَمْنُوعَةُ.

■ ثُمَّ إِنَّ مُتَعَاطِي الطَّيْرِ بَيْنَ شَرَكَيْنِ:

- إِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَا تَطِيرَ بِهِ هُوَ جَالِبٌ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ، الْمُتَصَرِّفُ بِهِمَا، فَهُوَ الشَّرْكَ الْأَكْبَرُ الْمُخْرَجُ مِنَ الْمِلَّةِ.

- وَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا أَسْبَابٌ لِمَا أَمَّلَهُ، أَوْ تَخَوَّفَهُ مَعَ أَنَّ الْأَمْرَ عَائِدٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَهُوَ الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ.

وَالْفَرْقُ وَاضِحٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

■ فَالشُّرْكُ الأَصْغَرُ هُوَ كُلُّ وَسِيلَةٍ وَذَرِيعَةٍ يُتَطَرَّقُ مِنْهَا إِلَى الشُّرْكِ الأَكْبَرِ،

مِنَ الإرَادَاتِ وَالأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ.

■ وَيُعْتَبَرُ هَذَا مِنَ الأَمْرَاضِ المُتَشَبِّهَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ البِلَادِ.

- فَبَعْضُهُمْ يَتَطَيَّرُ بِ(البُومَةِ).

- وَبَعْضُهُمْ يَتَطَيَّرُ: بِ(الأَسْمَاءِ).

- وَبَعْضُهُمْ يَتَطَيَّرُ بِ(الأَشْخَاصِ).

- وَبَعْضُهُمْ يَتَطَيَّرُ بِحَرَكَاتٍ فِي الجِسْمِ كَ(رَفَّةِ العَيْنِ).

- وَرُبَّمَا (بَصْرِيرِ الأُذُنِ).

- وَ(بِحِكَّةِ الرَّجْلِ)، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

■ وَالشَّيْطَانُ حَرِيصٌ عَلَى إِضْعَافِ النَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ.

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالعَافِيَةَ.



مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ

(٣٣) فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ». أخرجه الترمذي (١٥٣٥)، وفي سنده انقطاع بين سعيد بن عبيدة وابن عمر؛ ولكنه في الباب وله شواهد كثيرة تدل عليه.

(٣٤) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: كنت في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحلقت بأبي، فقال: «لا تحلفوا بأبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت». أخرجه البخاري (٦٦٤٧)، ومسلم بنحوه (١٦٤٦).

(٣٥) وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تحلفوا بالطواغي ولا بأبائكم». أخرجه مسلم (١٦٤٨).

○ و(الطواغي): جمع طاغية، وهو ما كان يعبد من الأصنام.

(٣٦) وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إلا من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله»، فكانت فريش تحلف بأبائها فقال: «لا تحلفوا بأبائكم». أخرجه البخاري (٣٨٣٦)، ومسلم (١٦٤٦).

(٣٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». أخرجه البخاري (٤٨٦٠)، ومسلم (١٦٤٧).

• قال ابن حجر رحمه الله: "قال الخطابي رحمه الله: اليمين إنما تكون بالمعبود المعظم، فإذا حلف باللات ونحوها فقد ضاهى الكفار، فأمر أن يتدارك بكلمة التوحيد.

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: مَنْ حَلَفَ بِهَا جَادًّا فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ قَالَهَا جَاهِلًا أَوْ ذَاهِلًا، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُكْفِرُ اللَّهُ عَنْهُ، وَيَرُدُّ قَلْبَهُ عَنِ السَّهْوِ إِلَى الذِّكْرِ، وَلِسَانَهُ إِلَى الْحَقِّ، وَيَنْفِي عَنْهُ مَا جَرَى بِهِ مِنَ اللَّغْوِ". اهـ فتح الباري (٦١٣/٨).

(٣٨) ■ وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ

بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا». أخرجه أبو داود (٣٢٥٣).

وَيُرْوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَأَنَّ أَحْلَفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ

أَحْلَفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا". أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٧٠٩٠).

• لِأَنَّ الْحَلْفَ بِاللَّهِ تَوْحِيدٌ، وَالْحَلْفَ بِغَيْرِهِ شِرْكٌ، وَإِنْ قُدِّرَ الصِّدْقُ فِي الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَحَسَنَةُ التَّوْحِيدِ أَعْظَمُ مِنْ حَسَنَةِ الصِّدْقِ، وَسَيِّئَةُ الْكُذْبِ أَهْوَنُ مِنْ سَيِّئَةِ الشُّرْكِ. أفاده الشيخ سليمان بن عبد الله في "تيسير العزيز الحميد".

■ وَالْمُتَأَمِّلُ لِحَالِ النَّاسِ الْآنَ، يَجِدُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَيْمَانِهِمْ وَحَلْفِهِمْ بِغَيْرِ اللَّهِ

عَزَّجَلَّ؛ هَذَا يَحْلِفُ بِشَرَفِهِ، وَالْآخَرُ بِالْأَمَانَةِ، وَذَلِكَ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَوَجَاهَتِهِ.

وَأَمَّا الْحَلْفُ بِالْمَقْبُورِينَ الْمَرْبُوبِينَ فَحَدِيثٌ وَلَا حَرَجَ!؛ بَلْ إِنَّ الْيَمِينَ عِنْدَهُمْ لَا تُؤَكَّدُ إِلَّا بِالْحَلْفِ بِهَذِهِ الطَّوَاغِيَتِ الَّتِي زَاخَمَتْ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوْهِيَّةِ؛ بَلْ وَفِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ!!.

📖 وَالْأَصْلُ فِي الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ أَنَّهُ شِرْكٌ أَضْعَفُ؛ لَكِنْ إِنْ صَاحَبَ

اعْتِقَادُ الْحَالِفِ:

- أَنْ مَنْ حَلَفَ بِهِ لَهُ تَصَرُّفٌ، أَوْ إِرَادَةٌ، وَمَشِيئَةٌ تَخْرُجُ عَنْ إِرَادَةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ

وَمَشِيئَتِهِ.

- أَوْ أَنَّ لَهُ قُدْرَةً يَضُرُّ وَيَنْفَعُ بِهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.

- أَوْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ يَصْلُحُ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.

- أَوْ اسْتَعَاثَ بِهِ.

فَإِنَّهُ يَكُونُ بِذَلِكَ مُشْرِكًا شَرِكًا أَكْبَرَ بِهَذَا الْإِعْتِقَادِ. قاله الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

■ وَيَتَعَيَّنُ عَلَى مَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ أَنْ يَرْضَى تَعْظِيمًا لِجَانِبِ الرَّبُوبِيَّةِ.

□ فَإِنَّ تَعْظِيمَ شَعَائِرِ اللَّهِ هُوَ تَعْظِيمٌ لِلَّهِ وَعِبَادَةٌ لَهُ، فَهُوَ تَابِعٌ لِتَعْظِيمِ اللَّهِ

وَإِجْلَالِهِ.

(٣٩) فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَى عَيْسَى ابْنُ

مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسْرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ،

فَقَالَ عَيْسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَذَّبْتُ عَيْنِي». أخرجه البخاري (٣٤٤٤)، ومسلم (٢٣٦٨).

(٤٠) وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَحْلِفُوا

بِأَبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيُصَدِّقْ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ

فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ». أخرجه ابن ماجه (٢١٠١) وسنده حسن.

■ وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْ إِقْسَامِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، فَهُوَ الْفَعَالُ لِمَا

يُرِيدُ، وَلَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَحْلِفَ، أَوْ نُقْسِمَ بِغَيْرِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا.

■ وَمَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَكَفَّارَتُهُ التَّوْبَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ.

📖 وَبِالنِّسْبَةِ لِمَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ:

[٥٧] ﴿وَالشَّمْسِ﴾ [الشَّمْسِ: ١].

[٥٨] ﴿وَاللَّيْلِ﴾ [اللَّيْلِ: ١].

[٥٩] ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العَصْرِ: ١].

- قَالُوا: لِلَّهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ.
- وَقَالُوا: هُنَاكَ تَقْدِيرٌ مَحْذُوفٌ: وَرَبُّ الْعَصْرِ، وَرَبُّ اللَّيْلِ، وَهَكَذَا.
- وَالأَوَّلُ أَوْلَى.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



الشَّفَاعَةُ الْمَمْنُوعَةُ

وَذِكْرَتِ الشَّفَاعَةِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ عَلَى حَالَيْنِ:

- الْأَوَّلُ: الْإِثْبَاتُ.

- وَالثَّانِي: النَّقْيُ.

- فَ(الْمُثَبَّتَةُ): مَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ فِي مُؤْمِنٍ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.
- وَ(الْمُنْقِيَةُ): مَا كَانَتْ لِكَافِرٍ، أَوْ طَلِبَتْ مِنْ صَنَمٍ، أَوْ وَثْنٍ، وَنَحْوِهِ.

[٦٠] قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿فَمَا تَفْعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ [الْمُدَّثَّرُ: ٤٨].

[٦١] وَقَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

[٦٢] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أُتِّخِذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿٨٧﴾

[مريم: ٨٧].

[٦٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ

قَوْلًا﴾ ﴿١٠٩﴾ [طه: ١٠٩].

[٦٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣].

[٦٥] وَقَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا

مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ [الزخرف: ٨٦].

• قَالَ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي تَيْسِيرِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ: "فِي هَذِهِ الْآيَاتِ

مِنَ الرَّدِّ عَلَى مَنْ عَبَدَ الْمَلَائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ لِشَفَاعَةٍ أَوْ غَيْرِهَا مَا لَا يَخْفَى،

لَا تَهُمُّ إِذَا كَانُوا لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا بِإِذْنٍ مِّنَ اللَّهِ ابْتِدَاءً، فَلِأَيِّ مَعْنَى يُدْعَوْنَ وَيُعْبَدُونَ؟

وَأَيْضًا: فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَأْذُنُ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ، وَهُوَ الْمُوَحِّدُ لَا الْمُشْرِكُ". اهـ

■ فَاَلْمُشْرِكُونَ شِرْكُهُمْ قَائِمٌ عَلَى طَلَبِ الشَّفَاعَةِ مِنَ إِلَهَتِهِمُ الْمَرْعُومَةِ.
□ فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ مَا قَصَدُوا مِنْ مَعْبُودَاتِهِمْ إِلَّا الْقُرْبَةَ وَالشَّفَاعَةَ، وَيَقُولُونَ: نُرِيدُ مِنَ اللَّهِ لَا مِنْهُمْ، لَكِنْ بِشَفَاعَتِهِمْ وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ بِهِمْ.

[٦٦] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيُعْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ

وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يُونُسُ: ١٨].

[٦٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْكَانُوا لَا

يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزُّمَرُ: ٤٣].

فَنَفَى اللَّهُ شَفَاعَتَهَا لَهُمْ، وَقَطَعَ عَلَيْهِمْ كُلَّ طَرِيقٍ فِي شِرْكِهِمْ وَبَاطِلِهِمْ.
فَيَتَعَيَّنُ عَلَى الْمُكَلَّفِ إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَتَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ إِنْ أَرَادَ السَّلَامَةَ.

■ وَالشَّفَاعَةُ تُطَلَّبُ مِنَ اللَّهِ وَبِالْوَسَائِلِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ، غَيْرَ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ،
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

﴿ وَقَدْ سَمِعْنَا مَنْ يَقُولُ: (يَا مُحَمَّدُ اشْفَعْ لِي)، (يَا أَبَا فَاطِمَةَ الرَّهْرَاءِ اشْفَعْ لِي)، وَهَكَذَا تَجِدُ كَثِيرًا يَدْعُونَ الْقُبُورَ لِطَلَبِ الشَّفَاعَةِ، فَطَلَبُ الشَّفَاعَةِ مِنْ مَيِّتِ شِرْكَ أَكْبَرُ مُخْرَجٍ مِنَ الْمِلَّةِ، حَتَّى وَلَوْ طُلِبَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ❖ وَأَمَّا يَوْمُ الْقِيَامَةِ حِينَ يَقُولُونَ: (اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ)، فَهُمْ يَسْأَلُونَ حَيًّا حَاضِرًا قَادِرًا، وَهُوَ يَقُومُ وَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ كَمَا فِي أَحَادِيثِ الشَّفَاعَةِ الْمَطْوَلَةِ: «فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدِهِ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ» حَتَّى يَقُولَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: «ارْزُقْ رَأْسَكَ، وَقُلْ: يُسْمَعُ لَكَ، وَسَلِّ نُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعُ». أخرجه مسلم (٣٢٦).
أَمَّا أَنْ تُسْأَلَ مِنْ مَقْبُورٍ، أَوْ تُسْأَلَ مِنْ صَنَمٍ وَوثنٍ، فَهَذَا هُوَ الشِّرْكَ الَّذِي رَدَّ اللَّهُ عَلَى أَصْحَابِهِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزُّمَرُ: ٣].
وَقَالُوا: إِنَّهُمْ اتَّخَذُوهُمْ شُفَعَاءَ عِنْدَ اللَّهِ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ فِي الْحَالِينِ.
فَمَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَاسِطَةً يَدْعُوهَا، وَيَرْجُوهَا، وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهَا، وَيَعْبُدُهَا وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهَا، فَهُوَ كَافِرٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، وَبِحُكْمِ الْمَلِكِ الدِّيَانِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ الَّذِي جَرَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



الْحُكْمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ كُفْرٌ

[٦٨] ■ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

[٦٩] ■ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

[٧٠] ■ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

■ فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ خَطَرُ الْحُكْمِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ، وَأَنَّ صَاحِبَهُ كَافِرٌ وَظَالِمٌ وَفَاسِقٌ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى جُرْمِ هَذِهِ الْفِعْلَةِ الَّتِي يَتَعَيَّنُ أَلَّا تَصْدَرَ مِنْ مُسْلِمٍ مُطْلَقًا.

[٧١] قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ

إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ^ط﴾ [النساء: ٦٠].

[٧٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفْحَسِبَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ^ع﴾ [المائدة: ٥٠].

• أَي: يَطْلُبُونَ، وَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ هُوَ الْحُكْمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ.

إِذْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَحَاكَمُونَ إِلَى الْكُهَّانِ وَالطَّوَاعِيتِ، فَهَاهُمْ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَنْ ذَلِكَ، وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَكُونَ تَحَاكُمُهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٤١) وَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي شَأْنِ الْمَرْأَةِ الَّتِي زَنَتْ، فَجَاءَ زَوْجُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ...» الْحَدِيثُ.

[٧٣] ■ وَإِنَّمَا الْإِعْرَاضُ عَنْ ذَلِكَ فِعْلُ الْمُنَافِقِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ ﴿٤٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٤٨-٥١].

■ فَتَأَمَّلْ مَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ وَصْفِ عَظِيمِ لِحَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، مَعَ حُكْمِ اللَّهِ الْحَكِيمِ، فَالْمُؤْمِنُ مُنْقَادٌ فِي جَمِيعِ حَالِهِ، وَالْمُنَافِقُ يَتَّبِعُ الْمَصْلَحَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

■ فَالتَّحَاكُمُ إِلَى غَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ جُرْمٌ عَظِيمٌ، وَصَفَهُ اللَّهُ بِأَنَّهُ فِعْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَوَصَفَ بِهِ خُلَصَ الْمُنَافِقِينَ، وَأَخْبَرَ كَمَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ ظُلْمٌ وَكُفْرٌ وَفِسْقٌ.

﴿فِيَا لِلَّهِ، كَمْ صَادَمَ هَذَا الْحُكْمُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ مِنْ وَحْيٍ مُّبِينٍ، الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَكَمْ تَجَدُّ مِنْ اخْتِلَافٍ فِي قَوَانِينِهِمْ وَأَحْكَامِهِمْ؛ لِأَنَّهَا غَيْرُ مَا خُوذَتْ مِنْ كِتَابِ رَبَّنَا، وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.﴾

[٧٤] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا

كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ [النساء: ٨٢].

• لِأَنَّهُمْ قَاصِرُونَ مُقَصِّرُونَ فِي مَعْرِفَةِ الْحُكْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ.

[٧٥] ■ أَمَّا حُكْمُ رَبَّنَا عَزَّجَلَّ فَهُوَ أَحْسَنُ الْحُكْمِ وَأَقْوَمُهُ، لَا خُلْفَ فِيهِ، وَلَا

تَنَاقُضَ، وَلَا تَعَارُضَ؛ لِأَنَّهُ صَادِرٌ عَنْ عَلِيمٍ خَبِيرٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ

خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك: ١٤].

﴿ وفي تفصيلِ حُكْمٍ مِنْ حَكَمٍ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ:

١- أَنْ مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَلَيَّ أَنْ حُكْمَهُ أَفْضَلُ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ،

أَوْ مَسَاوٍ لَهُ، أَوْ أَنْ حُكْمَ اللَّهِ لَا يَصْلُحُ لِهَذَا الزَّمانِ، فَهُوَ كُفْرٌ أَكْبَرٌ مُخْرِجٌ مِنَ

الْمِلَّةِ.

٢- وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَنْ شَهْوَةٍ، أَوْ هَوَى، فَهُوَ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ.

(٤٢) وقد أخرج عبد الرزاق في التفسير: عن معمر، عن ابن طاووس، عن

طاووس: سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ

اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ [المائدة: ٤٤]، قال: "هي كُفْرٌ"، وقال ابن

طاووس: "وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله".

(٤٣) وقال الثوري: عن ابن جريج، عن عطاء: أنه قال: "كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ،

وظلمٌ دُونَ ظلمٍ، وفسقٌ دُونَ فسقٍ". رواه ابن جرير.

(٤٤) وقال وكيع: عن سفيان، عن سعيد المكي، عن طاووس: قال:

"ليس بكُفْرٍ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ".

(٤٥) وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: "لَيْسَ بِالْكَفْرِ الَّذِي يَذْهَبُونَ

إِلَيْهِ".

(٤٦) قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: "مَنْ جَحَدَ

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ أَقْرَبَ بِهِ وَلَمْ يَحْكَمْ بِهِ فَهُوَ ظَالِمٌ فَاسِقٌ".

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْآيَةَ فِي شَأْنِ أَهْلِ الْكِتَابِ.

ذَكَرَ هَذِهِ الْأَثَارَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ، وَالْبَغَوِيُّ، وَزَادَا:

وَسُئِلَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى الْكِنَانِيُّ عَنْ هَذِهِ الْآيَاتِ فَقَالَ: "إِنَّمَا تَقَعُ فِي

جَمِيعِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَا عَلَى بَعْضِهِ.

□ فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِجَمِيعِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَهُوَ كَافِرٌ ظَالِمٌ فَاسِقٌ.

فَأَمَّا مَنْ حَكَمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ التَّوْحِيدِ وَتَرَكَ الشُّرْكَ ثُمَّ لَمْ يَحْكَمْ بِجَمِيعِ مَا

أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الشَّرَائِعِ لَمْ يَسْتَوْجِبْ حُكْمَ هَذِهِ الْآيَاتِ".

وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: "هَذَا إِذَا رَدَّ نَصَّ حُكْمِ اللَّهِ عَيَانًا عَمْدًا، فَأَمَّا مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ أَوْ

أَخْطَأَ فِي تَأْوِيلٍ فَلَا".

وَهَذَا التَّفْصِيلُ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ.

■ وَإِنَّمَا يَهْمُنَا فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الشُّرْكِ وَالتَّنْذِيرِ: أَنَّ الْحُكْمَ

بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ، وَإِنَّهُ كُفْرٌ كَمَا جَاءَ بِهِ النَّصُّ، لَكِنْ عَلَى

التَّفْصِيلِ الَّذِي سَبَقَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



مَنْ تَبَرَكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

وَهَذَا الَّذِي يَفْعَلُهُ مَنْ خَالَفَ الشَّرِيعَةَ، يَتَمَسَّحُونَ وَيَتَبَرَّكُونَ عَلَى غَيْرِ
الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ.

- فَرُبَّمَا شَدُّوا الرَّحَالَ إِلَى الْقُبُورِ وَصَلَّوْا بِجَانِبِهَا رَجَاءَ بَرَكَتِهَا.
- وَرُبَّمَا تَمَسَّحُوا بِالْحِجَارَةِ وَمِنْهَا حِجَارَةُ الْكَعْبَةِ، وَرُبَّمَا تَبَرَّكُوا
بِالْأَشْجَارِ.
- وَمِنْهَا بَدَعَةُ التَّبَرُّكِ بِذَوَاتِ الصَّالِحِينَ.

[٧٦] ■ وَمِنْ أَشْهَرِ مَا كَانَ يَتَبَرَّكُ بِهِ مُشْرِكُو الْعَرَبِ الْأَصْنَامُ وَالْأَوْثَانُ،
وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَا مَّا لَهُمْ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾

[النجم: ١٩-٢٠].

- وَكَانَتِ اللَّاتُ لِثَقِيفٍ.
 - وَالْعُزَّىٰ لِقُرَيْشٍ وَبَنِي كِنَانَةَ.
 - وَمَنَاةٌ لِهَذِيلٍ وَخُرَاعَةَ.
- وَعَبَّرَهَا كَثِيرٌ كَمَا ذَكَرَ الْكَلْبِيُّ فِي "كِتَابِ الْأَصْنَامِ".
وَكَمَا هُوَ حَالُ الْآنَ عُبَادِ الْقُبُورِ يَتَبَرَّكُونَ بِأَثَرِهَا الْمَوْتَى وَأَضْرَحَتِهِمْ،
وَأَمَاكِنِ شُرَكِهِمْ، بَلْ رُبَّمَا طَلَبُوا الْبَرَكَةَ مِنْهُمْ، فَيَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.
- (٤٧) فَعَنْ أَبِي وَقْدِ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا
خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا

أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبَنَّ سُنَّةً مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ الطَّرْطُوشِيُّ - مِنْ أئِمَّةِ الْمَالِكِيَّةِ -: "فَانظُرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، أَيْنَمَا وَجَدْتُمْ سِدْرَةً أَوْ شَجَرَةً يُقْصِدُهَا النَّاسُ، وَيَعْظُمُونَهَا، وَيَرْجُونَ الْبُرءَ وَالشِّفَاءَ مِنْ قِبَلِهَا، وَيَضْرِبُونَ بِهَا الْمَسَامِيرَ وَالْخِرَقَ؛ فَهِيَ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَاقْطَعُوهَا". اهـ.

وَهَذَا بَابٌ قَدْ فُتِحَ لَهُ أَهْلُ الشِّرْكِ مِصْرَاعًا وَاسِعًا، يَدْخُلُونَهُ مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ. فَطَلَبُ الْبَرَكَةِ يَكُونُ مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَهَذَا مَشْرُوعٌ، وَأَمَّا التَّمَسُّحُ وَطَلَبُ الْبَرَكَةِ مِنْ أَشْيَاءَ مُعَيَّنَةٍ عَلَى غَيْرِ الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ فَمَمْنُوعٌ.

وَأَمَّا الْحُكْمُ فِيهَا، فَصَاحِبُهَا دَائِرٌ بَيْنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ وَالْأَكْبَرِ، فَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْبَرَكَةَ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ مُسَدِّدُهَا وَمُعْطِيهَا، وَإِنَّمَا ظَنَّنَهَا فِيمَا يَتَمَسَّحُ بِهِ مِنْ رِيقِ الصَّالِحِينَ أَوْ رَشْحِهِمْ أَوْ الْكَعْبَةِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا شِرْكٌ أَصْغَرٌ، وَصَاحِبُهُ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ، فَهُوَ سَبِيلٌ إِلَى الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ.

وَأَمَّا إِنْ كَانَ يَطْلُبُ الْبَرَكَةَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، أَوْ يَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ الْمُتَبَرِّكَ بِهَا تُعْطَى الْبَرَكَةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْ مَعَ اللَّهِ، فَهُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ.

وَيَكُونُ التَّفْصِيلُ فِيهَا عَلَى مَا يُقَالُ فِي شِرْكِ الْأَسْبَابِ، فَمَنْ اتَّخَذَ سَبَبًا غَيْرَ شَرْعِيٍّ وَلَا قَدْرِيٍّ اعْتِقَادًا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ، فَهُوَ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، وَهُوَ

وَسِيْلَةٌ إِلَى الشَّرْكِ الْأَكْبَرِ، وَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ فِيهَا أَنَّهَا تَنْفَعُ مِنْ دُونَ اللَّهِ أَوْ مَعَ اللَّهِ، فَهَذَا شَرْكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، مُخْرَجٌ عَنِ الْمِلَّةِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

فَعَلَى الْمُسْلِمِينَ: أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ عَزَّجَلَّ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَأَنْ يَأْخُذُوا دِينَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ الْكِرَامِ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَتَبَرَّكُوا بِغَيْرِ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ رِيقِهِ وَعَرَقِهِ وَشَعْرِهِ وَمَا كَانَ مِنْهُ، لِثُبُوتِ الْبَرَكَةِ فِيهَا وَتَحَقُّقِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ التَّبَرُّكُ بِآثَارِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَمَنْ إِلَيْهِمْ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، مَعَ أَنَّهُمْ مُبَارَكُونَ وَمُبَشَّرُونَ بِالْجَنَّةِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

❖ تَنْبِيْهُ: حَدِيثُ أَبِي وَقَدِ الْمَذْكُورُ، اسْتَدَلَّ بِهِ جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى الْعُدْرِ بِالْجَهْلِ.

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.



بَيَانُ عَوْدَةِ الشُّرْكِ إِلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ

■ فِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(٤٨) «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى يَعْبُدُوا الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي». أخرجه الترمذي (٢٢١٩)، وجاء عند أحمد وغيره.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(٤٩) «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى». أخرجه مسلم

(٢٩٠٧).

(٥٠) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ

السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلْصَةِ». أخرجه البخاري

(٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦).

وَذُو الْخَلْصَةِ: طَاغِيَةٌ دَوْسٍ الَّذِي كَانُوا يَعْبُدُونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

❖ قَالَ الْحَافِظُ: "قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: هَذَا الْحَدِيثُ وَمَا أَشْبَهَهُ، لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ

أَنَّ الدِّينَ يَنْقَطِعُ كُلُّهُ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ، لِأَنَّهُ ثَبَتَ

أَنَّ الْإِسْلَامَ يَبْقَى إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا أَنَّهُ يَضْعُفُ، وَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ". اهـ

فتح الباري (٧٧/١٣).

هَكَذَا يَكُونُ إِلَى قُرْبِ قِيَامِ السَّاعَةِ، حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ رِيحًا، تَأْخُذُ مَنْ كَانَ فِي

قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، وَيَبْقَى فِي الْأَرْضِ مَنْ لَا يَقُولُ: اللَّهُ، اللَّهُ، عَلَيْهِمْ

تَقُومُ السَّاعَةُ.

■ وَالَّذِي يُهَمُّنَا هُنَا: إِثْبَاتُ وُجُودِ الشُّرْكِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَعَیْرِهَا مِنَ الْبُلْدَانِ.

زِدْ عَلَيَّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَدِلَّةِ مَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ قَالَ: (٥١) «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٣١٩)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٦٩) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَدَلَّ الْحَدِيثُ عَلَيَّ مُتَابَعَةَ طَوَائِفَ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

■ وَالْمُتَابَعَةُ وَاقِعَةٌ فِي الْإِعْتِقَادَاتِ، وَالْعِبَادَاتِ، وَالْمُعَامَلَاتِ، وَهَذَا أَمْرٌ غَيْرٌ مُنْكَرٍ إِلَّا مِنْ مُكَابِرٍ لِلْأَدِلَّةِ وَلِلْوَاقِعِ، وَإِلَّا فَإِنَّا نَرَى مَا يَقَعُ عِنْدَ الْأَضْرَحَةِ وَالْقُبُورِ يُضَاهِي - إِنْ لَمْ يَزِدْ - عَلَيَّ مَا كَانَتْ تَصْنَعُهُ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى حَوْلَ الْأَصْنَامِ، مِنْ دُعَاءٍ، وَنُذُورٍ، وَطَوَافٍ، وَذَبْحٍ، وَعَیْرِ ذَلِكَ.

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ غُرْبَةَ الدِّينِ، وَبُعْدَ النَّاسِ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ، إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي.

❖ وَأَمَّا حَدِيثُ: «أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيَّسَ أَنْ يُعْبَدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ

الْعَرَبِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٨١٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَهَذَا يَأْسُ الشَّيْطَانِ فِي زَمَنِ قُوَّةِ الْإِسْلَامِ، وَخَبِرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُقَدَّمُ، مَعَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ ظُهُورِ الدَّلَائِلِ الْكَثِيرَةِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

■ وَمَعَ ظُهُورِ الشُّرُكِيَّاتِ، وَالْبِدْعِ، وَالْخُرَافَاتِ، فَالْحَالُ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(٥٢) «لَنْ تَزَالَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ». أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢١) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وجاء عن معاوية رضي الله عنه، وهو في الصحيح عن ثوبان وجابر رضي الله عنهما.

[٧٧] وَهَذَا مِنْ حِفْظِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ لِدِينِهِ، وَإِعْزَازِ كَلِمَتِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وَحَفِظَ اللَّهُ الذِّكْرَ لَفْظًا وَمَعْنَى، بِوُجُودِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْعَامِلَةِ بِالتَّوْحِيدِ، الدَّاعِيَةِ إِلَيْهِ، الْمُحَدَّرَةِ مِنَ الشُّرْكِ، الْقَالِيَةِ لَهُ؛ بَلْ إِنَّهُ عِنْدَ إِطْبَاقِ الْجَهْلِ، يَبْقَى مَنْ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

(٥٣) كَمَا فِي حَدِيثِ حُدَيْفَةَ عِنْدَ ابْنِ مَاجَةَ: قَالَ صَلَةُ بْنُ زُفَرٍ: وَمَا تُعْنِي عَنْهُمْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؟ قَالَ حُدَيْفَةُ رضي الله عنه: «تُنَجِّيهِمْ مِنَ النَّارِ». أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩).

[٧٨] فَلَا يَضُرُّ الْمُشْرِكَ الْمُنَدِّدُ إِلَّا نَفْسَهُ، وَإِلَّا فَدِينُ اللَّهِ مَنْصُورٌ قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



سَدُّ ذَرَائِعِ الشُّرْكِ

□ مِنَ الْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ سَدُّ الذَّرَائِعِ الْمُنْفِصِيَّةِ إِلَى الشُّرْكِ وَالْبِدْعِ وَالْمَعَاصِي، وَقَدْ تَنَوَّعَتْ الطَّرُقُ الشَّرْعِيَّةُ فِي بَيَانِ ذَلِكَ.

□ لِأَنَّ الْوَسَائِلَ لَهَا أَحْكَامُ الْمَقَاصِدِ.

■ وَلِخَطَرِ الشُّرْكِ وَضَرَرِهِ سَدَّ الشَّرْعُ كُلَّ ذَرِيعَةٍ تُوصِلُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ.

■ إِذْ أَنَّ الشُّرْكَ يَقَعُ بِهِذِهِ الْجَوَارِحِ كَمَا أَنَّ التَّوْحِيدَ يَقَعُ بِهَا، فَيَتَعَيَّنُ عَلَى الْمُوَحِّدِ أَنْ يُوَحِّدَ اللَّهَ عَزَّجَلَّ قَوْلًا وَفِعْلًا وَاعْتِقَادًا، وَأَنْ يَتَّعِدَ عَنِ الشُّرْكِ قَوْلًا وَفِعْلًا وَاعْتِقَادًا.

فَمِنْ هَذَا الْبَابِ سَدَّ الشَّرْعُ كُلَّ ذَرِيعَةٍ تُؤَدِّي إِلَى الشُّرْكِ، وَمِنْهَا:

- **أَوَّلًا: ذَرِيعَةُ الْعُلُوِّ.**

• فَإِنَّ أَغْلَبَ الشُّرْكِ الْوَاقِعِ مِنْ هَذَا الْبَابِ.

[٧٩] وَلِذَلِكَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ

وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النِّسَاء: ١٧١].

(٥٤) وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا

أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ». أخرجه

البخاري (٣٤٤٥).

- **ثَانِيًا: سَدُّ ذَرِيعَةِ اتِّبَاعِ الْهَوَى.**

• لِأَنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَىٰ هُوَ سَبَبُ الْوُقُوعِ فِي الشُّرْكِ.

[٨٠] قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجنابة: ٢٣].

[٨١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

[٨٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَ هُمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

- **ثَالِثًا:** سُدُّ ذَرِيعَةِ تَقْدِيمِ الْعَقْلِ عَلَى النُّقْلِ.

• وَهَذَا بَابُ شَرِّ عَرِيضٍ، وَقَعَتِ الْبِدْعُ وَالشُّرُكِيَّاتُ وَالْمُخَالَفَاتُ بِسَبَبِهِ.

[٨٣] وَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِمَّن

دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

[٨٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

(٥٥) وَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ: كَيْفَ أَعْرَمُ مَن لَّا شَرِبَ، وَلَا أَكَلَ، وَلَا

اسْتَهَلَ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلَّ؟، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَسْجَعُ كَسْجَعِ الْجَاهِلِيَّةِ،

وَكِهَانَتِهَا إِنِّي فِي الصَّبِيِّ غُرَّةٌ». أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٤٨٢٨) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَصْلُهُ فِي

الصَّحِيحِينَ عَنِ الْمُغِيرَةِ وَمُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- **رَابِعًا:** سُدُّ ذَرِيعَةِ تَشْيِيدِ الْقُبُورِ وَاتِّخَاذِهَا مَسَاجِدَ، وَشَدِّ الرَّحَالِ إِلَيْهَا.

• وَذَلِكَ لِعِلْمِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ هَذَا بَابُ ضَلَالٍ، وَقَدْ سَلَكَهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى،

وَالْأُمَّةُ تَتَابَعُهُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنْ شَأْنِهِمْ؛ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ.

(٥٦) وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمُ

عَنْ ذَلِكَ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٥٣٢) جَنْدَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥٧) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ

أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا. أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٢٩).

(٥٨) وَنَهَى عَنِ الصَّلَاةِ إِلَيْهَا، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ،

وَلَا تَصَلُّوا إِلَيْهَا». أخرجه مسلم (٩٧٢) عن أبي مرثد الغنوي.

□ وَذَلِكَ أَنَّ التَّوَجُّهَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ، أَوْ جِهَةً لَمْ يَأْمُرْ بِهِ الشَّارِعُ بِقَصْدِ الْقُرْبَةِ

عِبَادَةً.

- **خَامِسًا:** سُدُّ ذَرِيعَةِ الشُّرْكِ بِالنَّهْيِ عَنِ الْعَصِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ.

• إِذْ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَتَعَصَّبُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ.

[٨٥] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ

الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦].

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَقْعُونَ فِي هَذَا الْبَابِ عَصِيَّةً لِحَسَنِ أَوْ نَسَبٍ أَوْ نَحْوِ

ذَلِكَ.

- **سَادِسًا:** سُدُّ ذَرِيعَةِ الشُّرْكِ بِالنَّهْيِ عَنِ مَوَدَّةِ الْكُفَّارِ.

• لِأَنَّ سَبَبَ الضَّلَالِ التَّشْبُهَ بِهِمْ.

[٨٦] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ

وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الرُّوم: ٣١-٣٢].

[٨٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ

وَإِحْوَانَكُمْ ءَوْلِيَاءَ إِنْ أَسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ

فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة: ٢٣].

[٨٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوْلِيَاءَ﴾

[الْمُنْتَحِنَةُ: ١].

- سَابِعًا: سَدُّ ذَرِيْعَةِ الشُّرْكِ بِعِبَادَةِ اللهِ فِي أَمَاكِنِ عِبَادَةِ الْمُشْرِكِينَ.

[٨٩] قَالَ اللهُ تَعَالَى، نَاهِيًا رَسُوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ

الضَّرَارِ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التَّوْبَةُ: ١٠٨].

- ثَامِنًا: سَدُّ ذَرِيْعَةِ الشُّرْكِ بِالنَّهْيِ عَنِ التَّقْلِيدِ.

• وَذَلِكَ أَنَّ التَّقْلِيدَ دِيْنُ الْمُشْرِكِينَ.

[٩٠] كَمَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُمْ: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ

أُمَّةٍ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٢٢].

• أَيُّ: عَلَىٰ طَرِيقِهِ وَمِلَّتِهِ، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٢٢].

[٩١] وَقَالَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [٢٣]

[الزُّخْرُفِ: ٢٣].

■ وَهَكَذَا يُقَلَّدُ عِبَادُ الْقُبُورِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي تَعْظِيمِهَا وَالْوُصُولِ إِلَىٰ

عِبَادَتِهَا.

- تَاسِعًا: سَدُّ ذَرِيْعَةِ الشُّرْكِ بِالنَّهْيِ عَنِ الْقِيَاسِ الْفَاسِدِ.

[٩٢] قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ قَوْلِ الْكَافِرِينَ: ﴿تَأَلَّهَ إِن كُنَّا لِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

﴿٩٨﴾ [الشُّعْرَاءِ: ٩٧-٩٨].

• فَسَوُّوْهُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي الْعِبَادَةِ بِقِيَاسِ فَاسِدٍ.



- **عَاشِرًا**: سُدُّ ذَرِيْعَةِ الشُّرْكِ فِي الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِإِلْمٍ.

[٩٣] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ

وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى

اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣].

- **الْحَادِي عَشَرَ**: سُدُّ ذَرِيْعَةِ الشُّرْكِ بِالنَّهْيِ عَنِ الْجَهْلِ.

• لِأَنَّ كُلَّ بَلَاءٍ سَبَبُهُ الْجَهْلُ، سِوَاءِ الْبَسِيطِ أَوْ الْمُرَكَّبِ وَهُوَ أَشَدُّهَا جَهْلٌ

أَهْلُ الضَّلَالَاتِ.

[٩٤] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَجْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُعَابًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٤].

- **الثَّانِي عَشَرَ**: سُدُّ ذَرِيْعَةِ الشُّرْكِ بِالْأَمْرِ بِالْهَجْرَةِ.

• لِأَنَّ الْبَقَاءَ بَيْنَ ظُهُورِ الْكُفْرَةِ سَبَبٌ لِلتَّأَثُّرِ بِهِمْ، وَرُبَّمَا ارْتَدَّ الشَّخْصُ

لِلشُّبْهَةِ وَنَحْوِهَا.

[٩٥] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ

قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ

مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ [النساء: ٩٧].

- **الثَّلَاثَ عَشَرَ**: سُدُّ ذَرِيْعَةِ الشُّرْكِ بِالنَّهْيِ عَنِ مَجَالِسِ الْكُفْرَةِ.

[٩٦] كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى

يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَتَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ

الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨].

[٩٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِتَّكُمُ إِذَا مَثَلَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

• قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَيُّ إِذَا ارْتَكَبْتُمُ النَّهْيَ بَعْدَ وُصُولِهِ إِلَيْكُمْ، وَرَضَيْتُمْ بِالْجُلُوسِ مَعَهُمْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يُكْفَرُ فِيهِ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيُسْتَهْزَأُ وَيُنْتَقَصُ بِهَا، وَأَقْرَبَتْهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ شَارَكْتُمُوهُمْ فِي الَّذِي هُمْ فِيهِ" اهـ.

- الرَّابِعَ عَشَرَ: النَّهْيُ عَنِ كَثِيرٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ صِيَانَةٌ لِلتَّوْحِيدِ وَتَحْذِيرًا مِنَ الشُّرْكِ وَالتَّنْبِيدِ؛ كَقَوْلِ: (مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ).

(٥٩) ■ عَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٩٨٠) وَابْنُ مَاجَهَ (٢١١٨). وَفِي رِوَايَةٍ: قُولُوا: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٩٦٤).

(٦٠) ■ وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ تَسْمِيَةِ الْعَبْدِ (عَبْدِي)، وَ(أُمَّتِي): «وَلَكِنْ لِيَقُلْ: غُلَامِي وَجَارِيَّتِي وَفَتَايَ وَفَتَاتِي». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٥٥٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٤٩).

■ وَهَكَذَا، لَا يَقُولُ لِلْعَبْدِ: (وَضِيَّ رَبِّكَ)، وَ(أَطْعَمَ رَبِّكَ)، بَلْ يَسْتَعْمَلُ غَيْرَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْمُؤَهَّمَةِ.

■ وَالشَّاهِدُ: أَنَّ الْإِسْلَامَ سَدَّ كُلَّ ذَرِيعَةٍ تُوصِلُ إِلَى نَقْضٍ، أَوْ نَقْصٍ فِي التَّوْحِيدِ، وَالْوُقُوعِ فِي الشُّرْكِ وَالتَّنْبِيدِ، وَهَذَا مِنَ الْحَرِصِ عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ ضِدِّهِ.



وَقَالَ الشَّاطِئِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَبَابُ سَدِّ الذَّرَائِعِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؛ فَإِنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى طَلَبِ تَرْكِ مَا ثَبَتَ طَلَبُ فِعْلِهِ، لِعَارِضٍ يَعْرُضُ، وَهُوَ أَصْلٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ فِي الْجُمْلَةِ". اهـ الموافقات (٣/٢٠٧).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَأَيْضًا، فَالْتَّهْيُ عَنْ الصَّلَاةِ فِيهَا هُوَ مِنْ بَابِ سَدِّ الذَّرَائِعِ لِئَلَّا يَتَشَبَهَ بِالْمُشْرِكِينَ فَيُفْضِيَ إِلَى الشُّرْكِ". اهـ مجموع الفتاوى (٢٣/٢١٤).

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.



بَيَانُ أَنَّ السَّحْرَ وَالْكَهَانََةَ وَالتَّنَجِيمَ مِنَ الشُّرْكِ

[٩٨] قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۗ وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢].

- دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِالْمَنْطُوقِ وَالْمَفْهُومِ عَلَىٰ أَنَّ تَعَلَّمَ السِّحْرِ وَتَعَلِيمَهُ وَتَعَاطِيَهُ كُفْرٌ أَكْبَرٌ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.
- وَذَلِكَ أَنَّ السَّاحِرَ يَتَقَرَّبُ إِلَى الْجِنِّ وَيُطِيعُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْقُرْبِ.
- فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْأَمِيرِ: أَنَّ بَابَهُ الْأَعْظَمَ الشُّرْكَ بِاللَّهِ، فَكَلَّمَا كَانَ مُشْرِكًا مُتَقَرَّبًا إِلَى الْجِنِّ كَلَّمَا كَانُوا لَهُ أَطْوَعَ.
- 📖 وَيَكْفُرُ السَّاحِرُ أَيضًا:
- بِإِمْتِهَانِ الْقُرْآنِ.
- وَفِعْلِ الشُّرُكِيَّاتِ.
- وَمِنْ ادِّعَاءِ عِلْمِ الْغَيْبِ؛ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأَقْوَالِ.

[٩٩] وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى كُفْرِهِ، قَوْلُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾

[طه: ٦٩].

(٦١) وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

(٦٢) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً». أخرجه أحمد (٩٥٣٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه انقطاع، وأخرجه البزار (٣٠٤٥) عن جابر وسنده حسن.

• وَهَذَا يُحْمَلُ عَلَى مَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُ، جَمْعًا بَيْنَ الْأَدِلَّةِ.

(٦٣) وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ». أخرجه أبو داود (٣٩٠٥).

(٦٤) وَقَدْ ثَبَتَ قَتْلُ السَّاحِرِ عَنْ ثَلَاثَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ: جُنْدَبٍ، وَحَفْصَةَ، وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حَيْثُ كَتَبَ: «اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ»، وَفِي بَعْضِهَا: «وَسَاحِرَةٌ». قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَالْعَرَّافُ» هُوَ الَّذِي يَدْعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتِ أَسْبَابِ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى مَوَاقِعِهَا، كَالْمَسْرُوقِ، وَمَعْرِفَةُ مَكَانِ الضَّالَّةِ، وَتَتَّهَمُ الْمَرْأَةُ بِالزُّنَى، فَيَقُولُ: مَنْ صَاحِبُهَا؟ وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَقِيلَ: هُوَ الْكَاهِنُ.

«وَالْكَاهِنُ»، هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَقِيلَ: الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الصَّمِيرِ". اهد شرح السنة (١٢/ ١٨٢).

وَذَهَبَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَيْ:

○ أَنَّ (الْعَرَّافَ) اسْمٌ لِلْكَاهِنِ، وَالْمُنَجِّمِ، وَالرَّمَالِ، وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ.

■ فَعَلَى هَذَا: فَتَعَاطِي شَيْءٍ مِمَّا تَقَدَّمَ يُعْتَبَرُ مِنَ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ.

(٦٥) وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي الْكُهَّانِ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ». أَخْرَجَهُ

البخاري (٥٧٦٢)، ومسلم (٢٢٢٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

● وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْتَمِدُونَ الْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ، فِيمَا يَأْتُونَ وَيَتْرَكُونَ.

■ وَتَجِدُ عِلَاقَةً بَيْنَ السَّاحِرِ، وَأَصْحَابِ عِلْمِ النُّجُومِ، إِذْ يَقُومُونَ بِالسَّحْرِ وَالشَّعْوَذَةِ وَالْكُهَانَةِ؛ تَقَرُّبًا لِهَذِهِ النُّجُومِ أَوْ خُدَامِهَا، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا تُؤَثِّرُ فِي الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ، وَهَذَا كُفْرٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ.

وَهُوَ كُفْرٌ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِينَ كَانُوا يُعْظَمُونَ الشَّمْسَ، وَالْقَمَرَ، وَالْكَوَاكِبَ، وَيَسْجُدُونَ لَهَا.

■ وَرَبَّمَا اسْتَدَلُّوا عَلَى الْحَوَادِثِ الْأَرْضِيَّةِ بِالتَّغْيِيرَاتِ الْفَلَكَيَّةِ، وَهَذَا أَيْضًا

كُفْرٌ عَلَى الصَّحِيحِ.

■ وَإِنَّمَا الْمُبَاحُ مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ: عِلْمُ التَّيْسِيرِ، لَا التَّأْثِيرِ.

فَتَنَبَّهُ، فَإِنَّ قَوْمًا خَلَطُوا بَيْنَ الْجَائِزِ وَالْمَمْنُوعِ، فَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

■ وَطَرِيقَتُهُمْ فِي التَّنَجِيمِ: السُّؤَالُ عَنْ اسْمِ الْأُمَّ، وَجَمْعَ حُرُوفِ اسْمِ الْأُمَّ

مَعَ اسْمِ الْإِبْنِ بِطَرِيقَةِ الْأَبْجَدِ، ثُمَّ يَكُونُ النَّاتِجُ مِنْ ١ إِلَى ١٢، ثُمَّ يَرْبِطُونَ ذَلِكَ بِأَبْرَاجٍ مِثْلَ: الْحَمَلِ، وَالسَّرَطَانَ، وَالْمِيزَانَ، وَالْجَدِي، وَالثَّوْرِ، وَالْأَسَدِ، وَالْعَقْرَبِ، وَالذَّلْوِ، وَالْجُوزَاءِ، وَالْعَدْرَاءِ، وَالْقَوْسِ، وَالْحُوتِ.

ثُمَّ يَرْبِطُونَ السَّعَادَةَ، وَالشَّقَاوَةَ، وَالْخَيْرَ، وَالشَّرَّ بِهَذِهِ الْأَبْرَاجِ وَتَأْثِيرِهَا.

■ وَيَدْخُلُ فِي بَابِ السَّحْرِ وَالْكَهَانَةِ وَالْعِرَافَةِ: تَعَاطَى مَا يُسَمَّى بِالْوَدَعِ وَنَحْوِهِ، حَيْثُ يَرْمِي بِهِ الْكَاهِنُ، ثُمَّ يَتَكَهَّنُ لِمَنْ يَأْتِيهِ.

وَهُوَ بَابٌ شَائِكٌ، أَشْرْنَا إِلَى الْمُهَمَّاتِ فِيهِ.

❖ تَنْبِيهُ: وَإِنَّمَا يُحَلُّ السَّحْرُ بِالرُّقْيَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْأَدْوِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وَإِذَا عَلِمَ مَكَانَهُ يُسْتَخْرَجُ وَيُتْلَفُ، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

○ وَقَدْ جَاءَ عَنِ السَّلَفِ الْكَلَامُ عَنِ (النُّشْرَةِ)، وَهِيَ: حَلُّ السَّحْرِ. وَاخْتَلَفُوا فِيهَا.

■ وَالصَّحِيحُ: أَنَّ الْمَمْنُوعَ مَا كَانَ بِالسَّحْرِ، وَالْمُبَاحَ مَا كَانَ بِالرُّقْيِ وَالْأَدْوِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَمِنْ أَنْفَعِ عِلَاجَاتِ السَّحْرِ: الْأَدْوِيَّةُ الْإِلَهِيَّةُ، بَلْ هِيَ أَدْوِيَّتُهُ النَّافِعَةُ بِالذَّاتِ ... وَكَلَّمَا كَانَتْ أَقْوَى وَأَشَدَّ، كَانَتْ أَبْلَغَ فِي النُّشْرَةِ". اهـ زاد المعاد (١١٦/٤).

وَقَالَ:

○ "وَ(النُّشْرَةُ): حَلُّ السَّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ.

📖 وَهِيَ نَوْعَانِ:

[الْأَوَّلُ:] حَلُّ سِحْرِ بِسِحْرِ مِثْلَهُ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّ السَّحَرَ مِنْ عَمَلٍ فَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ النَّاسُ وَالْمُنْتَشِرُ بِمَا يُحِبُّ، فَيَبْطُلُ عَمَلُهُ عَنِ الْمَسْحُورِ.

فَالثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيِ، وَالتَّعَوُّذَاتِ، وَالدَّعَوَاتِ، وَالْأَدْوِيَّةِ الْمُبَاحَةِ، فَهَذَا

جَائِزٌ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ". اهـ إعلام الموقعين (٣٠١/٤).

فَلْيَحْذَرِ الْجَمِيعُ مِنَ السَّحْرِ وَأَنْوَاعِهِ، كَالصَّرْفِ وَالْعَطْفِ، وَهُوَ الشَّائِعُ بَيْنَ
النِّسَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

□ فَكُلُّهُ: كُفْرٌ مُخْرَجٌ عَنِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمُدْخَلٌ فِي مِلَّةِ أَهْلِ الْكُفْرَانِ.

كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ

فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فَالنِّصُّ لَا تَأْوِيلَ لَهُ إِلَّا حَمْلُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَتَرْكُ تَأْوِيلِهِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



الشُّرْكُ بِالْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ

كَمَا صَرَفَ الْمُشْرِكُونَ كَثِيرًا مِنْ عِبَادَاتِهِمُ الْقَوْلِيَّةَ وَالْفِعْلِيَّةَ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ،
صَرَفُوا الْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةَ مِنَ الْمَحَبَّةِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالْإِنَابَةِ، وَالْخَشْيَةِ، وَالْخَوْفِ،
وَالرَّجَاءِ، وَالرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

[١٠٠] قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ
كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

• قَالَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَاهَا: بَانَ الْمُشْرِكِينَ يُحِبُّونَ مَعْبُودَاتِهِمْ سِوَى اللَّهِ
كَحُبِّهِمْ لِلَّهِ، فَسَوَّوْا بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَهَذَا شِرْكٌ بِحَدِّ ذَاتِهِ.

[١٠١] / [١] كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تَأْتِيهِمْ لِيُدْعِيَهمُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْمِلَّةِ الَّتِي كَانُوا عَلَىهَا لِيَضْحَكُوا بِمُؤْمِنِي اللَّهِ الْكَاذِبِينَ﴾ [البقرة: ١٧] إِذْ

نَسُواكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨].

• وَقِيلَ الْمَعْنَى: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يُحِبُّونَ آلِهَتَهُمْ وَمَعْبُودَاتِهِمْ كَمَحَبَّةِ
الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ، وَهَذَا شِرْكٌ ظَاهِرٌ.

■ وَفِي كِلَا الْحَالَيْنِ فَهُوَ شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخْرَجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.

[١٠٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ

وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا
وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا
حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

■ قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "هَذِهِ آيَةُ الْكَرِيمَةِ أَعْظَمُ دَلِيلٍ عَلَيَّ وَجُوبِ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى تَقْدِيمِهَا عَلَيَّ مَحَبَّةَ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَى الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ وَالْمَقْتِ الْأَكِيدِ، عَلَيَّ مَنْ كَانَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ". اهـ تفسيره (١/٣٣٢).

■ فَكَيْفَ بِمَنْ يُحِبُّ الْوَنْنَ أَكْثَرَ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، أَوْ كَمَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ؟
فَهَذَا هُوَ الشُّرْكُ الْأَكْبَرُ، وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ عَبَادُ الطَّوَاعِيتِ مِنَ الْمُتَقَبُّورِينَ وَعَيْرِهِمْ، حَتَّى إِنَّهُمْ يُقَدِّمُونَ قَرَابِينَ لَهَا مَا لَا يُقَدِّمُونَهُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ، وَيَخْشَوْنَهَا وَيَرْجُونَهَا مَا لَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ وَيَرْجُونَهُ، وَيَلْهَجُونَ بِاسْمِهَا فِي الدُّعَاءِ أَكْثَرَ مِنْ دُعَائِهِمْ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ.

[١٠٣] وَفِي الْخَوْفِ، صَرَفَهُ عَبَادُ غَيْرِ اللَّهِ لِغَيْرِهِ، مَعَ أَنَّهُ الْقَائِلُ عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ وَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿آل عمران: ١٧٥﴾.
[١٠٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠].

○ فَ(الْخَوْفُ الشُّرْكِيُّ)، أَوْ (خَوْفُ السَّرِّ): أَنْ يَخَافَ الْعَبْدُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ أَنْ يُصِيبَهُ مَكْرُوهٌ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَبَاشِرْهُ.

■ وَهَوَ الْخَوْفُ الْمَذْكُورُ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ، كَأَنَّ يَخَافَ مِنْ جِنٍّ أَوْ إِنْسٍ أَوْ مُتَقَبُّورٍ أَنْ يُصِيبَهُ بِمَا شَاءَ مِنْ مَرَضٍ أَوْ فَقْرٍ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَهَذَا هُوَ الشُّرْكُ الْمُسْتَطِيرُ لَدَى عَبَادِ الْقُبُورِ، فَإِنَّهُمْ يَخَافُونَهُمْ أَشَدَّ مِنْ خَوْفِهِمْ مِنَ اللَّهِ، حَتَّى لَرَبَّمَا حَلَفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا وَلَمْ يَجْرُؤْ عَلَيَّ الْحَلْفِ بِالْمَدْفُونِ الْمُتَقَبُّورِ.

■ وَأَمَّا الْخَوْفُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى تَرْكِ وَاجِبٍ بِغَيْرِ عُدْرٍ إِلَّا لِخَوْفِ النَّاسِ، فَهُوَ خَوْفٌ مُحَرَّمٌ.



■ وَأَمَّا الْخَوْفُ مِنَ الشَّعَابِينِ وَالنَّارِ وَنَحْوِهَا، فَهُوَ خَوْفٌ طَبِيعِيٌّ.
فَمَيِّزٌ بَيْنَ هَذِهِ الْأَقْسَامِ تَسَلَّمَ فِي هَذَا الْبَابِ بِإِذْنِ الرَّحْمَنِ، إِنْ سَلَكْتَ
مَسَلَكَ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَبَدَتْ مَسَلَكَ أَهْلِ الشُّرْكِ وَالْكَفْرَانِ.
قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَعَمَّارُ الْمَشَاهِدِ يَخَافُونَ غَيْرَ اللَّهِ، وَيَرْجُونَ
غَيْرَهُ". اهـ مجموع الفتاوى (١٧/٤٩٩).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَمِنْ أَنْوَاعِهِ: الْخَوْفُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى
غَيْرِ اللَّهِ، وَالْعَمَلُ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَالْإِنَابَةُ وَالْخُضُوعُ، وَالدُّلُّ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَابْتِغَاءُ الرِّزْقِ
مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ، وَحَمْدُ غَيْرِهِ عَلَى مَا أُعْطِيَ". اهـ مدارج السالكين (١/٣٥٣).

■ فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَجْعَلَ خَوْفَهُ، وَرَجَاءَهُ، وَحُبَّهُ، وَرَغْبَتَهُ، وَرَهْبَتَهُ، وَإِنَابَتَهُ
وَخُشُوعَهُ، وَخُضُوعَهُ، وَخَشْيَتَهُ، وَاعْتِمَادَهُ، وَإِخْلَاصَهُ كُلَّهُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ، لَا يُشْرِكُ
مَعَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ فِي مَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِهِ، لَا مَلَكًا مُقَرَّبًا، وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا.
وَقَدْ رَأَيْنَا بَعْضَ الْهُنُودِ حِينَ يَمُرُّ بِجَانِبِ بَقْرَةٍ يَنْتَفِضُ وَيَضْطَرِبُ، وَكَذَلِكَ
رَأَيْنَا عِبَادَ بُودَا إِذَا مَشَوْا مِنْ عِنْدِ صَنَمِهِمْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ مَا
يَتَعَجَّبُ مِنْهُ كُلُّ عَاقِلٍ صَاحِبِ فِطْرَةٍ سَلِيمَةٍ.

وَأَمَّا عِبَادُ الْقُبُورِ فَقُلْ مَا شِئْتَ مِنْ تَعَلُّقَاتِهِمْ الْقَلْبِيَّةِ لِغَيْرِ اللَّهِ مِنَ الْمَقْبُورِينَ.
قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَالْخَوْفُ عِبَادَةُ الْقَلْبِ فَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ،
كَالذُّلِّ، وَالْمَحَبَّةِ، وَالْإِنَابَةِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالرَّجَاءِ، وَغَيْرِهَا مِنْ عِبَادَةِ الْقَلْبِ". اهـ
طريق الهجرتين (٢/٦٣٤).



مِنَ الشَّرْكِ إِضَافَةُ النِّعْمَةِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ

[١٠٥] ■ قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ

شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة: ٢١١].

[١٠٦] ■ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا

وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨].

[١٠٧] ■ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿أَفِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [النحل: ٧١]، يَنكُرُونَ

نِعْمَتَهُ وَأَشْرَكُوا مَعَهُ غَيْرَهُ.

[١٠٨] ■ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

[النحل: ٧٢]، فِي مَوَاطِنٍ مِنَ الْقُرْآنِ.

[١٠٩] ■ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمْ

الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل: ٨٣]، يَقْرُونَ بِهَا أَنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ، وَيُضَيِّفُونَهَا إِلَى غَيْرِهِ.

[١١٠] ■ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَلْتَهُ نِعْمَةٌ

مِمَّا قَالِ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ ﴿٤٩﴾﴾ [الزمر: ٤٩].

(٦٦) عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا

انصرفت أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟».

قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُورٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ». أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

فَمِنْ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ تَعَلَّمَ خَطَرَ إِضَافَةِ النِّعْمَةِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ. ■ وَأَمَّا حُكْمُ هَذِهِ الْإِضَافَةِ فَإِنْ كَانَ يُضَيِّفُهَا عَلَى أَنَّهَا سَبَبٌ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ مَنْعًا وَإِعْطَاءً، فَهَذَا بَيْنَ الشُّرْكِ الْأَصْغَرِ، وَالْخَطَأِ اللَّفْظِيِّ الَّذِي يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ إِصْلَاحُهُ.

■ وَإِنْ كَانَ يُضَيِّفُ النِّعْمَةَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ عَلَى أَنَّهَا مِنْهُ، أَوْ أَنَّهُ مُشَارِكٌ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ فَهُوَ الشُّرْكَ الْأَكْبَرُ الْمُخْرَجُ مِنَ الْمِلَّةِ.

فَيَتَعَيَّنُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَطْلُبَ النِّعْمَةَ مِنَ اللَّهِ، وَأَنْ يُضَيِّفَهَا فِي حَالِ حُصُولِهَا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كَمَا هِيَ طَرِيقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحَابَتِهِ الْكِرَامِ.

قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الْكَلْبِيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]: "هُوَ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ لَهُمْ هَذِهِ النِّعْمَ قَالُوا: نَعَمْ، هَذِهِ كُلُّهَا مِنْ اللَّهِ، وَلَكِنَّهَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا.

وَقَالَ عَوْفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ لَوْلَا فَلَانٌ لَكَانَ كَذَا، وَلَوْلَا فَلَانٌ لَمَا كَانَ كَذَا". اهـ تفسيره (٣٦/٥).

وَتَجِدُ النَّاسَ فِي هَذَا طُرُقًا عَجِيبَةً، قَلَّ أَنْ تَجِدَ مِنْ يُضِيفُ النُّعْمَةَ إِلَى اللَّهِ
عَزَّجَلَّ مِمَّنْ يَسِّرَ اللَّهُ لَهُ مُجَالَسَةَ الْمُؤَحِّدِينَ، أَوْ سَمَاعَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَإِلَّا
فَأَكْثَرَ النَّاسِ يَتَّبِعُونَ إِمَّا بِأَبَائِهِمْ وَإِمَّا بِأَمْوَالِهِمْ وَإِمَّا بِعُقُولِهِمْ.
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.



الغلط في مسمى الولاية

[١١١] ■ قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ﴿٩١﴾ [الحجر: ٩٩]،

هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ أَمْرٌ لِأُمَّتِهِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ إِلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ الْمَوْتُ.

(٦٧) ■ وَفِي حَدِيثِ أُمِّ الْعَلَاءِ فِي قِصَّةِ وَفَاةِ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، قَالَ رَسُولُ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٢٤٣).

• أَي: الْمَوْتُ.

□ وَزَعَمَ مَنْ لَا خَلْقَ لَهُ أَنْ الْيَقِينَ دَرَجَةٌ إِيْمَانِيَّةٌ، إِذَا بَلَغَهَا الْعَبْدُ جَازَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ تَرْكُ التَّكَالِيفِ وَحَلُّ الْحَرَامِ.

■ وَهَذِهِ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ زِنْدَقَةٌ ظَاهِرَةٌ وَكُفْرٌ صَرِيحٌ، أَنْ يُعْتَقَدَ حِلُّ الْحَرَامِ وَرَفْعُ التَّكَالِيفِ عَنِ مُكَلَّفٍ.

(٦٨) وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَىٰ مَا مَاتَ عَلَيْهِ».

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٨٧٨) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

□ وَلَا تُرْفَعُ التَّكَالِيفُ إِلَّا: بِمَوْتٍ، أَوْ جُنُونٍ.

(٦٩) وَكَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ»، وَمِنْهُمْ:

«الْمَجْنُونُ حَتَّىٰ يُفِيْقَ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (١٤٢٣)، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مَعْلَقًا (ج٨ ص١٦٥).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَالْيَقِينُ عِنْدَهُمْ هُوَ مَعْرِفَةُ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ - أَي: شُهُودُ الْحَقِيقَةِ الْكُونِيَّةِ - وَقَوْلُ هَؤُلَاءِ كُفْرٌ صَرِيحٌ.

وَإِنْ وَقَعَ فِيهِ طَوَائِفٌ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ كُفْرٌ فَإِنَّهُ قَدْ عَلِمَ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ لَا زَمَانَ لِكُلِّ عَبْدٍ مَا دَامَ عَقْلُهُ حَاضِرًا إِلَى أَنْ يَمُوتَ، لَا يَسْقُطَانِ عَنْهُ لَا بِشُهُودِهِ الْقَدْرِ، وَلَا بِغَيْرِ ذَلِكَ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ عُرِفَ وَبَيَّنَ لَهُ، فَإِنْ أَصَرَ عَلَى اعْتِقَادِ سُقُوطِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ". اهـ العبودية (٦٤) - (٦٥).

﴿ وَمِنَ الْغَلَطِ الْكَبِيرِ فِي هَذَا الْبَابِ: أَنَّهُمْ جَعَلُوا الْوِلَايَةَ فِي السَّاحِرِ، وَغَيْرِهِ مِمَّنْ تَظْهَرُ عَلَى يَدَيْهِ بَعْضُ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، وَرَبَّمَا كَانَتْ بِسَبَبِ السَّحْرِ وَالشَّعْوَذَةِ الَّتِي يَتَعَاطَوْنَهَا، وَالسَّحْرُ كُفْرٌ كَمَا تَقَدَّمَ، فَكَيْفَ يَكُونُ مُتَعَاطِيهِ وَليًّا، بَلْ إِنَّهُ شَقِيٌّ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

﴿ وَمِنْ ذَلِكَ: زَعْمُهُمْ أَنَّ الْوَلِيَّ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَاسِطَةٌ فِي بَابِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَهَذَا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ خُرُوجٌ عَنِ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: "وَمِنَ الْإِيْمَانِ بِهِ: الْإِيْمَانُ بِأَنَّهُ هُوَ الْوَسِيطَةُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي تَبْلِيغِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، فَالْحَلَالُ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالذِّينُ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ طَرِيقًا إِلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ مُتَابَعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ كَافِرٌ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ". اهـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٢٢).

■ [١١٢] ثُمَّ إِنَّ الْوَلِيَّ حَقًّا هُوَ الْأَمِيرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ،

وَالْعَامِلُ بِالشَّرِيعَةِ، فَقَدْ دَمَّ اللَّهُ عَزَّجَلَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ: كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿بَيَّأُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ

أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢-٣].

فَكَيْفَ يَظُنُّ ظَانٌّ أَنَّهُ تُرْفَعُ عَنْهُ التَّكَالِيفُ؟

﴿ وَمِنْ ذَلِكَ: دَعْوَتُهُمْ إِلَى عِبَادَةِ الْقُبُورِ وَالْمَقْبُورِينَ وَإِشْرَاكِهِمْ مَعَ اللَّهِ

عَزَّجَلَّ، وَتَشْيِيدِ الْقُبُورِ وَشَدِّ الرَّحَالِ إِلَيْهَا وَهَكَذَا دَوَالِيكَ.

﴿ وَمِنْ ذَلِكَ: زَعْمُهُمُ الْوِلَايَةَ فِي النَّسَبِ النَّبَوِيِّ بَغْضِ النَّظَرِ عَنِ الْأَعْمَالِ

الصَّالِحَةِ.

(٧٠) وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا

شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا». أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦) عن

أبي هريرة رضي الله عنه.

■ [١١٣] فَأُولِيَاءُ اللَّهِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُوَحِّدُونَ الْمُبَادِرُونَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ،

وَلَيْسَتْ الْوِلَايَةُ لِلْمُشْرِكِينَ الْمُنَدِّدِينَ، وَلَا لِلْسَّحَرَةِ وَالْمَشْعُودِينَ، وَلَا بِالنِّسْبَةِ

إِلَى قَوْمٍ صَالِحِينَ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمْ مَا شَرِطَ فِي الْآيَةِ: ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النمل: ٥٣].

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

• فَمَنْ كَانَ لِلَّهِ تَقِيًّا كَانَ لِلَّهِ وَلِيًّا.

■ وَوَلِيَّ اللَّهِ بُنُورِ التَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ، وَصِحَّةِ الْعَقِيدَةِ، وَسَلَامَةِ الْمَنْهَجِ.

[١١٤] قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ءَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ

أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَمَنْ شَهِدَ لَهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَآءِ اللَّهِ، فَهُوَ مِنْ أَوْلِيَآءِ الرَّحْمَنِ، وَمَنْ شَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ، فَهُوَ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَوْلِيَآءِ الشَّيَاطِينِ". اهـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (١١/١٥٧).

• بِمَعْنَى: أَنَّ الْوَلِيَّ مَنْ لَزِمَ الْأَمْرَ فِعْلًا، وَالنَّهْيَ تَرْكًا، وَالشَّقِيَّ مَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ وَارْتَكَبَ النَّهْيَ، فَشَتَّانَ بَيْنَ أَوْلِيَآءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَآءِ الشَّيْطَانِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١١/١٧١-١٧٢):
 "ثُمَّ لَوْ بَلَغَ الرَّجُلُ فِي الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ مَا بَلَغَ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا وَلِيٍّ لِلَّهِ، وَهُوَ لِأَنَّ تَقْتَرِنُ بِهِمُ الشَّيَاطِينُ، وَتَنْزِلُ عَلَيْهِمُ، فَيَكْاشِفُونَ النَّاسَ بَعْضَ الْأُمُورِ، وَلَهُمْ تَصْرُفَاتٌ خَارِقَةٌ مِنْ جِنْسِ السَّحْرِ، وَهُمْ مِنْ جِنْسِ الْكُهَّانِ وَالسَّحَرَةِ الَّذِينَ تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيَاطِينُ."

[١١٥] قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٣٣﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ

أَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتُرُّهُمْ كَذِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣].

وَهُؤُلَاءِ جَمِيعُهُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ إِلَى الْمُكَاشَفَاتِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ، إِذَا لَمْ يَكُونُوا مُتَّبِعِينَ لِلرُّسُلِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكْذِبُوا، وَتُكْذَّبُهُمْ شَيَاطِينُهُمْ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ مَا هُوَ إِثْمٌ وَفُجُورٌ، مِثْلُ نَوْعِ مِنَ الشُّرْكِ، أَوْ الظُّلْمِ، أَوْ الْفَوَاحِشِ، أَوْ الْغُلُوِّ، أَوْ الْبَدْعِ فِي الْعِبَادَةِ". اهـ.

❖ تَنْبِيْهٌ: مِنْ قَوْلِ هُؤُلَاءِ الزَّنَادِقَةِ، مِمَّنْ يَدَّعِي الْوِلَايَةَ، وَرُبَّمَا كَانَ قُبُورِيًّا وَثَنِيًّا عَلَى طَرِيقَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ عِبَادِ الْقُبُورِ، وَرُبَّمَا كَانَ سَبَابًا لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

📖 وَمَعَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: إِنَّ الْوَلِيَّ أَفْضَلُ مِنَ النَّبِيِّ، وَهَذَا ضَلَالٌ بَعِيدٌ؛ فَإِنَّ ذُرْوَةَ الْأَوْلِيَاءِ هُمُ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ مَنْ سَارَ عَلَى سِيرِهِمْ، يَكُونُ فِي الْوِلَايَةِ بِقَدْرِ قُرْبِهِ وَبَعْدِهِ.

يَقُولُ ابْنُ عَرَبِي الطَّائِي:

مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي بَرَزَخٍ فَوَيْقَ الرُّسُولِ وَدُونَ الْوَلِيِّ وَيَقُولُونَ أَيْضًا:

بَيْنَ الْوِلَايَةِ وَالرِّسَالَةِ بَرَزَخٌ فِيهِ النُّبُوَّةُ حُكْمُهَا لَا يُجْهَلُ

• وَقَالَ الْأَلُّوسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَأَحْسَنُ مَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي مَعْرِفَةِ الْوِلَايَةِ: اتِّبَاعُ الشَّرِيعَةِ الْغُرَاءِ، وَسُلُوكُ الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ، فَمَنْ خَرَجَ عَنْهَا قَيْدَ شَبْرٍ بَعْدَ عَنِ الْوِلَايَةِ بِمَرَّاحِلَ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمُ الْوَلِيِّ، وَلَوْ أَتَى بِالْفِ أَلْفِ خَارِقٍ، فَالْوَلِيُّ الشَّرْعِيُّ الْيَوْمَ أَعَزُّ مِنَ الْكَبْرِيتِ الْأَحْمَرِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ:

أَمَّا الْخِيَامُ فَإِنَّهَا كَخِيَامِهِمْ وَأَرَى نِسَاءَ الْحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا

□ هَذَا، وَكُلُّ مُسْلِمٍ لَهُ مِنَ الْوَلَايَةِ بِقَدْرِ اسْتِقَامَتِهِ عَلَى دِينِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ،
وَمُتَابَعَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.



بَيَانُ الشَّرِكِ وَالتَّنْذِيرِ بِالْأَمْنِ وَإِلْيَاسٍ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ

[١١٦] ■ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا

الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩].

[١١٧] ■ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ

رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ [يوسف: ٨٧].

• قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَلِهَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمُؤْمِنُ يَعْمَلُ بِالطَّاعَاتِ، وَهُوَ مُشْفِقٌ وَجِلٌّ خَائِفٌ، وَالْفَاجِرُ يَعْمَلُ بِالْمَعَاصِي وَهُوَ آمِنٌ". اهـ تفسيره (٤٥١/٣).

• وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ كَذَلِكَ (٤٠٦/٤): "وَبَشَّرَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ أَلَّا يَبْتَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ،

أَيُّ: لَا يَقْطَعُوا رَجَاءَهُمْ، وَأَمَلَهُمْ مِنَ اللَّهِ، فِيمَا يَرُومُونَهُ، وَيَقْصِدُونَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَقْطَعُ الرَّجَاءَ، وَيَقْطَعُ الْإِيَّاسَ مِنَ اللَّهِ، إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ". اهـ

(٧١) وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ: رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَعَصَى إِمَامَهُ، وَمَاتَ عَاصِيًا، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا، قَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا، فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ، فَلَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ.

وَتَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ: رَجُلٌ نَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَهُ، فَإِنَّ رِدَاءَهُ الْكِبْرِيَاءَ، وَإِزَارَهُ

الْعِزَّةَ، وَرَجُلٌ شَكَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ». أخرجه أحمد (٢٣٩٤٣).

(٧٢) وَأَخْرَجَ مَعْمَرٌ فِي الْجَامِعِ (١٩٧٠١): عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنَ مَكْرِ اللَّهِ، وَالْقَنُوطُ مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنَ رُوحِ اللَّهِ». وجاء بنحوه عند البخاري (٦٨٧١)، ومسلم (٨٧).

[١١٨] قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣].

○ فَا (الْأَمْنُ الْمَطْلُوقُ) مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، تَعْطِيلٌ لَهُ عَنْ شِدَّةِ عِقَابِهِ، وَأَلِيمٌ عَذَابِهِ، وَعَبْرٌ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْقُوَّةِ، وَالْقَهْرِ، وَالسُّلْطَانِ، وَالْجَبْرُوتِ.

○ وَ (الْيَأْسُ الْمَطْلُوقُ): تَعْطِيلٌ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ مِنْ صِفَاتِ الْإِحْسَانِ، كَالرَّحْمَةِ، وَالرَّأْفَةِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَّاسِ، فَهَذَا سَبِيلُ أَهْلِ التَّوْحِيدِ.

■ قَالَ الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي عَقِيدَتِهِ: "وَالْأَمْنُ وَالْإِيَّاسُ يَنْفُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ". اهـ

[١١٩] ■ وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمَ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْقَنُوطِ، قَوْلُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ الطَّحَاوِيِّ (٤٥٦/٢):

"يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ خَائِفًا رَاجِيًا.

○ فَإِنَّ (الْخَوْفَ الْمَحْمُودَ الصَّادِقَ): مَا حَالَ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَبَيْنَ مَحَارِمِ اللَّهِ، فَإِذَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ، خِيفَ مِنْهُ الْيَأْسُ وَالْقَنُوطُ.

○ وَ (الرَّجَاءُ الْمَحْمُودُ): رَجَاءُ رَجُلٍ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، فَهُوَ رَاجٍ لِثَوَابِهِ، أَوْ رَجُلٍ أَذْنَبَ ذَنْبًا، ثُمَّ تَابَ مِنْهُ إِلَى اللَّهِ، فَهُوَ رَاجٍ لِمَغْفِرَتِهِ". اهـ

[١٢٠] ■ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي

سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْحَمَنَ اللهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ [البقرة: ٢١٨].

■ أَمَّا إِذَا كَانَ الرَّجُلُ مُتَمَادِيًّا فِي التَّفْرِيطِ وَالْخَطَايَا، يَرْجُو رَحْمَةَ اللهِ بِلَا

عَمَلٍ، فَهَذَا هُوَ الْغُرُورُ، وَالتَّمَنِّيُّ، وَالرَّجَاءُ الْكَاذِبُ.

■ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الرَّوَدْبَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: "الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ كَجَنَاحِي الطَّائِرِ، إِذَا

اسْتَوِيَا اسْتَوَى الطَّائِرُ، وَتَمَّ طَيْرَانُهُ، وَإِذَا نَقَصَ أَحَدُهُمَا وَقَعَ فِيهِ النِّقْصُ، وَإِذَا

ذَهَبَا صَارَ الطَّائِرُ فِي حَدِّ الْمَوْتِ". اهـ



التَّوَسُّلُ الْمَمْنُوعُ

[١٢١] قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

• وَ (الْوَسِيلَةُ) هِيَ: طَاعَةُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

📖 وَأَمَّا مَنْ خَالَفَ طَرِيقَ الرَّسْلِ، فَلَهُمْ طَرِيقَانِ فِي التَّوَسُّلِ:

- الْأَوَّلُ: (طَرِيقُ أَهْلِ الشُّرْكِ وَالْكَفْرَانِ):

• وَهُمْ مَنْ يَعْبُدُونَ وَيَدْعُونَ غَيْرَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ طَلْبًا لِقَضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَتَفْرِيجِ

الْكُرْبَاتِ، وَإِلَيْهِمْ وَعَلَيْهِمْ يُسْتَدَلُّ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

[١٢٢] وَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ [الأحqاف: ٥-٦].

[١٢٣] وَقَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ

وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

📖 وَمِنْ عَجِيبِ شَأْنِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُنْدِدِينَ أَنْ يَسْتَدِلُّوا عَلَى فِعْلِهِمْ

بِمِثْلِ أَحَادِيثِ الشَّفَاعَةِ حَيْثُ طَلَبُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّفَاعَةَ، وَهَذَا لِقَلَّةِ عِلْمِهِمْ وَتَعَمُّقِ الشُّرْكِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَإِلَّا فَإِنَّ سُؤَالَ النَّاسِ فِي أَرْضِ

الْمَحْشَرِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالشَّفَاعَةِ يَكُونُ وَهُوَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ حَيًّا حَاضِرًا قَادِرًا.

(٧٣) ❖ وَكَذَلِكَ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عُمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهُ أَنْ يُعَافِيَنِي قَالَ: إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبِرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قَالَ: فَادْعُهُ، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِي، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ». أخرجه الترمذي (٣٥٧٨).

- فَأَوَّلًا: الْحَدِيثُ فِيهِ مَقَالٌ لِبَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

- ثَانِيًا: عَلَى الْقَوْلِ بِصِحَّتِهِ.

• فَقَدْ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي التَّوَسُّلِ وَالْوَسِيلَةِ (١/٢٨٢-٢٨٣): "فَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ التَّوَسُّلُ بِهِ إِلَى اللَّهِ فِي الدُّعَاءِ.

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: هَذَا يَقْتَضِي جَوَازَ التَّوَسُّلِ بِهِ مُطْلَقًا حَيًّا وَمَيِّتًا، وَهَذَا يَحْتَجُّ بِهِ مَنْ يَتَوَسَّلُ بِذَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَفِي مَغْيِبِهِ.

وَيُظَنُّ هُوَ لِأَنَّ تَوَسُّلَ الْأَعْمَى وَالصَّحَابَةِ فِي حَيَاتِهِ كَانَ بِمَعْنَى الْإِقْسَامِ بِهِ عَلَى اللَّهِ، أَوْ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ سَأَلُوا اللَّهَ بِذَاتِهِ أَنْ يَقْضِيَ حَوَائِجَهُمْ، وَيُظَنُّ أَنَّ التَّوَسُّلَ بِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَدْعُوَهُ هُوَ لَهُمْ، وَلَا إِلَى أَنْ يُطِيعُوهُ.

فَسَوَاءٌ عِنْدَ هَؤُلَاءِ دَعَا الرَّسُولُ لَهُمْ أَوْ لَمْ يَدْعُ، الْجَمِيعُ عِنْدَهُمْ تَوَسُّلٌ بِهِ، وَسَوَاءٌ أَطَاعُوهُ أَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ.

وَيُظَنُّونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْضِي حَاجَةَ هَذَا الَّذِي تَوَسَّلَ بِهِ بِرِزْمِهِ، وَلَمْ يَدْعُ لَهُ الرَّسُولُ، كَمَا يَقْضِي حَاجَةَ هَذَا الَّذِي تَوَسَّلَ بِدُعَائِهِ، وَدَعَا لَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ كِلَاهُمَا مُتَوَسِّلٌ بِهِ عِنْدَهُمْ.

وَيُظَنُّونَ أَنَّ كُلَّ مَنْ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ تَوَسَّلَ بِهِ كَمَا تَوَسَّلَ بِهِ ذَلِكَ الْأَعْمَى، وَأَنَّ مَا أَمَرَ بِهِ الْأَعْمَى مَشْرُوعٌ لَهُمْ. وَقَوْلُ هُوَ لَا بَاطِلَ شَرْعًا وَقَدْرًا، فَلَا هُمْ مُوَافِقُونَ لِشَرْعِ اللَّهِ، وَلَا مَا يَقُولُونَهُ مُطَابِقٌ لِخَلْقِ اللَّهِ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُونَ: هَذِهِ قَضِيَّةٌ عَيْنٌ يُثَبَّتُ الْحُكْمُ فِي نَظَائِرِهَا الَّتِي تُشَبِّهُهَا فِي مَنَاطِ الْحُكْمِ، لَا يُثَبَّتُ الْحُكْمُ بِهَا فِيمَا هُوَ مُخَالَفٌ لَهَا، لَا مِمَّاثِلٌ لَهَا.

■ وَالْفَرْقُ ثَابِتٌ شَرْعًا، وَقَدْرًا بَيْنَ مَنْ دَعَا لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَيْنَ مَنْ لَمْ يَدْعُ لَهُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ أَحَدُهُمَا كَالْآخَرِ.

(٧٤) ■ وَهَذَا الْأَعْمَى شَفَعَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلِهَذَا قَالَ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ»، **فَعَلِمَ أَنَّهُ شَفِيعٌ فِيهِ**، وَلَفْظُهُ: «إِنْ شِئْتَ صَبْرَتَ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ»، فَقَالَ: أُدْعُ لِي. خرجه الترمذي (٣٥٧٨) عن عثمان بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

• فَهُوَ إِنَّمَا طَلَبَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُصَلِّيَ وَيَدْعُوَ هُوَ أَيْضًا لِنَفْسِهِ، وَيَقُولَ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ». فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: «أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ». أَيْ: **بِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ**، كَمَا قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا أَجَدَبْنَا تَوَسَّلْنَا إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا، فَتَسْقِينَا».

فَالْحَدِيثَانِ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ: فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَ رَجُلًا أَنْ يَتَوَسَّلَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ، كَمَا ذَكَرَ عُمَرُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَسَّلُونَ بِهِ إِذَا أَجْدَبُوا، ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِ إِنَّمَا كَانُوا يَتَوَسَّلُونَ بِغَيْرِهِ بَدَلًا عَنْهُ.

فَلَوْ كَانَ التَّوَسُّلُ بِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا سَوَاءً، وَالتَّوَسُّلُ بِهِ الَّذِي دَعَا لَهُ الرَّسُولُ كَمَنْ لَمْ يَدْعُ لَهُ الرَّسُولُ، لَمْ يَعْدِلُوا عَنِ التَّوَسُّلِ بِهِ - وَهُوَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى رَبِّهِ وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ وَسَيْلَةً - إِلَى أَنْ يَتَوَسَّلُوا بِغَيْرِهِ مِمَّنْ لَيْسَ مِثْلَهُ". اهـ

-النَّوْعُ الثَّانِي: (التَّوَسُّلُ الْمُبْتَدَعُ):

وَهُوَ التَّوَسُّلُ بِذَوَاتِ، وَحَقِّ الصَّالِحِينَ، كَأَنْ يَقُولَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ نَبِيِّكَ، وَبِحَقِّ الْقُرْآنِ، وَبِحَقِّ فُلَانٍ)، وَنَحْوِ ذَلِكَ. مِثْلُ قَوْلِ بَعْضِهِمْ:

يَا رَبِّ بِهِمْ وَبِالْهِمِّ عَجَّلْ بِالْعَيْثِ وَبِالْفَرَجِ

■ فَهَذَا تَوَسُّلٌ بِدَعَا وَضَلَالَةٌ.

قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ رَحِمَهُ اللَّهُ شَرْحُ الطَّحَاوِيَّةِ (ص ٢٣٧): "وَهَذَا وَنَحْوُهُ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَلَمْ يُنْقَلْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا عَنِ الصَّحَابَةِ، وَلَا عَنِ التَّابِعِينَ، وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَإِنَّمَا يُوجَدُ مِثْلُ هَذَا فِي الْحُرُوزِ وَالْهَيَاكِلِ الَّتِي يُكْتَبُ بِهَا الْجَهَّالُ وَالطَّرِيقَةُ.

■ وَالِدَعَاءُ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ، وَالْعِبَادَاتُ مَبْنَاهَا عَلَى السُّنَّةِ وَالِاتِّبَاعِ، لَا

عَلَى الْهَوَى وَالِابْتِدَاعِ". اهـ

■ ثُمَّ إِنَّمَا الْمَشْرُوعُ أَنْ تَتَوَسَّلَ بِعَمَلِ نَفْسِكَ، لَا بِعَمَلِ غَيْرِكَ، وَلَا بِذَاتِهِ
وَوَجَاهَتِهِ، فَتَنَّبَهُ تَسْلَمٌ مِنْ أَفْعَالِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُبْتَدِعِينَ.



سُبُّ الدَّهْرِ

[١٢٤] ■ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا

إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ [البجائية: ٢٤].

(٧٥) ■ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ اللهُ

عَزَّجَلَّ: «يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ». أَخْرَجَهُ البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

• قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: "قَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَعَبْرُهُمَا مِنَ الأئِمَّةِ فِي

تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ». التفسير (٧/ ٢٦٩-٢٧٠).

كَانَتْ العَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا إِذَا أَصَابَهُمْ شِدَّةٌ أَوْ بَلَاءٌ أَوْ نَكْبَةٌ،

قَالُوا: يَا حَيَبَةَ الدَّهْرِ.

• فَيَسْنُدُونَ تِلْكَ الأَفْعَالَ إِلَى الدَّهْرِ وَيَسْبُونَهُ، وَإِنَّمَا فَاعِلُهَا هُوَ اللهُ عَزَّجَلَّ،

فَكَانَتْهُمْ إِنَّمَا سَبُّوا اللهُ عَزَّجَلَّ؛ لِأَنَّهُ فَاعِلُ ذَلِكَ فِي الحَقِيقَةِ.

• فَلِهَذَا نُهِيَ عَنِ سَبِّ الدَّهْرِ بِهَذَا الإِعْتِبَارِ؛ لِأَنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ الَّذِي يَعْنُونَهُ،

وَيُسْنِدُونَ إِلَيْهِ تِلْكَ الأَفْعَالَ.

هَذَا أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ، وَهُوَ المُرَادُّ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

❖ وَقَدْ غَلَطَ ابْنُ حَزْمٍ، وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ فِي عَدِّهِمُ الدَّهْرَ مِنَ

الأَسْمَاءِ الحُسْنَى، أَخَذًا مِنْ هَذَا الحَدِيثِ "اهـ.

• وَذَلِكَ أَنَّ الدَّهْرَ هُوَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يُقَلِّبُهُ اللهُ عَزَّجَلَّ، وَلَيْسَ هُوَ الْمُقَلَّبَ، فَتَنَّبَهُ.

• قَالَ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: " قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَمِنْ شَأْنِ العَرَبِ أَنْ يَذُمُّوا الدَّهْرَ عِنْدَ المَصَائِبِ وَالنَّوَائِبِ، حَتَّى ذَكَرُوهُ فِي أشْعَارِهِمْ، وَنَسَبُوا الأَحْدَاثَ إِلَيْهِ. قَالَ عَمْرُو بْنُ قُمَيْئَةَ:

رَمْتَنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى فَكَيْفَ بَمَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامٍ
فَلَوْ أَنَّنِي أُرْمَى بِبَنَلٍ تَقَيْتُهَا وَلَكِنِّي أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامٍ
عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلَى العَصَا أَنْوَاءُ ثَلَاثًا بَعْدَهُنَّ قِيَامٍ
وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ فِي الشُّعْرِ، يُنْسَبُونَ ذَلِكَ إِلَى الدَّهْرِ وَيُضِيفُونَهُ إِلَيْهِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ
الْفَاعِلُ، لَا رَبَّ سِوَاهُ". اهـ تفسير القرطبي (١٧٢ / ١٦).

فَكَانَ ضَلَالُهُمْ مِنْ جِهَاتٍ:

- الأَوَّلُ: إنْكَارُ البَعْثِ وَالنُّشُورِ.

- الثَّانِي: جَعَلَ حَوَادِثَ الزَّمَانِ فِعْلَ الدَّهْرِ، مَعَ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنَ المَخْلُوقَاتِ.

- الثَّالِثُ: التَّسَخُّطُ وَعَدَمُ الصَّبْرِ عَلَى الأَقْدَارِ.

■ (٧٦) وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اِثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ:

الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ». أخرجه مسلم (٦٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

■ (٧٧) وَعَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الحُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ». أخرجه

البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣).

■ فعلى هذا:

فالتسخطُ على المصائب.

وعدم الرضا بأقدار الله عز وجل.

يُعتبر من أفعال الجاهلية السيئة، ومعهم أهل النفاق.

[١٢٥] قَالَ اللهُ عَزَّجَلَّ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا

لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

﴿آل عمران: ١٥٦﴾.

📖 فَكَانَ الْمُتَسَخِّطُ عَلَى اللهِ عَزَّجَلَّ عَلَى أَحْوَالٍ:

- **الأوّل:** إِنْ كَانَ سَبَبُهُ الشَّكُّ فِي حُكْمِ اللهِ عَزَّجَلَّ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ أَوْ

الإعتراض على ربوبيته.

■ فهو: كُفْرٌ.

- **الثاني:** مَا كَانَ بِاللِّسَانِ كَالدُّعَاءِ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ.

■ فهو: حَرَامٌ.

- **الثالث:** مَا كَانَ بِالْفِعْلِ، كَلَطَمِ الْخُدُودِ وَشَقِّ الْجُيُوبِ.

■ فهو: مُحَرَّمٌ.

📖 وَأَمَّا حُكْمُ سَابِّ الدَّهْرِ فَكَذَلِكَ عَلَى أَنْحَاءٍ:

- **الأوّل:** الإخبارُ المُجرَّدُ عمَّا فيه مِنَ الْحَرِّ أَوْ الْبَرْدِ أَوْ الشَّدَةِ.

■ فَهَذَا جَائِزٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧].

- **الثَّانِي:** أَنْ يُسَبَّ الدَّهْرَ عَلَىٰ اعْتِقَادِ أَنَّهُ الْفَاعِلُ حَقِيقَةً.
- فَهَذَا يَكْفُرُ مِنْ جِهَةِ التَّشْرِيكِ بِاللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَمِنْ جِهَةِ سَبِّ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.
- **الثَّلَاثُ:** أَنْ يُسَبَّ الدَّهْرَ مُتَسَخِّطًا عَلَىٰ أَقْدَارِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.
- فَهَذِهِ مَعْصِيَةٌ.

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.



الرِّيَاءُ مِنْ أَشْهَرِ أَنْوَاعِ الشَّرْكِ، وَهُوَ مُنْقَسِمٌ إِلَى قِسْمَيْنِ:

- **الأوَّلُ:** (الشَّرْكَ الحَفِيّ، أَوْ الأَصْغَرُ):

■ بِحَيْثُ تَكُونُ أَصْلُ العِبَادَةِ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ وَيَدْخُلُهَا الرِّيَاءُ.

(٧٨) وَهُوَ الَّذِي قَالَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ

الأَصْغَرُ».

قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ .

قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ:

اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً».

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٣٦٣٠) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَسَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «كُنَّا نَعُدُّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّرْكَ الأَصْغَرَ الرِّيَاءَ» أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَهْذِيبِ الأَثَارِ (١١١٩).

- **الثَّانِي:** (أَنْ يَأْتِيَ بِالعِبَادَةِ لِلدُّنْيَا وَرِيَاءَ النَّاسِ).

■ فَهَذَا: شِرْكٌ أَكْبَرٌ، وَلَا يَصْدُرُ غَالِبًا إِلَّا مِنَ المُنَافِقِينَ.

[١٢٦] كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّجَلَّ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ

أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي

الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَبَعُوا فِيهَا وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود: ١٥-١٦].

• قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: "نَزَلَتْ فِي كُلِّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا يُرِيدُ بِهِ غَيْرَ اللهِ عَزَّجَلَّ". اهـ تفسيره (٤/١٦٥).

• وَذَكَرَ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّ الْآيَةَ فِي أَهْلِ الرِّيَاءِ.

[١٢٧] وَقَالَ اللهُ عَزَّجَلَّ عَنْهُمْ: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٤٢﴾

[النساء: ١٤٢].

[١٢٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ

سَاهَوْنَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾﴾ [الماعون: ٤-٦].

[١٢٩] قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ (١/٧٩-٨٣): "وَصَفَّ

اللهُ تَعَالَى الْكُفَّارَ بِالرِّيَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا

وَرِيَاءًا لِلنَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧].

• وَهَذَا (الرِّيَاءُ الْمَحْضُ) لَا يَكَادُ يَصْدُرُ مِنْ مُؤْمِنٍ فِي فَرَضِ الصَّلَاةِ

وَالصِّيَامِ، وَقَدْ يَصْدُرُ فِي الصَّدَقَةِ الْوَاجِبَةِ أَوْ الْحَجِّ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَعْمَالِ

الظَّاهِرَةِ، أَوْ الَّتِي يَتَعَدَّى نَفْعُهَا، فَإِنَّ الْإِخْلَاصَ فِيهَا عَزِيزٌ.

■ وَهَذَا الْعَمَلُ لَا يَشُكُّ مُسْلِمٌ أَنَّهُ حَابِطٌ، وَأَنَّ صَاحِبَهُ يَسْتَحِقُّ الْمَقْتَمَ مِنَ

اللهِ وَالْعُقُوبَةَ.

■ وَتَارَةً يَكُونُ الْعَمَلُ لِلَّهِ، وَيُشَارِكُهُ الرِّيَاءُ.

فَإِنَّ شَارِكُهُ مِنْ أَصْلِهِ، فَالْنُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ تَدُلُّ عَلَى بُطْلَانِهِ، وَحُبُوطِهِ

أَيْضًا.

وَمِمَّنْ رُوِيَ عَنْهُ هَذَا الْمَعْنَى، وَأَنَّ الْعَمَلَ إِذَا خَالَطَهُ شَيْءٌ مِنَ الرِّيَاءِ كَانَ بَاطِلًا طَائِفَةً مِنَ السَّلَفِ، مِنْهُمْ: عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، وَالْحَسَنُ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَغَيْرُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قَالَ: "وَلَا نَعْرِفُ عَنِ السَّلَفِ فِي هَذَا خِلَافًا". اهـ بِتَصْرُفٍ.

■ وَقَالَ: "أَمَّا مَنْ كَانَ أَصْلُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، ثُمَّ طَرَأَتْ عَلَيْهِ نِيَّتُهُ الرِّيَاءَ، فَلَا يَضُرُّهُ، فَإِنْ طَرَأَ وَدَفَعَهُ، فَلَا يَضُرُّهُ بغيرِ خِلَافٍ.

■ فَإِنْ اسْتَرْسَلَ مَعَهُ، فَهَلْ يُحِبُّطُ عَمَلُهُ أَمْ لَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ، وَيُجَازَى عَلَى أَصْلِ نِيَّتِهِ؟

وَفِي ذَلِكَ اخْتِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ، قَدْ حَكَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ، وَأَرْجُو أَنْ عَمَلُهُ لَا يَبْطُلُ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ يُجَازَى بِنِيَّتِهِ الْأُولَى". اهـ

• لَكِنَّهُ آثَمٌ مِنْ حَيْثُ الْمُرَاءَةِ.

(٧٩) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشْرَكَهُ». أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٨٠) وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

أخرجه البخاري (٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤).

فَيَتَعَيَّنُ الْحَذَرُ مِنْ هَذَا الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي قَدْ لَا يَسْلَمُ مِنْهُ مُكَلَّفٌ، لِمَا عَلِمَ مِنْ طَبِيعَةِ النَّفْسِ فِي التَّطَلُّعِ لِمَدْحِ النَّاسِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَخَطَرُهُ عَظِيمٌ.

(٨١) فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ». أخرجه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧) عن جندب وانفرد به مسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



بَيَانُ الْمُخَالَفَةِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

[١٣٠] ■ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَرُّوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[الأعراف: ١٨٠].

• ﴿وَدَرُّوا﴾ أتركوا، ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ يميلون، ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾ عَنِ الْمَعْنَى الَّذِي

أَرَادَهُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ.

■ وَفِي الْآيَةِ: تَحْرِيمُ الْإِلْحَادِ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

📖 وَالْمُلْحِدُونَ فِي هَذَا الْبَابِ أَنْوَاعٌ:

- **الْأَوَّلُ:** (الِلْحَادُ الْمُمَثِّلَةُ): الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ، أَوْ صِفَاتِهِ عَزَّجَلَّ

كَصِفَاتِ وَأَسْمَاءِ الْمَخْلُوقِينَ.

- **الثَّانِي:** (الِلْحَادُ الْمُعْطَلَةُ): الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ مَخْلُوقَةٌ، أَوْ أَنَّ

أَسْمَاءَ اللَّهِ لَا تَدُلُّ عَلَى مَعَانٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِلْحَادِ الَّذِي وَقَعُوا فِيهِ.

- **الثَّالِثُ:** (الِلْحَادُ الْمُكَيِّفَةُ): الَّذِينَ كَيَّفُوا صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،

وَيُضَافُونَ إِلَى الْمُمَثِّلَةِ إِذَا قَيَّدُوهَا بِمُمَاتِلٍ، وَيَخْرُجُونَ عَنْهُمْ إِذَا لَمْ يُقَيِّدُوهَا

بِمُمَاتِلٍ.

- **الرَّابِعُ:** (الِلْحَادُ النَّصَارِيُّ، وَمِنْ شَابِهَهُمْ): الَّذِينَ سَمَّوْا اللَّهَ عَزَّجَلَّ بِغَيْرِ

أَسْمَائِهِ، فَسَمَّوْهُ الْآبَ، وَرُبَّمَا سَمَّوْهُ الْإِبْنَ.

- **الْخَامِسُ:** (الِلْحَادُ الْمُشْرِكِينَ): إِذْ سَمَّوْا آلِهَتَهُمْ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ،

كَاشْتِقَاقِ اللَّاتِ مِنَ الْإِلَهِ، وَالْعَزَّى مِنَ الْعَزِيزِ، وَمَنَاةَ مِنَ الْمَنَانِ.

- **السَّادِسُ:** (إِلْحَادُ الْمُفَوَّضَةِ): الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ غَيْرُ مَعْلُومَةٍ الْمَعْنَى، أَوْ لَيْسَ لَهَا مَعْنَى.

○ وَالْإِلْحَادُ هُوَ: الْمَيْلُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ اللَّحْدُ لِحَدًّا.

■ فَمَنْ مَالَ بِهَا عَنْ دَلَالَةِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ كَانَ مُلْحِدًا بِقَدْرِ إِلْحَادِهِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

📖 وَمِنْ أَشْرِّ الْمُلْحِدِينَ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: الْمُعْطَلَةُ، وَهُمْ أَنْوَاعٌ:

- **الْأَوَّلُ:** (الْجَهْمِيَّةُ): الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا أَسْمَاءَ لَهُ وَلَا صِفَاتٍ، اتِّبَاعًا لِحَجْمِ بْنِ صَفْوَانَ.

- **الثَّانِي:** (الْمُعْتَزِلَةُ): الَّذِينَ يُثْبِتُونَ الْأَسْمَاءَ، وَيُعْطِلُونَ الصِّفَاتِ.

- **الثَّالِثُ:** (الْأَشَاعِرَةُ): الَّذِينَ يُثْبِتُونَ الْأَسْمَاءَ وَبَعْضَ الصِّفَاتِ، وَيَنْفُونَ بَقِيَّتَهَا، لَا سِيَّمَا الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ.

● فَلَا يُثْبِتُونَ لِلَّهِ الْعُضْبَ، وَلَا الرِّضَا، وَلَا السَّخَطَ، وَلَا الْمَحَبَّةَ، وَلَا الْكِرَاهَةَ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ، كَالِاسْتِوَاءِ، وَالْعُلُوِّ.

مُحَرِّفِينَ لِدَلَالَةِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَمُتَابِعِينَ لِلْعُقْلَانِيِّينَ الَّذِينَ تَرَكُوا الْإِسْتِدْلَالَ بِمَنْهَجِ السَّلَفِ، وَاسْتَخْدَمُوا مَحْضَ عُقُولِهِمْ، إِذْ يُتَابِعُونَ زَنَادِقَةَ الْيُونَانِ وَالرُّومَانِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

■ فَيَنْبَغِي أَنْ نَحْقُقَ هَذَا الْبَابَ، وَأَنْ نَتَعَلَّمَهُ وَنُعَلِّمَهُ، وَنَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ بِعِلْمِهِ وَتَعَلُّمِهِ، فَإِنَّهُ أَشْرَفُ الْعُلُومِ وَأَزْكَاهَا، فَإِنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ.



لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

[١٣١] ■ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

• هَذِهِ آيَةٌ عَظِيمَةٌ دَلَّتْ عَلَى: كَمَالِ اللَّهِ الْمُقَدَّسِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ.

📌 حَتَّى إِنَّهُ تَعَالَى لِكَمَالِهِ الْعَظِيمِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ:

- لَا فِي ذَاتِهِ.

- وَلَا فِي أَفْعَالِهِ.

- وَلَا فِي صِفَاتِهِ.

[١٣٢] ■ وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ تَعَلَّمَ لَهُ وَ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥].

• أَيْ: لَا تَعَلَّمَ لَهُ مِثْلًا.

[١٣٣] ■ وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤].

• أَيْ: لَيْسَ لَهُ نِدٌّ، وَلَا نَظِيرٌ، وَلَا مِثِيلٌ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيِ.

■ وَلَائِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ كَمُلٌ فِي أَفْعَالِهِ، وَكَمُلٌ فِي

ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ.

[١٣٤] ■ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٦].

• فَيَفْعَلُ مَا شَاءَ، مِنْ الْخَلْقِ، وَالْإِمَاتَةِ، وَالْإِيْجَادِ، وَالْمَنْعِ، وَالرَّفْعِ،

وَالْحَفْضِ، وَالْغَضَبِ، وَالرِّضَا، وَالسَّخَطِ، وَالنُّزُولِ، وَالْمَجِيءِ، وَالْإِتْيَانِ،

وَالضَّحِكِ، وَالْعَجَبِ، وَالنُّسْيَانِ بِمَعْنَى: التَّرْكِ.

□ فَكُلٌّ: مَعْنَى أَضَافَهُ اللهُ عَزَّجَلَّ إِلَى نَفْسِهِ دَلَّ عَلَى الْكَمَالِ الْمُقَدَّسِ: ﴿لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

وَهَكَذَا يُقَالُ: فِي وَجْهِهِ، وَيَدَيْهِ، وَقَدَمِهِ، وَسَاعِدَيْهِ، وَكَفِّهِ، وَأَصَابِعِهِ،

وَسَاقِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

وَلَمَّا كَانَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ،

امْتِنِعَ أَنْ يُشَارِكُهُ شَيْءٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، فَهُوَ تَعَالَى
الْمُتَفَرِّدُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَالْمُتَفَرِّدُ بِالْأُلُوْهِيَّةِ.

[١٣٥] قَالَ اللهُ عَزَّجَلَّ: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ
مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أِذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ
قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

فَعَادَ الْأَمْرَ إِلَى اللهِ عَزَّجَلَّ: مُلْكًا، وَخَلْقًا، وَإِيجَادًا، وَتَصَرُّفًا، وَشَفَاعَةً.

فَيَتَعَيَّنُ عَلَى الْمُكَلَّفِ أَنْ يُفْرِدَ اللهُ عَزَّجَلَّ بِمَا لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَأُلُوْهِيَّتِهِ

وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأُنزِلَتْ بِهِ

الْكِتَابُ، وَشُرِعَ مِنْ أَجْلِهِ الْجِهَادُ، وَخُلِقَتْ مِنْ أَجْلِهِ الْخَلِيقَةُ.

قَالَ الْمُعَلِّمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: "فَمَنْ تَدَبَّرَ الْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةَ مِنَ الْفَاتِحَةِ، وَاسْتَحْضَرَ

مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ، لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ رَيْبٌ فِي أَنَّ اللهُ عَزَّجَلَّ هُوَ

وَخَدَهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ.



فَإِذَا كَانَ مَعَ ذَلِكَ مُسْتَحْضِرًا أَنَّهُ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَي رَّبِّ الْعَالَمِينَ يُثْنِي عَلَيْهِ
وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ، لَمْ يَتَمَالَكْ نَفْسُهُ أَنْ يَقُولَ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَعَقْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

• وَمَعْنَى ذَلِكَ كَمَا أَطْبَقَ عَلَيْهِ الْمُفَسِّرُونَ، وَأَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَهْلُ الْمَعَانِي:
نَخُصُّكَ اللَّهُمَّ بِعِبَادَتِنَا، وَنَخُصُّكَ بِاسْتِعَانَتِنَا، أَي: لَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ، وَلَا نَسْتَعِينُ
أَحَدًا سِوَاكَ". اهـ رفع الاشتباه (٢ / ٤١).



خَاتِمَةٌ

فَبِهَذَا أَكُونُ قَدْ انْتَهَيْتُ مِمَّا أَرَدْتُ تَسْطِيرَهُ فِي هَذَا الْبَابِ فِي هَذَا السَّفَرِ الْمُخْتَصَرِ فِي: (بَيَانِ التَّوْحِيدِ حَقِّ اللَّهِ عَلَى الْعَبِيدِ، وَدَحْضِ الشُّرْكِ وَالتَّنْذِيرِ).
وَبِمَا ذَكَرْتُ تَسْتَدِلُّ عَلَى مَا لَمْ يُذَكَّرْ، فَبَابُ الْعِبَادَاتِ وَاحِدٌ، يَجِبُ أَنْ يُفْرَدَ اللَّهُ بِهَا، وَيَتَابَعُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا أَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ غَيْرُهُ لَمْ تَعُدْ عِبَادَةً لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ عَلَى طَرِيقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ تَكُنْ عِبَادَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَنْ نَبِيِّهِ:

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦].

فَمَنْ دَعَا إِلَى غَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَقَدْ ابْتَدَعَ.
وَتَمَّ الْمُرَادُ فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ لِسَنَةِ ١٤٤٦ هـ.
وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الْكِتَابَ حَوَى جُمْلَةً مَبَارَكَةً مِنَ الْأَدْلَةِ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي: ثَلَاثُمِائَةٌ وَخَمْسَةٌ وَسِتُّونَ، مِنْهَا مِائَتَانِ وَثَلَاثُونَ آيَةً فِي بَابِ التَّوْحِيدِ، وَمِائَةٌ وَخَمْسُ وَثَلَاثُونَ آيَةً فِي بَابِ الشُّرْكِ، وَمِنْهَا مِائَتَانِ وَسِتَّةٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ، مِنْهَا مِائَةٌ وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ حَدِيثًا فِي بَابِ التَّوْحِيدِ، وَوَاحِدٌ ثَمَانُونَ حَدِيثًا فِي بَابِ الشُّرْكِ، فَيَكُونُ مَجْمُوعُ الْأَدْلَةِ خَمْسِمِائَةً وَوَاحِدٌ وَسَبْعُونَ دَلِيلًا، وَالْأَبْوَابُ خَمْسِينَ بَابًا.
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ،
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.



فَهْرِسْتِ
الْحَقِيْقَاتِ

الحقويات

- ١٣ الْمُقَدِّمَةُ
- ١٤ التَّوْحِيدُ حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعَبِيدِ
- ١٩ فَضْلُ التَّوْحِيدِ
- ٢٤ تَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ وَمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
- ٣١ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
- ٣٨ تَفْصِيلُ أَبْوَابِ التَّوْحِيدِ
- ٤٥ الصَّلَاةُ وَالذَّبْحُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ
- ٤٨ التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ
- ٥٤ الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ
- ٥٨ الدُّعَاءُ وَالِاسْتِعَانَةُ وَالِاسْتِعَاذَةُ
- ٦٣ الْحَلْفُ بِاللَّهِ
- ٦٨ طَلَبُ الشَّفَاعَةِ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ
- ٧٢ الْحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ
- ٧٥ طَلَبُ الْبَرَكَةِ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ
- ٧٩ تَمْكِينُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ
- ٨٣ حِمَايَةُ جَنَابِ التَّوْحِيدِ
- ٨٧ بَيَانُ الْحَقِّ فِي النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ
- ٩٢ بَيَانُ الْمَحَبَّةِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ

- ٩٢..... وَالْخَشْيَةَ وَالرَّغْبَةَ وَالرَّهْبَةَ
- ٩٧..... إِضَافَةُ النِّعْمَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ
- ١٠١..... بَيَانُ مَعْنَى الْوَلِيِّ
- ١٠٨..... حُسْنُ الرَّجَاءِ
- ١١٢..... التَّوَسُّلُ الْمَشْرُوعُ
- ١١٦..... الصَّبْرُ عَلَى أَفْدَارِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ
- ١٢٠..... التَّعْيِيدُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ
- ١٢٣..... قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾
- ١٣٠..... وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ
- ١٣٥..... دَخُضُ الشُّرْكِ وَالتَّنْذِيرُ
- ١٣٦..... دَخُضُ الشُّرْكِ وَالتَّنْذِيرُ
- ١٤٢..... الشُّرْكَ الْأَعْظَمُ الذُّنُوبِ وَأَشَدُّ الْأَثَامِ
- ١٤٧..... تَفْسِيرُ الشُّرْكِ
- ١٥٢..... تَفَاصِيلُ أفعالِ الْمُشْرِكِينَ
- ١٥٤..... الذَّنْبُ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ
- ١٥٧..... النَّذْرُ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ
- ١٥٩..... الشُّرْكَ وَفِتْنَةُ الْقُبُورِ
- ١٦٣..... لِبَسِّ الْحَلَقَةِ وَالْخَيْطِ لِرَفْعِ الْبَلَاءِ وَدَفْعِهِ
- ١٦٧..... مِنَ الشُّرْكِ: الْإِسْتِعَانَةُ وَالْإِسْتِغَاثَةُ وَالْإِسْتِعَاذَةُ وَدُعَاءُ غَيْرِ اللَّهِ
- ١٧٣..... الطَّيْرَةُ
- ١٧٩..... مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ
- ١٨٣..... الشَّفَاعَةُ الْمَمْنُوعَةُ

- ١٨٦ الْحَكْمُ بغيرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ كُفْرًا
- ١٩٠ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا
- ١٩٣ بَيَانُ عَوْدَةِ الشُّرْكِ إِلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ
- ١٩٦ سَدُّ ذَرَائِعِ الشُّرْكِ
- ٢٠٣ بَيَانُ أَنَّ السَّحَرَ وَالْكَهَانَةَ وَالتَّنَجِيمَ مِنَ الشُّرْكِ
- ٢٠٨ الشُّرْكَ بِالْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ
- ٢١١ مِنَ الشُّرْكِ إِضَافَةُ النُّعْمَةِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ
- ٢١٤ الْغَلْطُ فِي مُسَمَّى الْوِلَايَةِ
- ٢٢٠ بَيَانُ الشُّرْكِ وَالتَّنْذِيدِ بِالْأَمْنِ
- ٢٢٠ وَالْإِيَّاسِ مِنْ رُوحِ اللَّهِ
- ٢٢٣ التَّوَسُّلُ الْمَمْنُوعُ
- ٢٢٨ سَبُّ الدَّهْرِ
- ٢٣٢ الرِّيَاءُ
- ٢٣٦ بَيَانُ الْمُخَالَفَةِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ
- ٢٣٨ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ
- ٢٤١ خَاتِمَةٌ

